مهندس
أحمد عبد الوهاب

حقيقة البشر
بين الماضي والحاضر

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين
القاهرة تليفون : ٩٣٧٤٧٠

الطبعـــة الأولى

شعبان سنة ١٤٠١ هـ — يونيه سنة ١٩٨١ م

دار غريب للطبـــاعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص ٠ ب ٥٨ (الدواوين) — تليفون : ٢٢٠٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله رب للعالمين . . .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى اخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وعلى صحابته الأولين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، إلى يوم الدين .

وبعدُ :

لعل هذا هو الكتاب الوحيد الذى أتوجه به أولا وأخيراً إلى المسلمين ، أعرض فيه العناصر الرئيسية والحلقات الهامة التى تقوم عليها قصة التبشير منذ ظهرت المسيحية حتى اليوم .

ولا أريد أن أسبق بفكر القارىء ، فأحدثه عن خطورة التبشير المسيحى فى عالم الإسلام ، باعتباره يتصدر الآن قائمة الأعداء الخطرين ، فليترك ذلك لحينه . ولكن مهما كان الحال ، فلا خير فى علم لا يعقبه عمل ، خاصة إذا كان الأمر متعلقاً بغزو صامت يتعرض له المسلمون اليوم ، لعله أخطر بكثير من ذلك الغزو الصاخب ، الذى يتمثل فى الحرب التقليدية ، والتى يتعرضون لها بين الحين والحين . إن الغزو الصاخب قتال فى النور ، أما الغزو الصامت فهو قتال فى الظلام ، وهو بذلك شر أنواع القتال .

★

بعد ذلك أقول إن الكتاب حوار مع المبشرين ، يقوم على معتقداتهم الدينية بوجه خاص ، وتاريخ الحركة التبشيرية بوجه عام . ولو أن مواقفهم

من مثل هذا الحوار معروفة سلفاً ، لأنها مواقف حددتها الأحكام المسبقة والمقولات المتوارثة ، وهذا وحده يكفى للقول باستحالة عدالة تلك الأحكام أو العدول عنها . إن للمبشرين حساسية نشطة لكل ما يكتب عن حركتهم ، وهم لذلك يذرعون العالم الإسلامى ذهاباً وإياباً ، يلتقطون الأخبار ويرقبون الاتجاهات الدينية والفكرية ، من أجل تقييم المواقف وتطوير الأساليب .

وإن لدى المبشرين كبرياء—تكشف عن نفسها أحياناً— تتجلى فى نظرتهم لكل ما يصدر عن العالم غير المسيحى متعلقاً بالعقيدة والسلوك والأخلاق. ولا يزال بينهم — بل وفى قياداتهم — إلى الآن من يتصور خداع المسلمين والالتفاف حولهم ، باختلاق مختلف الأسماء والشعارات البراقة . لقد حدثنى بعضهم عن أن فى مصر جمعية « للإخاء الدينى » ، وأن على رأسها من يتصدرون قيادة العمل الدينى والاجتماعى فى مصر ، وكان ذلك قبل أن تعلن تلك الجمعية عن نفسها فى الصحافة المصرية بسنتين . إلا أنه كان صريحاً فى قوله ، إن مثل هذه الجمعيات تساعد على تقريب المسلمين من الفكر المسيحى .

★

ومهما يكن من أمر ، فليُترك القارىء والكتاب ، بعد أن أرجو التنبيه إلى أنه يعتمد أساساً على مراجع تمثل الفكر المسيحى والتبشيرى تمثيلا تاماً ، وأن الفقرات المقتبسة من تلك المراجع قد وضعت —كالعادة — بين علامات الاقتباس حتى يسهل التمييز بين كلام المؤلف وكلام المصدر الذى ينقل عنه . وقد أشير إلى كل مصدر برقمه وفق قائمة المراجع الرئيسية المذكورة فى آخر الكتاب .

وإذا كانت بعض نقاط البحث قد ذكرت فى كتب سابقة للمؤلف ، فإن الاعتذار عن هذا يرجع إلى أن الدراسات الدينية سمتها التكرار ، خاصة إذا لم يكن هناك ضمان بأن القارىء قد اطلع على تلك الكتب السابقة .

★

وأخيراً ، أرجو من القارىء المسلم ، الذى قد لا يسعفه الوقت أو المزاج لقراءة الكتاب كله ، فلا أقل من قراءة نصفه أو ثلثه الأخير ، فتلك أمانة أضعها بين يديه .

« إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولا . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفوراً رحيما . »(١)

صدق الله العظيم

أحمد عبد الوهاب

★★★

(١) سورة الأحزاب : ٧٢ ، ٧٣

الباب الأول

المسيحية والتبشير

- التبشير المسيحى الحقيقى
- التبشير المسيحى الصليبى
- مسيحية : بولس أم المسيح ؟!

الفصل الأول

التبشير المسيحى الحقيقى

التبشير بالملكوت المقترب :

فى يوم من أيام الله المباركات ، ولدت امرأة النبى زكريا ابناً فى فى شيخوختها اسمه يحيى ، وما هى إلا بضع شهور حتى ولدت قريبتها مريم العذراء ابنها المسيح عيسى ، بعد أن حملت به إثر نفخة من الروح القدس .

لقد نشأ يحيى وعيسى متعارفين متآلفين ، حتى إذا ما اشتد العود وقوى الساعد ، اعتزل يحيى فى البرارى ، وكان « يلبس وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه ويأكل جراداً وعسلا برياً — مرقس ١ : ٦ » .

وكذلك اعتزل المسيح عيسى سنوات طويلة صمتت عنها الأناجيل ، فلم تذكر شيئاً من أخباره إلا بعد أن حمل الرسالة وبدأ دعوته وله « نحو ثلاثين سنة — لوقا ٣ : ٢٣ » .

وقد اختلف العلماء فى تتبعهم للمسيح خلال تلك الفترة الطويلة التى فقدت فيها أخباره ، إلا أن اكتشاف « وثائق البحر الميت » عام ١٩٤٧ بدأ يلقى الضوء على تلك السنوات الصامتة من حياة المسيح ، مما دفع بعض العلماء إلى القول : « لقرون عديدة ، كان دارسو الكتاب المقدس من المسيحيين يتساءلون عن حقيقة المكان الذى عاش فيه يسوع ، وماذا كان يفعل خلال تلك الفترة التى تعرف بالثمانى عشرة سنة الصامتة من حياته ، والتى تمتد منذ بلغ الثانية عشرة إلى أن صار عمره ثلاثون عاماً . إن الوثائق التى تثير الدهشة والإشفاق ، التى تختص بمكتبة طائفة الأسينيين (من اليهود) والتى وجدت فى كهف تلو كهف قرب البحر الميت ، قد أعطتنا الإجابة أخيراً .

لقد بدأ يتضح للعلماء أن يسوع خلال تلك السنوات المفقودة كان تلميذاً في هذه المدرسة الأسينية ، كما أنهم بدأوا يقرون تدريجياً بوجود مماثلة مفزعة بين تعاليمه وألفاظه وبين نظيرتها التي قالها الأسينيون وزعيمهم الذي عرف باسم : معلم البر . » (١)

★

وأخيراً بدأ يحيى رسالته ؛ فكان « يعمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا . وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم — مرقس ١ : ٤ — ٥ » .

ثم كانت بشارته باقتراب ملكوت الله الذي يأتي بعده « قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات — متى ٣ : ٢ » .

ثم كان التمهيد لكي يبدأ المسيح دعوته ، « في تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن . وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه .....

وللوقت أخرجه الروح إلى البرية . وكان هناك في البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان — مرقس ١ : ٩ — ١٣ » .

« ولما أكمل إبليس كل تجربة ، فارقه إلى حين — لوقا ٤ : ١٣ » .

ثم ما لبثت سلطات الظلم أن قبضت على يحيى وأودعته السجن ، جزاء تنديده بعلاقة آثمة بين هيرودس الحاكم وزوجة أخيه .

« ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل .....

من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات .....

---

(١) Rev. Dr. Charles Potter : THE LOST YEARS OF JESUS REVEALED, Fawcett Publications, New York.

وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب — متى ٤ : ١٢ — ٢٣ » .

★

لقد كانت رسالة يحيى دعوة إلى التوبة والاستقامة ، ثم التبشير بملكوت السموات المقترب .

وكذلك كانت رسالة المسيح دعوة إلى التوبة والاستقامة ، وعملا من أجل التخفيف عن الشعب الإسرائيلى بعض معاناته المادية والروحية ، ثم التبشير بملكوت السموات المقترب .

لقد قال كلاهما نفس الألفاظ : «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » .

وتذكر الأناجيل بوضوح اهتمام المسيح بالتبشير بالملكوت المقترب ، واعتباره العمل الرئيسى الذى جاء من أجله . فلقد « كان الجموع يفتشون عليه فجاءوا إليه وأمسكوه لئلا يذهب عنهم . فقال لهم إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت . فكان يكرز فى مجامع الجليل — لوقا ٤ : ٤٢ — ٤٤ » .

وكان التبشير بالملكوت المقترب عملا رئيسياً أوصى به تلاميذه وحوارييه . فلقد «عين سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتى فقال لهم .... أية مدينة دخلتموها .... اشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله — لوقا ١٠ : ١ — ١٠ » .

★ ★

حقيقة الملكوت :

فى حوار ساخن بين المسيح وكهنة إسرائيل كان قوله لهم : «لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره — متى ٢١ : ٤٣» :

فمن الواضح أن ملكوت الله الذى كان فى بنى إسرائيل ثم نزع منهم ، لم يكن سوى النبوة والرسالة وما يرتبط بها من وحى وكتب سماوية : وكلها كانت الشيء الوحيد الذى تميز به بنو إسرائيل على العالمين حيناً من الزمن .

وحين ظهر يحيى بن زكريا كان اليهود ينتظرون ثلاثة من الأنبياء ، ولذلك سألوه قائلين : « ما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي — يوحنا ١ : ٢٥ » .

ولقد بيّن المسيح لمن حوله أن إيليا المنتظر قد جاء فى شخص يحيى ، فقال : « إن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى — متى ١١ : ١٤ » .

فلقد كانت بشارة الملاك لزكريا أن ابنه يحيى : « من بطن أمه يمتلىء من الروح القدس ، ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلاههم ، ويتقدم أمامه بروح إيليا — لوقا ١ : ١٥ — ١٧ » .

ولما كان المسيح قد جاء وبلغ الرسالة ، فلم يبق — إذن — فى سلسلة النبوة الكريمة إلا « النبى » الذى يجب أن ينتظره اليهود بعد المسيح .

ولما كان اليهود قد اشتهروا بظهور الأنبياء فيهم ؛ فإن تسمية هذا النبى المنتظر الأخير باسم « النبى » تعنى ولا شك أنه نبى ولكن ليس ككل الأنبياء. إنه نبى أمره جلل ونبأه عظيم .

وحتى بعد ظهور المسيح ، استمر الذين آمنوا به وقبلوه فى الخلط بينه وبين النبى المنتظر . ففى موعظة له فى العيد « كثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبى .

وآخرون قالوا هذا هو المسيح . . . .

فحدث انشقاق فى الجمع لسببه — يوحنا ٧ : ٤٠ — ٤٣ » .

★

لقد كان الملكوت الذى جاء يبشر به المسيح وتلاميذه يعنى الرسالة الإلهية التى تنتظرها البشرية جمعاء ، فتخلصها من شرور الحياة وتخفف عنها آلامها وتضمن لها السعادة والأمن فى دنياها وأخراها . وهى رسالة كاملة نبيها عظيم قال عنه المسيح لتلاميذه فى ساعاته الأخيرة معهم : « الحق أنه من الخير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ....

ومتى جاء ذاك يبكت العالم ....

إن لى أمور آكثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن.

وأما متى جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل بكل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية — يوحنا ١٦ : ٧ — ١٣ » .

ولقد بين يوحنا فى رسالته الأولى أن روح الحق هو إنسان صادق ، فقال : « نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ، ومن ليس من الله لا يسمع لنا . من هذا نعرف : روح الحق ، وروح الضلال — ٤ : ٦ » .

ومن قبل أن يكتب يوحنا إنجيله ورسائله بقرون عديدة ، تنبأ أشعياء فى سفره عن ذلك النبى المختار المبعوث للأمم جميعاً ، فكانت ملامحه الرئيسية التى يذكرها الإصحاح الثانى والأربعون تقول عنه :

١ — **اشتهر بأنه عبد الله ورسوله :** « هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » .

٢ — **يسود الدين وتكتمل الشريعة التى جاء بها فى عهده ، لا من بعده :** «لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته ».

٣ — **يعصمه الله من الناس فلا يتمكن منه أعداؤه :** « أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم ».

٤ — **ينتسب إلى إسماعيل بن ابراهيم :** « لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التى سكنها قيدار » . وقيدار هذا هو الابن الثانى لإسماعيل .

٥ — أعداؤه المنهزمون عبدة أوثان وأصحاب أصنام : « يخزى خزياً المتكلون على المنحوتات ، القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا » .

٦ — رجل حروب مقدام ينتصر على أعدائه : « الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه » .

٧ — فى دينه هتاف من رؤوس الجبال وتسبيح وتكبير : « من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر » .

٨ — الشعب الذى ظهر فيه كان متخلفاً ضعيفاً طعمة لكل آكل : « شعب منهوب ومسلوب ، قد اصطيد فى الحفر كله وفى بيوت الحبوس اختبأوا . صاروا نهباً ، ولا منقذ . وسلباً ، وليس من يقول رد » .

٩ — ولكن بعد أن جاءهم النبى قادهم من الظلمات إلى النور ، فخرجوا إلى العالم مستنيرين أقوياء : « لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المأسورين ، من بيت السجن الجالسين فى الظلمة » .

«أسير العمى فى طريق لم يعرفوها. فى مسالك لم يدروها أمشيهم . أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة. هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم» .

١٠ — حقاً إنه نبى البر الذى اشتهر بالشريعة السمحاء : « الرب قد سر من أجل بره ، يعظم الشريعة ويكرمها » .

ولما كان قد سبق الحديث بشىء من التفصيل عن البشارات بمحمد خاتم النبيين(٢) ، الذى جاء بعد المسيح « رحمة للعالمين » ، فنكتفى الآن بترديد قول المسيح فى الإنجيل : « من له أذنان للسمع فليسمع » .

★★

دائرة التبشير :

١ — قبل أن تحمل مريم العذراء بابنها المسيح كانت بشارة الملاك إليها تبين أن رسالة المسيح تختص بالشعب الإسرائيلى فقط ، إذ قال لها :

---

(٢) راجع كتاب المؤلف : النبوة والأنبياء — ص ١١٩—١٦٤

« ستحبلين وتلدين إبناً .. يعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية – لوقا ١ : ٣١–٣٣ »

ومن المعلوم أن المسيح لم يملك على بيت إسرائيل يوماً واحداً ، لأن مملكته لاتعني سوى رسالته وسلطانه الروحي ، فقد قال بوضوح : « مملكتي ليست من هذا العالم – يوحنا ١٨ : ٣٦ » .

٢ – ولقد حدد المسيح لنفسه ولتلاميذه مجال عمله ودائرة التبشير التي ينبغي التجول فيها ، فبين بكل وضوح أن رسالته تختص بالشعب الإسرائيلي فقط ، فقال قولته الشهيرة : « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة – متى ١٥ : ٢٤ » .

٣ – وكان ذلك هو أمره المشدد إلى تلاميذه « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة – متى ١٠ : ٥ – ٦ » .

ومن الملاحظ أن المسيح قد أخرج السامريين من دائرة عمله ، رغم أنهم يؤمنون بموسى والتوراة ، كما سبق أن أخرج الأمميين الذين ليسوا إسرائيليين ولا يؤمنون بموسى والتوراة .

٤ – وإذا ما انقضت هذه الحياة ، ثم جاء يوم القيامة ، فإن دينونة المسيح وتلاميذه تنحصر في أسباط إسرائيل الاثني عشر . فقد سأله بطرس : « ها نحن قد تركنا كل شيء ، وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟

فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده ، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر – متى ١٩ : ٢٧ – ٢٨ » .

ورغم هذا الوضوح في تحديد دائرة التبشير المسيحي الحقيقي ، فإننا نجد إنجيل مرقس ينسب للمسيح قوله لتلاميذه ، كتعليم أخير : « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها – مرقس ١٦ : ١٥ » . وقال مثل ذلك إنجيل متى في خاتمته (٢٨ : ١٩) ، وكذلك إنجيل لوقا (٢٤ : ٤٧) .

فكيف يتفق هذا مع ما سبق أن أعلنه المسيح وعمل به وعلمه لتلاميذه، وهو حصر رسالته فى بنى إسرائيل ؟

إن الإجابة على هذا السؤال تستدعى التعرف على الأناجيل ، وخاصة الفقرات التى اختتمت بها ، وما إذا كانت من عمل المؤلف الأصلى أم أنها إضافات أدخلت إليها فيما بعد .

وهنا نضطر إلى التذكرة — باختصار — ببعض ما سبقت دراسته بشىء من التفصيل(٣) .

★

إنجيل مرقس : يعتبر أقدم الأناجيل ، وقد كان مصدراً رئيسياً نقل عنه كل من متى ولوقا الشىء الكثير . وفى هـــذا تقول دائرة المعارف البريطانية :

« إن القول بأن متى ولوقا استخدما إنجيل مرقس ، أصبح على وجه العموم مسلماً به .

ولكن بجانب إنجيل مرقس فلابد أنهما استخدما وثيقة أخرى . . إننا لا نعلم ما هى الأشياء التى أغفل ذكرها هذا المصدر ، كما أننا لا نعرف خواصه ومحتوياته التى انفرد بها ولم ير فيها كل من متى ولوقا ما يناسبه لكى يضيفها إلى إنجيله » (٤) .

ويقول فريدريك جرانت : « لا يزال ما يرويه بابياس هو نقطة البدء فيما يتعلق بالتحليل الكافى للنواحى التاريخية والأدبية فى إنجيل مرقس ، إذ يقول : فى الواقع أن مرقس الذى كان ترجماناً لبطرس قد كتب بالقدر الكافى من الدقة التى سمحت بها ذاكرته ، ما قيل عن أعمال (يسوع) وأقواله ، ولكن دون مراعاة للنظام . ولقد حدث ذلك لأن مرقس

---

(٣) راجع كتاب المؤلف : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية — ص ١٥—١٢٤

(٤) المرجع ٢٩ : ج ٢ — ص ٥٢٣

لم يكن قد سمع (يسوع) ولا كان تابعاً شخصياً له ، لكنه فى مرحلة متأخرة قد تبع بطرس »(٥) .

وبالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل « فإنه غالباً ما يحدد فى الجزء المبكر من الفترة ٦٥ — ٧٥ م . . ويعتقد كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس فى الإصحاح ١٣ قد سطر بعد عام ٧٠ » .(٦) أى أن ما ذكره الإصحاح ١٣ عن هدم الهيكل قد سطر بعد وقوعه على أيدى الرومان .

ولقد وجد العلماء أن هذا الإنجيل — كغيره من الأناجيل — يثير عدداً من المشاكل ، منها الاختلافات التى تظهر فى مختلف النسخ . «فلقد زحفت تغييرات تعذر اجتنابها ، وهذه حدثت عن قصد أو بدون قصد . ومن بين مئات المخطوطات — أى النسخ التى عملت باليد — لإنجيل مرقس والتى عاشت إلى الآن ، فإننا لا نجد أى نسختين تتفقان تماماً »(٧) .

وثمة مشكلة أخرى هامة وخطيرة ، ألا وهى خاتمة الإنجيل ، ذلك أن نهاية هذا الإنجيل — كغيره من الأناجيل وخاصة إنجيل متى — غير متفق عليها فى النسخ المختلفة ، إذ أن الإصحاح ١٦ — وهو الأخير — من إنجيل مرقس يحتوى على ٢٠ عدداً ، **لكن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ « بالرغم من ظهورها فى أغلب المخطوطات الموجودة إلى الآن من إنجيل مرقس ، إلا أن النسخة القياسية المراجعة للكتاب المقدس كانت على صواب تام فى معاملتها لهذه الأعداد (من ٩ إلى ٢٠) على أنها غير شرعية ، ولذلك نقلتها من الأصل إلى الهامش . إن هذه الفقرة لا يمكن تحديد تاريخها الزمنى بالضبط ، ولكنها قبلت كجزء من إنجيل مرقس حوالى عام ١٨٠ م ، كما أن مؤلفها غير معروف البتة »(٨) .**

---

(٥) المرجع ١٣ : ص ٧٣

(٦) المرجع ١٤ : ص ٤٢

(٧) المرجع ١٤ : ص ١١

(٨) المرجع ١٤ : ص ٤٤٩ — ٤٥٠

مما سبق يتبين أن أحـــداً من علماء المسيحية لا يدرى حقيقة الخاتمة التى انتهى بها إنجيل مرقس ، وإن الغموض الذى يحيط بخاتمته لا يختلف كثيراً عن الغموض الذى يكتنف شخصية مرقس الذى التصق اسمه بهذا الإنجيل .

★

إنجيل متى : لا يتسع المقام هنا للحديث عن هذا الإنجيل — وغيره من بقية الأناجيل — من نواحى الغموض الذى يحيط بكاتبه وتاريخ تأليفه والمكان الذى كتب فيه ، فيكفى التذكرة باعتماد كاتبه — وكاتب إنجيل لوقا أيضاً — على إنجيل مرقس ، واعتباره مصدراً رئيسياً . ولكن يهمنا الحديث فقط عن خاتمته التى يشك فيها العلماء ويعتبرونها دخيلة عليه . فهى تنسب للمسيح قوله لتلاميذه : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس — ٢٨ : ٢٩ » .

ويرجع السبب فى ذلك الشك — كما يقول أدولف هرنك — إلى الآتى :

« ١ — لم يرد إلا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا .

٢ — إن صيغة التثليث هذه (التى تتكلم عن الآب والابن والروح القدس) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل ، وهو الشيء الذى كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً »(٩) .

★

إن هذا الذى عرفناه عن الأناجيل ، يحدد بوضوح أن الاعتماد على ما جاء فى خاتمتها من نقل دائرة التبشير من بنى إسرائيل إلى أمم

---

(٩) المرجع ١٧ : ص ٧٩

العالم الأخرى ، لا يتفق والحقيقة . فكل تلك الأقوال وما شابهها لا تعدو أن تكون إضافات إلحقت بالأناجيل ، وحدثت فى القرن الثانى من الميلاد بعد أن انقطع الأمل فى عودة المسيح سريعاً إلى الأرض ، فيما يعرف بالمجىء الثانى ، وهو الشىء الذى بشرت — ولا تزال تبشر — به الأناجيل فهى تقول :

فيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا ، وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر .

فأجاب يسوع وقال لهم : انظروا لا يضلكم أحد . فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان (المسيح) فى السماء . . ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء . .

الحق أقول لكم ، لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله — متى ٢٤ : ٣ — ٣٤ » .

لقد قرر إنجيل متى هنا أن نهاية العالم وعودة المسيح إلى الأرض تحدث قبل أن يفنى ذلك الجيل الذى عاصره فى القرن الأول من الميلاد . وهو قد قرر ذلك فى مواضع سابقة فأكد على عودة المسيح ثانية إلى الأرض قبل أن يكون بعض معاصريه قد ماتوا ، فقال على لسان المسيح :

« الحق أقول لكم أن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته — متى ١٦ : ٢٨ » .

وأكثر من ذلك وأهم هنا هو تأكيده على عودة المسيح ثانية قبل أن يكمل تلاميذه التبشير فى مدن إسرائيل ، فهو يقول :

« هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة .

إنى الحق أقول لكم لا تكاملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الانسان — متى ١٠ : ٥ — ٢٣ » .

والسؤال البدهى هنا ، والذى يفرض نفسه على كل القائمين بالتبشير المسيحى — قديماً وحديثاً — هو : إذا كانت عودة المسيح إلى الأرض ستتم بتلك السرعة وقبل أن يكمل تلاميذه التبشير فى مدن إسرائيل المتجاورة المحدودة ، فكيف يمكن الحديث بعد ذلك عن التبشير بين أمم العالم والتكريز بالإنجيل للخليقة كلها ؟ !

إن الإجابة على هذا السؤال واضحة تماماً ، وهى تتفق وما سبق بيانه من أن دائرة التبشير المسيحى الحقيقى لا تتجاوز بنى إسرائيل .

★

هذا ومن الجدير بالذكر أن فكرة المجىء الثانى السريع شائعة فى أسفار العهد الجديد ، وفيها يقول جون فنتون : « رغم أن إنجيل متى هو أحد كتب العهد الجديد الذى ذكر بوضوح حدوث النهاية السريعة للعالم ، فإننا فى الواقع نجد أن أغلب كتاب العهد الجديد قد عبروا عن هذه العقيدة « مرقس ١٣ : ٢٤ — ٣٠ ، لوقا ٢١ : ٢٥ — ٣٢ » . وفى اعتقاد كثير من العلماء أن يسوع نفسه كان يتطلع إلى عودته سريعاً إلى الأرض بعد وفاته فى مجد وبهاء . . إننا لا نستطيع أن نأخذ أقوال متى عن نهاية العالم حرفياً ، **فقد برهن التاريخ على خطئها » (١٠)**

★

(١٠) المرجع ١٥ : ص ٢١ — ٢٢

بعد رفع المسيح : حين نتتبع النشاط التبشيرى لتلاميذ المسيح وأتباعهم خلال ربع القرن الذى أعقب رفع معلمهم ، نجده قد وجه أساساً للعمل بين اليهود والدعوة فى مجامعهم . فمن المعلوم أن اليهود كانوا منتشرين فى أرجاء العالم الرومانى . وفى إحدى المحاورات بين المسيح واليهود نجد إنجيل يوحنا يشير إلى يهود الشتات اليونانيين فيقول :

« قال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى **ستطلبوننى ولا تجدوننى وحين أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا .**

فقال اليهود فيما بينهم : إلى أين هذا مزمع أن يذهب : **ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين — ٧ : ٣٣ — ٣٥ » .**

كذلك يذكر سفر أعمال الرسل خليطاً من اليهود الذين جاءوا إلى أورشليم للمشاركة فى العيد ، فيعدد منهم ١٦ أمة ويقول : « **وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء** . . فرتيون ، وماديون ، وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين ، واليهودية ، وكبدوكية ، وبنتس ، وأسيا ، وفريجية ، وبمفيلية ، ومصر ، ونواحى ليبية التى نحو القيروان ، والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء ، كريتيون ، وعرب — ٢ : ٥—١١ »

وبعد قتل استفانوس وتشتت أغلب التلاميذ والتابعين ، استمر التبشير المسيحى منحصراً فى اليهود ، إلا ما كان يقوم به بعض الغرباء مثل القبارصة وغيرهم من تبشير بين اليونانيين :

« أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأنطاكية ، **وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط .**

ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرسيون وقيروانيون الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع .. فآمن عدد كثير — أعمال الرسل ١١ : ١٩ — ٣١ » .

وبعد أن أدخل بولس نفسه عنوة فى زمرة التلاميذ ، اصطحبه الرجل الصالح برنابا للتبشير بين اليهود : « فهذان (برنابا وبولس) سافرا فى البحر إلى قبرس . ولما صارا فى سلاميس ، ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود — أعمال الرسل ١٣ : ٤ — ٥ » .

« أتوا إلى أنطاكية بسيدية ، ودخلوا المجمع يوم السبت وجلسوا. وبعد قراءة الناموس والأنبياء أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين أيها الرجال الاخوة إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا ، فقام بولس — — أعمال الرسل ١٣ : ١٤ — ١٦ » .

« أتيا (بولس وسيلا) إلى تسالونيكى حيث كان مجمع اليهود، فدخل بولس إليهم حسب عادته وكان يحاجهم ثلاثة سبوت من الكتب — أعمال الرسل ١٧ : ١ — ٢ » .

« وأما الاخوة فللوقت أرسلوا بولس وسيلا ليلا إلى بيرية وهما لما وصلا مضيا إلى مجمع اليهود .... فآمن منهم كثيرون — أعمال الرسل ١٧ : ١٠ — ١٢ » .

« بعد هذا مضى بولس من أثينا وجاء إلى كورنثوس .. وكان يحاج فى المجمع كل سبت ويقنع يهوداً ويونانيين — أعمال الرسل ١٨ : ١ — ٤ » .

« وأما بولس .. أقبل إلى أفسس .. ودخل المجمع وحاج اليهود — أعمال الرسل ١٨ : ١٩ » .

حتى إذا ما جاءت خاتمة سفر أعمال الرسل بوصول بولس إلى روما، نجده فى حوار مع اليهود :

« بعد ثلاثة أيام استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود . . فطفق يشرح لهم شاهداً بملكوت الله ومقنعاً إياهم من ناموس موسى والأنبياء بأمر يسوع من الصباح إلى المساء ، فاقتنع بعضهم بما قيل وبعضهم لم يؤمنوا — أعمال الرسل ٢٨ : ١٧ — ٢٤ » .

*

أما بعد — فلقد تبين لنا الآن أن تعاليم المسيح وتطبيقها وفق أعمال التلاميذ وتابعيهم ، قد أكدا كليهما أن دائرة التبشير بالمسيحية تنحصر فى اليهود .

وليس فى هذا ما يمكن اعتباره تضبيقاً للزاوية التى ترى المسيحية من خلالها ، بأى حال من الأحوال . فهذا موسى الذى انحصرت رسالته فى بنى إسرائيل ، يقف شامخاً — وكتابه التوراة — فى اليهودية والمسيحية والإسلام .

ولقد كان موسى وكتابه هما المرجع والملاذ الذى يركن إليه المسيح وتلاميذه فى البرهنة على صدق الرسالة المسيحية . فهذا إنجيل يوحنا يذكر على لسان المسيح قوله لليهود : « **لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه كتب عنى . فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك ، فكيف تصدقون كلامى ؟ !** — يوحنا ٥ : ٤٦ — ٤٧ » .

وها هو بطرس يتحدث عن نبوءة لموسى ظنها تتعلق بالمسيح ، فيقول : « إن موسى قال للآباء إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون فى كل ما يكلمكم به — أعمال الرسل ٣ : ٢٢ » .

وكذلك قال استفانوس (أعمال الرسل ٧ : ٣٧) .

لقد كانت هذه تذكرة لابد منها . . .

على أن ما يعنينا الآن هو تقصى الحقائق حول تغيير دائرة التبشير والخروج بالمسيحية من اليهود إلى الأمم ، ثم التعرف على الصورة التى قدمت — ولا تزال تقدم — بها العقيدة التى حملت اسم المسيح إلى العالم .

إن هذا ما سنتناوله بالبحث فى الفصل التالى .

★★★

الفصل الثانى

التبشير المسيحى الصليبى

مجتمع التلاميذ :

تذكر الأناجيل أن المسيح اختار اثنى عشر تلميذاً جعلهم رسله للتبشير فى بنى إسرائيل ، وفى هذا يقول إنجيل متى : « دعا تلاميذه الاثنى عشر.. وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهى هذه : الأول سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخوه . يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه . فيلبس وبرثولماوس. توما ومتى العشار . يعقوب بن حلفى ولباوس الملقب تداوس . سمعان القانوى ويهوذا الاسخريوطى — ١٠ : ١ — ٤ » .

ويتفق هذا مع قائمة الأسماء التى ذكرها مرقس (٣ : ١٦ — ١٩) لكنه يختلف عن قائمة لوقا التى تذكر يهوذا أخا يعقوب بدلا من لباوس الملقب تداوس (لوقا ٦ : ١٣ — ١٦) .

وبصرف النظر عن هذا الاختلاف ، فقد كان بطرس هو رئيس التلاميذ ومفوضه فى قيادتهم . ففى حديث قيل إنه جرى بين المسيح وبطرس أمام التلاميذ ، قال له : « طوبى لك يا سمعان بن يونا .. وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . **وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات** متى ١٦ : ١٧ — ١٩ » .

من ذلك يتضح أن المسيح أعطى بطرس تفويضاً مطلقاً بأن يقول ويفعل فى سبيل رسالة المسيح ما يشاء

ويذكر إنجيل يوحنا أن آخر تعليمات أصدرها المسيح لبطرس أمام تلاميذه ، أن جعله راعياً لهم : « فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس: ياسمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء . قال له نعم . . أنت تعلم أني أحبك . قال له إرع خرافي . . قال له أيضا ثانية . . ارع غنمي . . قال له ثالثة . . ارع غنمي ـــ ٢١ : ١٥ ـــ ١٧ » .

ولقد استمر بطرس في قيادة التلاميذ بعد رفع المسيح ، فكان هو الرئيس والمعلم والخطيب ، وكان هو الذى أوصى باختيار تلميذ بدلا من يهوذا الخائن ، فاختير متياس . ويذكر سفر أعمال الرسل عن قيادة بطرس للتلاميذ قوله :

« فى تلك الأيام قام بطرس وسط التلاميذ وكان عدة أسماء نحو مائة وعشرين فقال . . ينبغى أن الرجال الذين اجتمعوا معنا . . يصير واحد منهم شاهداً معنا . . ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس فحسب مع الأحد عشر رسولا ـــ ١ : ١٥ ـــ ٢٦ » .

وبعد أن « امتلأ الجميع من الروح القدس . . وقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم : أيها الرجال اليهود . . اصغوا إلى كلامى . . **يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم تعلمون** . . توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس . . وبأقوال أخر كثيرة كان يشهد لهم ويعظهم . . فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا **وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس** ـ أعمال الرسل ٢ : ١٤ ـ ٤١ » .

ويطول بنا الحديث عن بطرس وقيادته للتلاميذ وأثره القوى فى نشر دعوة المسيح ، ولهذا نكتفى بما عرضناه على أن تكون خاتمته بعض عجائب بطرس :

« كان مؤمنون ينضمون للرب أكثر ، جماهير من رجال ونساء ، حتى انهم كانوا يحملون المرضى خارجاً فى الشوارع ويضعونهم على فرش

وأسرة حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على أحد منهم واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة ، وكانوا يبرأون جميعهم – أعمال الرسل ٥ : ١٤ – ١٦ » .

لكن هذا الحال مالبث أن تغير تماماً ، وتغير تبعاً لذلك مفهوم الدعوة ومسارها ، حين ظهر بولس فجأة فى مجتمع التلاميذ ، فكان ظهوره بمثابة انقلاب على تلاميذ المسيح والدعوة التى تلقوها من معلمهم .

ولم يلبث بولس أن اشتبك فى صراع مع بطرس شيخ التلاميذ واتهمه بالنفاق ، وفى هذا يقول : « لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً . لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان . وراءى معه باقى اليهود أيضاً حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم – غلاطية ٢ : ١١ – ١٣ » .

ثم مالبث بطرس ونشاطه التبشيرى أن اختفى من سفر أعمال الرسل ، هذا الذى يعرف فى الواقع باسم سفر أعمال بولس بعد أن طغى على الآخرين .

★★

بولس يهودياً :

اشتهر بولس بتعصبه ليهوديته ومشاركته فى اضطهاد المسيحيين وقتلهم والسطو على الكنيسة . ويذكر سفر أعمال الرسل أن الذين قتلوا استفانوس « خلعوا ثيابهم عند رجلى شاب يقال له شاول (بولس) . . وكان شاول راضيا بقتله – ٧ : ٥٨ ، ٨ : ١ » .

« وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن – أعمال الرسل ٨ : ٣ » .

« **أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب .** فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم ـ أعمال الرسل ٩ : ١ ـ ٢ » .

وفجأة أعلن بولس أنه قد أصبح رسولا للمسيح إثر حادثة قال إنها وقعت له فى طريق الذهاب إلى دمشق . **ولما كانت هذه الحادثة تعتبر الأساس الوحيد الذى بنى عليه بولس اعلانه قبول المسيحية ثم اختياره رسولاً من المسيح للتبشير بها ، كان من اللازم تمحيصها حتى نتبين حقيقة الأمر .**

لقد ذكر لوقا ـ كاتب الإنجيل وسفر أعمال الرسل ـ قصة تحوّل بولس إلى المسيحية واختياره رسولا لها فى ثلاثة مواضع : الأول على لسان لوقا فى الإصحاح التاسع ، وأما الثانى والثالث فقد أوردهما على لسان بولس فى الإصحاحين الثانى والعشرين والسادس والعشرين على الترتيب .

يقول الإصحاح التاسع : « فى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء . فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدنى . فقال من أنت يا سيد . فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده . فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل.

فقال له الرب : قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل .

وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين ، يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً .

فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً . فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق . وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب ـ ٩ : ٣ ـ ٩ » .

من ذلك يتبين أن المسافرين مع بولس : سمعوا الصوت ـ لم ينظروا النور ـ وقفوا صامتين ـ لم يعموا مثله ولذلك اقتادوه إلى دمشق ـ وهناك سيتلقى الرسالة ويعرف المهمة .

ويقول الإصحاح الثانى والعشرين على لسان بولس :

« حدث لى وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولى من السماء نور عظيم . فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلا لى : شاول شاول لماذا تضطهدنى. فأجبت من أنت يا سيد . فقال لى أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده .

والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى .

فقلت ماذا أفعل يارب . فقال لى الرب قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل . وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النـــور اقتادنى بيدى الذين كانوا معى فجئت إلى دمشق — ٢٢ : ٦ — ١١ » .

أى أن المسافرين مع بولس : لم يسمعوا الصوت — نظروا النور وارتعبوا — ومع ذلك لم يعموا مثله ولذلك اقتادوه إلى دمشق — وهناك سيتلقى الرسالة .

ويقول الإصحاح السادس والعشرين على لسان بولس أيضاً :

« رأيت فى نصف النهار فى الطريق أيها الملك نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولى وحول الذاهبين معى . فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتاً يكلمنى ويقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضطهدنى .

صعب عليك أن ترفس مناخس . فقلت أنا من أنت يا سيد فقال أنا يسوع الذى أنت تضطهده . ولكن قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به . منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم — ٢٦ : ١٣ — ١٧ » .

أى أن المسافرين مع بولس : سقطوا معه على الأرض إذ فوجئوا بالنور — أما بولس فقد تلقى الرسالة فوراً (لقوله : أناالآن أرسلك إليهم)— مع وعد بإنقاذه من الشعب اليهودى والأمم الذين أرسل إليهم فلا يقضوا عليه ، كما سبق انقاذ كثيرين من أيدى أعدائهم مثل داود الذى قال«فى اليوم الذى أنقذه فيه الرب من أيدى كل أعدائه .. أمواج الموت اكتنفتنى .. أنقذنى من عدوى القوى — صموئيل ٢٢ : ١—١٨ » .

ونجمل خلاصة الملاحظات على رؤيا بولس واختياره رسولا للمسيح فى الجدول التالى :

رقم الإصحاح	موقف المسافرين مع بولس	بولس
٩	سمعوا الصوت—لم ينظروا النور — وقفوا صامتين	أمره المسيح بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة
٢٢	لم يسمعوا الصوت — نظروا النور	أمره المسيح بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة
٢٦	نظروا النور — سقطوا على الأرض	أعطاه المسيح الرسالة فوراً مع وعد بإنقاذه من اليهود والأمم الأخرى

لم يبق لنا بعد هذا الذى رأيناه من تعليق سوى التذكرة بقاعدة أصولية تحكم الناس فى حكمهم فى مختلف القضايا ، قاعدة تقول : **ماتسرب إليه الاحتمال ، سقط به الاستدلال .**

ونحن هنا فى موقف يهون معه تسرب الاحتمال ، فلقد وضح جلياً عظم التناقض والاختلاف ، **خاصة إذا علمنا أن بولس انتهت حياته بالقتل فى روما على أيدى الأمميين . فلم ينقذ ، كما سبق إنقاذ داود من أعدائه حتى مات ميتة طبيعية .**

★★

بولس مسيحياً :

لما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . **وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل ..**

فكان معهم يدخل ويخرج فى أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع — أعمال الرسل ٩ : ٢٦—٢٨ » .

لقد رفض تلاميذ المسيح قبول بولس بينهم ، لولا شفاعة برنابا الرجل الصالح الذى قدمه إليهم ، وبناء على ثقتهم فى برنابا فقد تركوه « يدخل ويخرج » معهم . لكن بولس لم يلبث أن انقلب على برنابا ، كما سنرى بعد قليل .

إن تاريخ الرسالات السماوية حافل بالكثيرين ممن كانوا من أشد الناس عداوة لها وكفراً بها ، ثم مالبثوا —بعد أن آمنوا بها — أن تحولوا إلىأخلص دعاتها . لكنهم بعد أن تلقوا تعاليمها من صاحب الدعوة ذاته أو من صحابته وتابعيهم ، التزموا بتلك التعاليم ، وقاموا يدعون لهـا بكل أمانة وإخلاص .

لكن مشكلة بولس فريدة فى نوعها ، فمع أنه لم يكن أصلا من تلاميذ المسيح ، ولم يحظ برؤيته والحديث إليه — ولو مرة واحدة — فى حياته ، إذا به بعد أن أعلن نفسه رسولا للمسيح ، يقرر أن مفهومه للمسيحية إنما هو شىء يختص به ، تلقاه من المسيح مباشرة فى تلك الرؤيا التى قيل إنه رآها فى الطريق إلى دمشق ، ومن ثم فلا حاجة به إلى استشارة تلاميذ المسيح وحوارييه . وفى هذا يقول بولس :

« أعرفكم أيها الاخوة الإنجيل الذى بشرت به ، أنه ليس بحسب إنسان ، لأنى لم أقبله من عند إنسان ،ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح..

ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم ، للوقت لم أستشر لحماً ودماً ، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى ، بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضاً إلى دمشق .

ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً . ولكننى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب ..

بعد ذلك جئت إلى أقاليم سورية وكيليكية . ولكننى كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التى فى المسيح — غلاطية ١ : ١١—٢٢ » .

لقد ظل بولس يبشر بالمسيحية وفق مفهومه الخاص طيلة سنوات ثلاث ، وهى أطول فترة يظن العلماء أن المسيح استغرقها فى دعوته بين الناس ، وأخيراً ذهب بولس إلى أورشليم ليتعرف ببطرس رئيس التلاميذ ، فمكث عنده أسبوعين قابل خلالها يعقوب أخا المسيح .

ثم كانت عودته إلى أورشليم بعد ١٤ سنة للتأكد من أن تعاليمه التى بشر بها بين الناس ليس بها ما يرفضه التلاميذ المعتبرون . وفى هذا يقول بولس :

« ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم مع برنابا آخذاً معى تيطس أيضاً وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ، ولكن بالانفراد على المعتبرين ، لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلا ..

وأما المعتبرون أنهم شيء ، مهما كانوا ، لافرق عندى . الله لا يأخذ بوجه إنسان . فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على بشيء — غلاطية ٢ : ١—٦ » .

ولقد اقترن النشاط التبشيرى لبولس بحملته الشديدة على شريعة موسى ، فأحدث ذلك موجة من البلبلة والانقسام فى الجماعة المسيحية الناشئة ، صاحبه

استنكار من شيوخ التلاميذ الذين واجهوه بذلك الاتهام ، طالبين منه تبرئة موقفه :

« دخل بولس معنا إلى يعقوب وحضر جميع المشايخ .. وقالوا له أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا وهم جميعاً غيورون للناموس . **وقد أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلا أن لايختنوا أولادهم ولايسلكون حسب العوائد . فماذا يكون ؟**

لابد على كل حال أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون أنك قدجئت. **فافعل هذا الذى نقول لك :** عندنا أربعة رجال عليهم نذر . خذ هؤلاء وتطهر معهم .. فيعلم الجميع أن ليس شيء مما أخذوا عنك ، بل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس — أعمال الرسل ٢١ : ١٨—٢٤ » .

لقد كان بعض اليهود الذين آمنوا بالمسيح يرون أن **الأمميين** — غير اليهود — الذين قبلوا المسيحية مثلهم « ينبغى أن يختنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى . **فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا فى هذا الأمر** . فبعد ماحدثت مباحثة كثيرة .. كتبوا بأيديهم .. إلى الاخوة الذين من الأمم فى أنطاكية وسورية وكيليكية .. نحن لا نضع عليكم ثقلا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة . **أن تمتنعوا : عما ذبح للأصنام ، وعن الدم ، والمخنوق ، والزنا** — أعمال الرسل ١٥ : ٤—٢٩ » .

لكن هذا المرسوم الذى أصدره تلاميذ المسيح وشيوخ الكنيسة فى أورشليم ، وراعوا فيه التيسير على غير اليهود — مع التمسك بأقل القليل من شريعة موسى التى حرص المسيح عليها دائماً — لم يلبث أن عطله بولس ، وماذلك إلا لحفيظة فى نفسه ضد كنيسة أورشليم ومايصدر عنها ، ومحاولاته المستمرة للتبشير بالمسيحية بعيداً عن قيادتها .

يقول بليك لوك — الأستاذ بجامعة أوكلاند بنيوزيلاند — فى تفسيره لسفر أعمال الرسل :

« إن الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ٨ : ٤ تبين أن بولس قد تبنى علناً وجهة نظر أكثر انطلاقاً عما تساهل فيه المرسوم الذى صدر عن كنيسة أورشليم من قيود (**وذلك فى قوله : من جهة أكل ماذبح للأوثان ، نعلم أن ليس وثن فى العالم**) ..

لقد كان مسار التاريخ العابس هو المسئول عن تحطيم قوة كنيسة أورشليم.. هذه التى شعر بولس أنها قد أدانته (كما فى أعمال للرسل ٢١ : ٢٠— ٢٦ ، وكما يقول بولس فى رسالته إلى أهل رومية : لكى أنقذ من الذين هم غير مؤمنين فى اليهودية) ..

ففى أثناء التمرد الذى حدث عام ٦٦ ميلادية هرب المسيحيون من أورشليم .. وبعد أن أقفرت أورشليم عقب حصارها وتدميرها عام ٧٠ ميلادية ، فإن تاثيرهم فى المسيحية كان قد انتهى »(١) .

★

بولس وبرنابا :

لقد كان برنابا هو الذى أدخل بولس فى مجتمع التلاميذ ، فقبلوه بينهم بناء على ثقتهم فى برنابا الذى يشهد له سفر أعمال الرسل بالتقوى والصلاح ، إذ يقول فيه :

« سمع الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم ، **فأرسلوا برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية .. لأنه كان رجلا صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان ..**

ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول (بولس) ولما وجده جاء به إلى أنطاكية . فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعاً غفيراً . ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولا ..

---

(١) المرجع ١٦ : ص ١١٤ – ١١٥

حتم التلاميذ .. أن يرسل كل واحد شيئاً خدمة إلى **الاخوة الساكنين** في اليهودية . ففعلوا ذلك مرسلين إلى المشايخ بيد **برنابا وشاول** — أعمال الرسل ١١ : ٢٢ — ٣٠ » .

« **ورجع برنابا وشاول من أورشليم** بعدما كملا الخدمة وأخذا معهما الملقب مرقس — أعمال الرسل ١٢ : ٢٥ » .

ولقد كان الروح القدس هو الذى قدم برنابا على بولس فى الدعوة التبشرية :

«**قال الروح القدس أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه..** فهذان إذ أرسلا من الروح القدس .. سافرا فى البحر إلى قبرس — أعمال الرسل ١٣ : ٢—٤ » .

« كتبوا بأيديهم هكذا : الرسل والمشايخ .. رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا **برنابا وبولس** — أعمال الرسل ١٥ : ٢٣—٢٥ » .

لقد كان برنابا موضع ثقة التلاميذ وكنيستهم الأولى التى اعتبرته مفوضها وخاصة فى المواقف الصعبة ، وكان هو المتقدم على بولس ، وقبل ذلك كله فإنه المسئول عن قبول التلاميذ لبولس كواحد منهم ، ومع ذلك فقد تشاجر معه بولس وانفصل عنه ليبشر بالمسيحية التى قبلها وفق مفهومه الخاص :

« **حصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر** . وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرس . وأما بولس فاختار سيلا .. فاجتاز فى سورية وكيليكية يشدد الكنائس — أعمال الرسل ١٥ : ٣٩—٤١ » .

وكما ظهر بولس فجأة فى قائمة المبشرين ، فإن كل من اصطدم ببولس من التلاميذ قد اختفى فجأة من سفر أعمال الرسل — الذى اعتبر سفراً لأعمال بولس — وهكذا اختفى برنابا ونشاطه التبشيرى .

يقول الإنجيل إن المسيح «**عين سبعين آخرين** وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان مزمعاً أن يأتى . . فرجع السبعون بفرح قائلين يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك . فقال لهم ·· ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب ·· ولكن لاتفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرى **أن أسماءكم كتبت فى السموات** ــ لوقا ١٠ : ١ــ٢٠ » .

ويقول كتاب « تاريخ الكنيسة » ليوسابيوس القيصرى : « لايوجد أى بيان عن أسماء التلاميذ السبعين . **ويقال إن برنابا كان فعلا واحداً منهم** ، وقد تحدث عنه سفر أعمال الرسل فى عدة مواضع ··

وقد قرر أكليمنفس الاسكندرى أن برنابا كان أحد السبعين »**(٢)** .

فإذا كان برنابا واحداً من الذين حظوا بالتلمذة على المسيح مباشرة ، وقد حمله البشارة إلى الإسرائيليين ، وبشره بكتابة اسمه فى السموات ، فإن هذا يعنى ببساطة أن الحق الذى حدثت بسببه المشاجرة بين برنابا وبولس كان فى جانب برنابا ، ولاشك .

★★

شخصية بولس :

يمكن التعرف على شخصية بولس وتحديد ملامحها الرئيسية وما يتعلق بها من فكر وسلوك وأساليب عمل ، وذلك مما سطره بولس فى رسائله .

الله فى فكر بولس : لقد كان بولس يظن أن عنده روح الله ، فهو يقول :

« **أظن أنى أنا أيضاً عندى روح الله** ــ(١) كورنثوس ٧ : ٤٠ » .

وفى تصور بولس أن أعماق الله ــ إن صح هذا التعبير الغريب ــ خاضعة للفحص :

---

(٢) المرجع ١ : ص ٥٢

« الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله –(١) كورنثوس ٢ : ١٠ ».

وإذا كان عبدة الأوثان والحيوانات والقوى الخفية قد درجوا على مر العصور على أن ينسبوا لها القوة المطلقة والعلم المحيط ؛ إلا أن بولس عجز عن السمو بإلهه إلى ذلك المستوى ، فنسب لله – سبحانه – جهالة وضعفاً ، وإن كانتا أفضل مما عند الناس . فهو يقول :

« جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس –(١) كورنثوس ١ : ٢٥ » (*) .

ورغم أن بولس عاش يبشر بسفك دم المسيح كفارة عن الخطايا ، وجهد نفسه فى استخراج مختلف المبررات والمزاعم ، إلا أنه اعترف بأن الله – سبحانه –كان فى هذا العمل غير رحيم ، إذ يقول :

« إن كان الله معنا فمن علينا . الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين – رومية ٨ : ٣٢ » .

★

بولس المبشر : اختط بولس لنفسه قاعدة سار عليها فى عمله التبشيرى وهى أن : الغاية تبرر الوسيلة . لقد كانت غايته كسب أكبر عدد من البشر لما قام يدعو إليه ، من أجل ذلك لم يتورع عن اللجوء إلى مختلف الوسائل لاقتناص الناس . فهو يعترف بذلك إذ يقول :

« إنى إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين . فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس . مع أنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء . صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً ، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه –(١) كورنثوس ٩ : ١٩–٢٣ » .

(*) تقول الترجمة الإنجليزية المناظرة لهذا القول :

«The foolishness of God is wiser than men ; and the weakness of God is stronger than men.»

« **أنا أيضاً أرضى الجميع فى كل شىء** غير طالب مايوافق نفسى بل الكثيرين لكى يخلصوا –(١) كورنثوس ١٠ :٣٣ » .

ولذلك لم يكن هناك حرج من استخدام الكذب وغيره لزيادة الأتباع :

«**إن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده ، فلماذا أدان أنا بعد كخاطىء** – رومية ٣ :٧ » .

★

بولس الفخور : لقد جعل بولس نفسه قديساً ، لايدين العالم فقط بل والملائكة كذلك :

« ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم .. ألستم **تعلمون أننا سندين ملائكة** ، فبالأولى أمور هذه الحياة –(١) كورنثوس ٦ :٢–٣ » .

« مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح .. **اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين** وبلا لوم قدامه فى المحبة – أفسس ١ :٣–٤ » .

إن القديسين الذين تكلم عنهم بولس ما بلغوا تلك المرتبة إلا بعد حفظهم لحدود الله ، أما بولس فقد أعطى لنفسه الحق فى كل شىء :

« **كل الأشياء تحل لى** ، لكن ليس كل الأشياء توافق . **كل الأشياء تحل لى** ، لكن لايتسلط على شىء .. **كل الأشياء تحل لى** ، ولكن ليس كل الأشياء تبنى –(١) كورنثوس ٦ :١٢ ، ١٠ :٢٣ » .

وفى مقارنة بينه وبين رسل المسيح ، يقول :

« قد صرت غبياً وأنا أفتخر . أنتم ألزمتمونى ، لأنه كان ينبغى أن أمدح منكم ، **إذ لم أنقص شيئاً عن فائقى الرسل** ، وإن كنت لست شيئاً –(٢) كورنثوس ١٢ :١١ » .

« ليتكم تحتملون غباوتى قليلا . بل أنتم محتملى .. **لأنى أحسب أنى لم أنقص شيئاً عن فائقى الرسل** . وإن كنت عامياً فى الكلام فلست فى العلم –(٢) كورنثوس ١١ :١–٦ » .

وأخيراً يقول بولس :

« وقد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الإيمان . وأخيراً قد وضع لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل —(٢) تيموثاوس ٤ : ٧—٨ » .

★

بولس وخطاياه الجسدية : لقد كان بولس يرى أن كبح شهوات الجسد إنما هو أمر جد عسير ، عجز هو شخصياً عن تحقيقه ، فبقى أسيراً فى قبضتها ، يصرخ طالباً من ينقذه منها :

« لست أعرف ما أنا أفعله ، **إذ لست أفعل ما أريده ، بل ما أبغضه فإياه أفعل . .**

إنى أعلم أنه ليس ساكن فى ، أى فى جسدى ، شىء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندى ، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد .

لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أويده فإياه أفعل ..

لكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى .

ويحى أنا الإنسان الشقى : من ينقذنى من جسد هــذا الموت — رومية ٧ : ١٥—٢٤ » .

★★

أما بعد . . .

لقد كانت الرؤيا النهارية التى أعلن بولس تعرضه لها هى الإعلان عن تحوله إلى المسيحية ليكون رسولا للمسيح ، ثم كانت رؤياه الليلية هى التى قادته للتبشير بين الأمم ونقل التبشير بالمسيحية خارج بنى إسرائيل :

« **ظهرت لبولس رؤيا فى الليل : رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقول** اعبر إلى مكدونية وأعنا . فلما رأى **الرؤيا للوقت طلبنا** أن نخرج إلى مكدونية **متحققين أن الرب قد دعانا لنبشرهم -أعمال الرسل ١٦ : ٩-١٠**» .

وفى كورنثوس يئس بولس من اليهود **فانتقل** للتبشير بين الأمميين :

« إذ كانوا (اليهود) يقاومون **ويجدفون** ، **نفض** ثيابه وقال لهم دمكم على رؤوسكم ..

من الآن أذهب إلى الأمم .. فقال الرب لبولس برؤيا فى الليل لاتخف بل تكلم ولاتسكت . لأنى أنا معك ولايقع بك أحد ليؤذيك - أعمال الرسل ١٨ : ٦-١٠ » .

« **وفى الليلة التالية وقف به الرب** وقال : ثق يابولس لأنك كما شهدت بما لى فى أورشليم هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً -أعمال الرسل ٢٣ : ١١» .

وفى كل هذا كان بولس يبشر بمسيحية **اختص بها** - سوف نعرض لها فى الفصل التالى - وتختلف تماماً عن مسيحية المسيح . وعلى خطى بولس سار التبشير المسيحى التقليدى ، أو بالأحرى التبشير الصليبى الذى لايرى فى المسيحية سوى الصلب وسفك الدم .

★★★

الفصل الثالث

مسيحية : بولس أم المسيح ؟!

نعم ... إنهما مسيحيتان ، لامسيحية واحدة ...

ولاعجب فإن أسفار العهد الجديد — بأناجيلها الأربعة ورسائل التلاميذ وتابعيهم ومن دخل فى زمرتهم — لاتمثل فكراً عقائدياً واحداً ، ولكنها تمثل عقائد مختلفات . يقول فريدريك جرانت : « **إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع ،فهو لايمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره ، لكنه فى الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة** »(١) .

وتبرز هذه المشكلة الخطيرة فى الأناجيل الأربعة ، مما دفع دائرة المعارف الأمريكية إلى تقرير أن« **الاختلاف بينهم عظيم.. لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) باعتبارها صحيحة وموثوقاً فيها فإن مايترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا** »(٢) .

★

لكن بولس هو صاحب المسيحية التقليدية التى شاعت وذاعت ، وقامت أساساً على الصلب وسفك الدم ، وأدخلت على مسيحية المسيح الحقة الشىء المخالف والخطير .

لذلك اعتبر بعض العلماء أن بولس هو مؤسس المسيحية ، أو على الأقل هو شريك المسيح فى تأسيسها .

---

(١) المرجع ١٣ : ص ١٥

(٢) المرجع ٢٨ : ج ١٣ — ص ٧٣

يقول العالم الأمريكى مايكل هارت فى كتابه «المائة: قائمة بأعظم الناس أثراً فى التاريخ» — وقد وضع محمداً رسول الله على رأس القائمة، ثم جعل المسيح يأتى فى المرتبة الثالثة، وبولس فى المرتبة السادسة — حين يتحدث عن المسيحية فإنه يقول :

« **إن المسيحية لم يؤسسها شخص واحد، وإنما أقامها اثنان : المسيح وبولس** . فالمسيح قد أرسى المبادىء الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظرتها الروحية ومايتعلق بالسلوك الإنسانى، أما مبادىء اللاهوت فهى من صنع بولس . فالمسيح هو صاحب الرسالة المسيحية، ولكن بولس أضاف إليها عبادة المسيح، كما أنه ألف جانباً كبيراً من العهد الجديد، وكان المبشر الأول للمسيحية فى القرن الأول .

« **إن عدداً من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة المسيحية هو بولس، وليس المسيح . وليس من المنطق فى شىء أن يكون المسيح نفسه مسئولا عما أضافته الكنيسة أو رجالها إلى الديانة المسيحية، فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه** » .

ثم يقول هارت عن أفكار بولس : «إن يسوع لم يكن فقط نبياً بشراً، بل كان إلهاً حقاً، وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر، وأنه إذا آمن الإنسان بيسوع المسيح فسوف تغفر خطاياه .

وبولس هو الذى أوضح فكرة الخطيئة الأولى، وأعلن أنه لاداعى للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية فى الطعام والطهارة، ولاداعى للتمسك بتعاليم موسى، لأن تطبيق ذلك ليس كافياً لخلاص الإنسان .

لكن المسيح لم يكن يبشر بشىء من هذا الذى قاله بولس الذى يعتبر المسئول الأول عن تأليه المسيح»(٣) .

---

(٣) مجلة «أكتوبر» : العددين ١٠٤، ١٠٦

لقد كان هذا ملخصاً لأفكار بولس وأثره فى المسيحية ، ولسوف نعرض لأهم ما أثاره من قضايا بشىء من التفصيل .

★★

١ - بولس والمسيح :

لقد انصرف بولس عن تعاليم المسيح وما جاء يبشر به من ضرورة الإيمان بالله الواحد الذى يقبل الكل وتشرق شمسه على الأشرار والصالحين وجعل كل همه الحديث عن المسيح والصليب بأفكار متضاربة وفلسفات تضاهى أقوال الذين اصطنعوا آلهة ثم عبدوها ، مثل قدماء المصريين والهنود والإغريق . يقول هنتر - عميد كلية المسيح بجامعة إبردين بإنجلترا - عن مفهوم بولس للمسيحية :

« إن شخص المسيح يقف فى قلب مفهوم بولس للمسيحية كعقيدة خلاص »(٤) .

ولا غرو ؛ فهذا بولس يقول : « إنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا المسيح وإياه مصلوباً-(١) كورنثوس ٢ : ٢ » .

وهذا الإنجيل الذى قام يبشر به بولس لم يتعلمه من المسيح إبان إحياته - لأنه لم يحظ برؤياه - ولم يكن تعليما نقله عن تلاميذه المعتبرين ، تما كان رؤيا تضاربت فيها الأقوال ، كما سبق بيانه .

وإذا علمنا أن الموضوع الرئيسى الذى سبب الشقاق الدينى المسيحى ، وما اصطبغ به من صراع دموى رهيب وتكفير كل فرقة مسيحية لمخالفيها فى الرأى ، كان كما يقول المؤرخ الإنجليزى ستيفن رنسيمان : « طبيعة المسيح الذى تعتبر أهم وأعقد المشاكل فى أصول الدين المسيحى »-(٥) لأدركنا على الفور المنعطف الخطير الذى دفع بولس بمسيحية المسيح

(٤) المرجع ١٨ : ص ٧٠

(٥) المرجع ٢ : ج ١ - ص ٢٠

الحقة لتنزلق إليه ، بعد أن وضع بذرة الشقاق الذى لايزال ينمو إلى الآن ، وأغرق الناس فى متاهات الحديث عن طبيعة الداعى بدلا من الحديث عن تعاليمه ومواعظه .

★

ويلخص هنتر فكر . ولس فى المسيح ، فيقول : « إن بولس يصف هذا المخلص بأعظم الألقاب ، رغم أن استخدامه للقب مخلص نادر جداً (المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد — إفسس ٥ : ٢٣ ، فيلبى ٣ : ٢٠) . ومن بين ألقاب التمجيد التى دعاه بها : مسيح — رب — ابن الله .

وفى مواضع أخرى يتحدث عنه بأنه : الحكمة الإلهية — آدم الثانى ، على الرغم من أنه لم يستخدم أبداً لقب ابن الإنسان (الشائع فى الأناجيل).

وهو يؤكد بشرية المسيح الكاملة : مولود من امرأة — تحت الناموس.. ومن غير المحتمل أن يكون سماه : الله (الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد — رومية ٩ : ٥) ، إلا أنه يذكر المسيح مثل الله الآب تماماً (سلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح — رومية ١ : ٢٧ ، (١) تسالونيكى ١ : ١ ، (٢) كورنثوس ١٣ : ١٤) .

ثم هو يدعوه ابن الله بمعنى لانملك إلا أن نصفه بأنه منقطع النظير (الله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية .. الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا — رومية ٨ : ٣ ، ٣٢ ؛ نقلنا إلى ملكوت ابن محبته .. الذى هو صورة الله — كولوسى ١ : ١٣ — ١٥) ، ويؤكد على أن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً (كولوسى ٢ : ٩) ، وبينما هو يلحق بيسوع لغة العهد القديم المستخدمة ليهوه (إله إسرائيل ، مثل قوله : لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لايخزى .. لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص — رومية ١٠ : ١١ — ١٣) ، فإنه يعتبر يسوع أقل منزلة من الله (رأس المرأة فهو الرجل ورأس المسيح فهو الله — (١) كورنثوس ١١ : ٣ ، ١٥ : ٢٤) .

ورغم أنه ولد وعاش كموحد صارم ، **إلا أنه يستطيع أن يصلى ليسوع كما لو كان يصلى لله تماماً** . وعلاوة على ذلك فإن بولس يظن أن للمسيح وجوداً سابقاً (لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح –(١) كورنثوس ١٠ : ٤ ؛ لكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس – غلاطية ٤ : ٤) .

ثم هو ينسب إليه دوراً كونياً فى عملية الخلق (رب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به –(١) كورنثوس ٨ : ٦ ؛ فيه خلق الكل مافى السموات وما على الأرض .. الكل به وله قد خلق ، الذى هو قبل كل شىء وفيه يقوم الكل – كولوسى ١ : ١٦–١٨) .

وأخيراً فإن بولس يربط المسيح الحى بالروح (القدس) ، وبينما يرجح عدم تمييزه بينهما فإنه يذهب إلى الحد الذى يقول فيه : الرب هو الروح –(٢) كورنثوس ٣ : ١٧ . إن هذا باختصار هو مفهوم بولس للمسيح »(٦) .

★

من الواضح أن بولس لايعبر إلا عن فكر مضطرب فى المسيح ، فهو يكاد يخلط بينه وبين الله حيناً (**مخلصنا الله** .. سلام من الله الآب **والرب يسوع المسيح مخلصنا** – تيطس ١ : ٣–٤) ثم يركز على أن المسيح ابن الله فى أغلب الأحيان .

إن لغة أسفار العهد القديم قد تحدثت عن « بنوة » لله حين أشارت إلى الشعب الإسرائيلى وبعض أنبيائه ، لتعنى بذلك المحبة والرعاية من الله لخلقه ، ولاشىء غير هذا .

وكذلك تحدثت الأناجيل عن تلك البنوة بنفس المفهوم الذى لايعطى للمسيح وضعاً يميزه عن سائر المؤمنين . ويكفى التذكرة هنا بما أورده

---

(٦) المرجع ١٨ : ص ٨٠

إنجيل يوحنا على لسان المسيح ، مشيراً إلى الله : « **أبى وأبيكم ، وإلهى وإلهكم** – يوحنا ٢٠:١٧ » .

لكن دعوة بولس للمسيح بأنه ابن الله ، جاءت – كما يقول هنتر – منقطعة النظير ، فهى شيء يختلف تماماً عن لغة أسفار العهد القديم ، ولغة الأناجيل ورسائل التلاميذ ، لأنها تقوم على الألوهية الأزلية للمسيح .

« لقد سمى بولس يسوع « ابن الله » أربع مرات ، و« الابن » مرتين ، و«ابنه» لا أقل من إحدى عشر مرة .. **وعندما سمى بولس يسوع ابن الله ، فقد كان يتحدث عن كائن إلهى . ولمعرفة مصدر هذه التسمية فيجب أن نذهب إلى الهللينية التى اعتادت على تسمية صانعى الأعاجيب بأنهم أبناء الله »(٧) .**

لقد كان هناك مدرستان : الأولى – هى المدرسة الفلسطينية التى قامت على التلاميذ الأول للمسيح وأسست الكنيسة الأم فى أورشليم ، وكانت صارمة فى عقيدة التوحيد وعدم الخلط بين الله والمسيح . وأما الثانية ، فكانت المدرسة الهللينية التى ازدهرت فى أنطاكية وطرسوس – موطن بولس – والتى تمثل فكر الإغريق وأساطيرهم التى تتحدث عن تجسد الآلهة ونزولها من السماء واختلاطها بالبشر .

والآن ، لم يعد من الصعب علينا تحديد إلى أى المدرستين ينتسب بولس . إنه ينتسب إلى المدرسة الهللينية بفلسفاتها وأساطيرها .

*

لكن مسيحية المسيح الحقة إنما تقوم – بداهة وبداءة – على التوحيد الخالص ، وعدم الخلط بين الله والمسيح ، ولاتزال لها بقايا فى الأناجيل ، نذكر منها بعض ما أورده كاتبوها على لسان المسيح .

---

(٧) المرجع ١٨ : ص ١٤٣

« وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته – يوحنا ١٧ : ٣» .

« لماذا تدعونى صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله – متى ١٩ :١٧ » .

« أنتم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك – يوحنا ١٣ : ١٥ » .

« أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً – يوحنا ٥ : ٣ » .

« تعليمى ليس لى ، بل للذى أرسلنى . إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى . من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه . وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم – يوحنا ٧ : ١٦–١٨ » .

إن مسيحية بولس تختلف تماماً عن هذه المسيحية – مسيحية المسيح وتلاميذه التى تقوم أساساً على التوحيد الخالص ، وكانت عقيدة المسيحيين الأوائل .

ويلخص هنتر عقيدة أولئك المسيحيين الأوائل كما – لاتزال – تنطق بها الإصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل ، والتى تتكلم عن الفترة التى سبقت ظهور بولس فى مجتمع التلاميذ ، إذ يقول :

« يسوع رجل من الناصرة تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب (٢ : ٢٢) .. إنه عبد الله (٣ : ١٣ ، ٢٦ ، ٤ : ٢٧) ، أمير الحياة (٣ : ١٥ ، ٥ : ٣١) .. إنه نبي مثل موسى (٣ : ٢٢ ، ٧ : ٣٧) ، الذى تكلم عن أيامه كل الأنبياء من صموئيل فما بعده (٣ : ٢٤) .

لقد أنكر ولهلم بوسيه أن تكون الكنيسة الأولى قد عبدت المسيح أبداً كرب ، فقدكانت عقيدة المسيحيين الأوائل فيه تجزم أنه « ابن الإنسان» .

أما الصلاة إليه كرب ، أو التوسل باسمه فى الشفاء والرقية والتعميد ، كل ذلك قد جاء فيما بعد ، **وقد لعب بولس فيه دوراً كبيراً ولاشك »(٨) .**

نعم ... لقد لعب بولس الطور الأكبر فى الدعوة إلى ألوهية المسيح ، وكانت رسائله أقدم كتب قبلتها الكنيسة ، ودعا فيها المسيح ابن الله ، بنوة حقيقية — لامجازية — باعتبار « الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد » فكان بذلك أول دعى مسيحى يقول : لله ولد .

★★

٢ — بولس وتوراة موسى :

لقد عرف بولس بتهجمه الشديد على التوراة والسخرية منها ، إذ نفى عنها أية إمكانية لتبرير الإنسان ونجاته ، ومن ثم دعا إلى إبطالها وحصر الخلاص فى الإيمان بالمسيح المصلوب . ويكفى الرجوع إلى رسائله وخاصة الرسالة إلى أهل غلاطية ، وكذلك الرسالة إلى العبرانيين التى يعتبرها الكاثوليك من رسائل بولس ، فهو يقول :

« **جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة** ، لأنه مكتوب ملعون كل من لايثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به ..

قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان . ولكن بعد ما جاء الإيمان **لسنا بعد تحت مؤدب** — غلاطية ٣ : ١٠ — ٢٥ » .

« **نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس** ، بل بإيمان يسوع المسيح .. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما — غلاطية ٢ : ١٦ » .

« **قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس ، سقطتم من النعمة** — غلاطية ٥ : ٤ » .

---

(٨) المرجع ١٨ : ص ٨١ — ٨٤

« **إنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها** ، إذ الناموس لم يكمل شيئاً — عبرانيين ٧ : ١٨ — ١٩ » .

« **أما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال**— عبرانيين ٨ : ١٣ » .

من الواضح أن هذه التعاليم البولسية تتعارض تماماً مع تعاليم المسيح عن الناموس ، من ضرورة الحرص عليه والتمسك به باعتباره السبيل القويم لتبرير الإنسان ونجاته . فهو يقول :

« **لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء** . ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات — متى ٥ : ١٧ — ١٩ » .

« خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون .

فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه ؛ ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون — متى ٢٣ : ١ — ٣ » ؛

لقد نقض بولس وصايا المسيح ، فحق عليه أن « يدعى أصغر فى ملكوت السموات » .

إن هذا وحده يكفى للبرهنة على أن مسيحية بولس تختلف أساساً عن مسيحية المسيح .

★★

٣ — بولس وخطيئة آدم :

يقول بولس : « بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس ، إذ أخطأ الجميع .. قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم . . كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً — رومية ٥ : ١٢ — ١٩ » .

وفى هذا يقول وليم باركلى : « **لقد كان كل الناس ، حسب تفكير بولس ، متورطين فى خطيئة آدم** ، فهذا هو لب الإصحاح الخامس من رسالته إلى أهل رومية ..

إن هذا القول بالنسبة لنا يعتبر جدلا غريباً ، لكنه يتفق مع تفكير اليهودى الذى كان يعتقد تماماً بفكرة التضامن . فلا تزال توجد إلى الآن قبائل بدائية إذا سألت أحد أفرادها عن اسمه ، أبى أن يقوله لك ، ولكنه سينطق بدلا منه اسم قبيلته التى يرتبط بها تماماً ولا يستشعر حياته بدونها»(٩)

ويقول تشارلز دود : « **كيف جاءت الخطيئة إلى الطبيعة البشرية ؟ هذا سؤال لا يعطى عنه بولس إجابة كافية** . فهو تارة يرجع ذلك إلى خطيئة تاريخية ارتكبها جد الإنسانية (آدم) فى غابر الزمان ، إذ كانت تلك هى الرواية السائدة فى اليهودية المعاصرة له .

لكنا نجد بولس فى بعض الفقرات ، يقترح مصادر أخرى لخطيئة البشر . فقد كانت خلفية عالمه المعاصر تعتقد بوجود حكام العالم ، من الأرواح الجوهرية (القوى الخفية) التى لها بعض العلاقات الخاصة بالعالم المادى . ولا يبدو أن تلك العلاقة كانت شراً بالضرورة ، ولكن إذا خضع الإنسان لسلطان تلك الأرواح ، فإنه يكون قد وصل إلى حالة شاذة من العبودية . .

---

(٩) المرجع ١٩ : ص ١٣٨

وإذا كان القول بتناقل البشرية لخطيئة آدم يمثل عقيدة يهودية ، فإن القول بنظرية الأرواح الجوهرية يأتى بالأحرى من الأفكار الإغريقية ، ولو أن أياً منها لا يقنعنا بشيء »(١٠) .

وتكتمل نظرية بولس فى الخطيئة حين يجعلها سبباً للموت الطبيعى . يقول باركلى :

« لقد رأى بولس أن الخطية لم تحدث موتاً روحياً وأخلاقياً فحسب ، بل أحدثت كذلك الموت الجسدى • فمن تعاليم بولس أنه إذا لم توجد الخطية فلا يوجد الموت •

لقد جاء الموت إلى العالم مع مجىء الخطية (اجتاز الموت إلى جميع الناس — رومية ٥ : ١٢) ، وأن الخطية قادت إلى الموت (ملكت الخطية فى الموت — رومية ٥ : ٢١) ، وأن أجرة الخطية هى الموت (رومية ٦ : ٢٣) .

أى أنه عن طريق الخطية وبسببها ، دخل الموت إلى العالم • فالخطية تهدم الحياة الروحية والأخلاقية والجسدية »(١١)

ويؤكد بولس أن الخطيئة المتوارثة هى سبب الموت الجسدى للأجيال المتعاقبة من ذرية آدم ، حتى ولو لم تقترف تلك الأجيال خطايا مثل خطية آدم ؛ فهو يقول :

« قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم — رومية ٥ : ١٤ » . ويوضح باركلى نظرية بولس هذه فيقول :

« لقد دخل الموت إلى العالم بسبب خطية آدم ، إذ أن الموت هو عقوبة الخطية .

---

(١٠) المرجع ٢٠ : ص ٦٢ — ٦٣

(١١) المرجع ١٩ : ص ١٤٢

لقد عاش الناس بلا شريعة يعصونها حتى جاء موسى ، أى أنهم لم يرتكبوا خطايا ومع ذلك فقد ذاقوا جميعاً الموت . فلماذا ؟ ذلك لأنهم قد أخطأوا من قبل مع آدم .

إن هذا هو فكر بولس فى الخطية »(١٢) .

★

مما سبق يتضح أن الموت الجسدى قد حل بالإنسان — حسب تفكير بولس — بسبب خطيئة آدم . ونريد الآن أن نبحث خطيئة آدم المتوارثة وعلاقتها بكل من الموت الجسدى والموت الروحى والأخلاقى ؛ وذلك من خلال الكتاب المقدس .

إن قصة خالق الإنسان — كما تقصها التوراة — تبين بوضوح ، أنه حتى وإن لم يخطىء آدم بمعصية الله والأكل من الشجرة المحرمة التى سميت باسم « شجرة معرفة الخير والشر » ، فإنه كان سيموت حتما إلا إذا أكل من شجرة أخرى عرفت باسم « شجرة الحياة » . ولذلك طرد من الجنة ، حتى لا يأكل منها ويحيا إلى الأبد . فبعد أن أكل آدم من الشجرة المحرمة وعصى ربه فأخطأ ، ثم عرف الخير والشر « قال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر . **والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد.**

فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها — تكوين ٣ : ٢٢ — ٢٣ » .

أى أن النفس البشرية عندما كانت فى الجنة . وقبل أن تكسب الخطيئة ، فإنها كانت معرضة السلطان الموت ، وكانت تتمنى لوأفلتت من قبضته وعاشت فى خلود .

---

(١٢) المرجع ١٩ : ص ١٣٩

هذا من ناحية الموت الجسدى ، وأما من ناحية الموت الروحى والأخلاقى فإن الاعتقاد بتعرض البشرية كلها لسلطانه تضامناً مع أبيها آدم فى خطيئته ، يعنى بالضرورة أن أحداً من ذرية آدم لم يكن باراً أمام الله ، وأن الجميع هالكون لا محالة . لكن هذا يصطدم مع ما يقوله الكتاب المقدس عن أبرار من بنى آدم ، عاشوا قبل المسيح ورضى الله عنهم . فهذا أخنوخ (إدريس) يقول فيه الكتاب :

« وسار أخنوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه — تكوين ٥ : ٢٤ »

« بالإيمان نقل أخنوخ لكى لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله — عبرانيين ١١ : ٥ » .

كذلك رفع إيليا (إلياس) دون أن يرى بشرموتة : « صعد إيليا فى العاصفة إلى السماء — الملوك الثانى ٢ : ١١ » .

وليست علامة الأبرار وجزاؤهم ألا يذوقوا الموت على هذه الأرض ، فإن كثيرين ماتوا أو قتلوا —قبل أن يأتى المسيح وتشهد لهم الأسفار بالمغفرة والبر والرضا من الله .

إن القصة التى يرويها المسيح عن إبراهيم أبى الأنبياء ولعازر أحد المساكين ، لتمحو كل أثر عما يقال بتوارث الخطيئة التى لا مفر من عقوبتها — حسب فكر بولس — إلا بسفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر . يقول المسيح :

« كان إنسان غنى .. يتنعم كل يوم مترفهاً ، وكان مسكين اسمه لعازر الذى طرح عند بابه مضروباً بالقروح ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى . .

فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم .

ومات الغنى أيضاً ودفن ، فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه ، فنادى وقال : يا أبى إبراهيم

ارحمنى وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد لسانى لأنى معذب فى هذا اللهيب .

فقال إبراهيم : يا ابنى اذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك وكذلك لعازر البلايا .

والآن هو يتعزى وأنت تتعذب .

فقال : أسألك إذاً يا أبت أن ترسله إلى بيت أبى ، لأن لى خمسة إخوة حتى يشهد لهم لكى لا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا .

فقال له إبراهيم : عندهم موسى والأنبياء ، ليسمعوا منهم .

فقال : لا يا أبى إبراهيم ، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون.

فقال له : إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون — لوقا ١٦ : ١٩ — ٣١ » .

الحق أن هذه القصة ، وإن كانت تنقض فكرة الخطيئة المتوارثة من أساسها وهى التى روج لها بولس فى مسيحيته ، إلا أن لها دلالة أخرى أكبر وأعظم ، وهى : أن العقيدة الصحيحة التى تنجى صاحبها من العذاب الأبدى ، هى الإيمان بالإله الواحد إله إبراهيم وموسى والأنبياء ، ثم العمل الصالح ؛ ولا شىء غير هذا .

فتلك هى عقيدة الحق وعقيدة النجاة ، سواء قبل المسيح أو بعده ، وبها يكون الإنجيل مصدقاً للتوراة وكتب الأنبياء قبل المسيح ، لا هادماً لها إذا أخذنا بنظريات بولس ومسيحيته .

إن كتب موسى — والأنبياء — تقرر عدل الله حين تقول :

« لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء . كل إنسان بخطيته يقتل — تثنية ٢٤ : ١٦ » .

لقد ورث بنو إسرائيل عقيده التضحية بالأبناء تكفيراً عن الخطايا وإرضاء للآلهة ، من جملة ما ورثوه عن جيرانهم من القبائل الوثنية . فقد التصق الإسرائيليون بتلك القبائل وصاهروها ونقلوا عنها كل رجس ؛ بما في ذلك معبوداتهم الوثنية التى قدموا لها القرابين ومن بينها إحراق أولادهم فى النار ؛ إطفاء لغضبها :

« عمل بنو إسرائيل سراً ضد الرب إلههم أموراً ليست بمستقيمة .. عبدو الأصنام . ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع أبائهم .. وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم ..

وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار ..

فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه — الملــوك الثانى ١٧ : ٩ — ١٨ » .

لقد كانت فكرة التضامن فى الخطية تلح دائماً على التفكير الإسرائيلى الذى انحرف عن تعاليم موسى والأنبياء ، وقد التصقت به تماماً فى الأطوار اللاحقة التى اتسمت بعبادة الأصنام حتى صارت عقيدة مكتسبة . من أجل ذلك جاءهم النذير والتبكيت على لسان حزقيال الذى يقول :

« أنتم تقولون : لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب ؟ !

أما الابن فقد فعل حقاً وعدلا ، حفظ جميع فرائضى وعمل بها ، فحياة يحيا .

النفس التى تخطىء هى تموت . الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار يكون عليه ، وشر الشرير يكون عليه .

فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها وحفظ كل فرائضى وفعل حقا وعدلا ، فحياة يحيا . لا يموت . كل معاصيه التى فعلها لا تذكر عليه . فى بره الذى عمل يحيا . هل مرة أسر بموت الشرير ؟ يقول السيد الرب ألا برجوعه عن طرقه فيحيا . .

إذا رجع البار عن بره وعمل إثماً ومات ، فبإثمه الذى عمله يموت . وإذا رجع الشرير عن شره الذى فعل ، وعمل حقاً وعدلا ، فهو يحيي نفسه . .

توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثم مهلكة . . لأنى لا أسر بموت من يموت، يقول السيد الرب ، فارجعوا واحيوا — حزقيال ١٨ : ١٩ — ٣٢ » .

★

وبناء على نظرية بولس فى الخطية المتوارثة ، فقد جعل التكفير عنها لا يتم إلا بقتل المسيح إرضاء لله — سبحانه — وثمناً لعقد صلح بين البشر وخالقهم . فهو يقول :

« ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه — رومية ٥ : ١٠ » .

« يسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة — رومية ٣ : ٢٥ » .

وانتهى المطاف ببولس أن جعل المسيح لعنة :

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس **إذ صار لعنة لأجلنا** ، لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة — غلاطية ٣ : ١٣ » .

وما قصده بولس هنا هو ما كان يروج له من أن المسيح قتل بعد تعليقه على خشبة الصليب ، تلك الميتة التى تقرر توراة موسى أن صاحبها معلون :

« إذا كان على إنسان خطية حقها الموت ، فقتل وعلقته على خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم . **لأن المعلق ملعون من الله** — تثنية ٢١ : ٢٢ — ٢٣ » .

لقد بدأت مسيحية بولس وانتهت بقتل المسيح على الصليب ، ولاشىء غير هذا :

« إنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً — (١) كورنثوس ٢ : ٢ » .

وإذا كان بولس يقول أحياناً بأن قتل المسيح جاء عملا من جانب الله خلت جوانبه من الرحمة (رومية ٨ : ٣٢) ، فإنه يقول فى أحيان أخرى بأن ذلك كان عملا تطوع به المسيح فداء للبشرية :

« يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس ، **يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع** — (١) تيموثاوس ٢ : ٥ — ٦ » .

وتشهد الأناجيل — فى أغلبها — بأن فكرة قتل المسيح فدية — التى روج لها بولس — كانت غريبة على تفكير المسيح نفسه ، فقد استنكرها فى مناسبات كثيرة وفزع منها تماماً حين أحس بالخطر يتهدده . ولقد بينا ذلك فى موضع سابق(١٣) ، ونذكر منه الآن :

« **أجابهم يسوع . لماذا تطلبون أن تقتلونى .. وأنا إنسان قد حدثكم بالحق الذى سمعه من الله . هذا لم يعمله إبراهيم** — يوحنا ٧ : ١٩ ، ٨ : ٤٠ » .

وفى نهاية الفترة التى سبقت عملية القبض على ذلك الذى صلبوه قال المسيح فى صلاته لله :

« أنا مجدتك على الأرض . **العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته** — يوحنا ١٧ : ٤ » .

لقد اكتملت رسالة المسيح تماماً قبل حادث الصلب . فمن ذا الذى يفتى بما يخالف شهادة المسيح ؟ !

---

(١٣) راجع كتاب المؤلف : المسيح — ص ٢٠٢ — ٢٠٦

وينطق كل مشهد من مشاهد المعاناة فى الحديقة أن المسيح يرفض فكرة قتله رفضاً تاماً ، فلقد أصابته حالة من الفزع والانهيار كلما تصور أن تلك ستكون نهايته :

« ابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت .. وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن . وقال يا أبا الآب : كل شيء مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس .. وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه.

كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض — مرقس ١٤ ، لوقا ٢٢ » .

وأخيراً فإن ذلك الذى قبضوا عليه وصلبوه ، كان يرجوهم — حتى آخر لحظة — أن يطلقوه ولا يقتلونه :

« اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين : إن كنت أنت المسيح فقل لنا .

فقال لهم : إن قلت لكم لا تصدقون . وإن سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى — لوقا ٢٢ : ٦٦ — ٦٨ » .

من ذا الذى يجرؤ — إذن — على القول بأن المسيح جاء ليبذل نفسه طواعية ، ليكون فداء لخطايا البشرية بدمه الذى يسفك على الصليب ؟ !

إن هذا الذى تزخر به الأناجيل عن كره المسيح ورعبه من فكرة قتله ، يخالف تماماً دعاوى بولس . يقول تشارلز دود : « إن رسائل بولس تخالف فى أحوال كثيرة ما فى الأناجيل ، وذلك لما تحويه تلك الرسائل من فلسفات متعارضة »(١٤) .

★★

(١٤) المرجع ٢٠ : ص ١٦

هذا — ومن المقطوع به أن تراث التلاميذ الأولين لكل نبي جاء معلماً وهادياً ، إنما يمثل — على الأقل ، إن لم يكن تمثيلا تاماً — أقرب فكر وتعاليم لذلك النبي ورسالته . نقول هذا بمناسبة ما درج عليه البعض من تسمية مسيحية تلاميذ المسيح الذين تلقوا منه مباشرة ، باسم المسيحية اليهودية ، لكونها تخالف المسيحية التقليدية التي شاعت بعد ذلك وقامت على فلسفة الصلب ودعوى التثليث .

وفي دراسة للكاردينال دانيلو عن المسيحية اليهودية ، يذكر أنه قد « كونت مجموعة الحواريين الصغيرة بعد المسيح طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها .

ومع ذلك فعندما تنضم إليها طائفة الذين آمنـــوا من الوثنيين فإنها تقترح عليهم ، إن جاز القول ، نظاماً خاصاً : إذ يحلهم مجمع القدس المسكوني (٤٩ م) من الطهارة ومن تطبيق الأركان اليهودية ، ورفض كثير من اليهود المسيحيين هذا التنازل . وانفصلت هذه المجموعة تماماً عن بولس ..

أما اليهود المسيحيون الذين ظلوا يهوداً مخلصين فإنهم يعتبرون بولس كخائن ، وتصفه وثائق مسيحية يهودية بالعدو ، وتتهمه بتواطؤ تكتيكي ولكن المسيحية اليهودية (١٥) كانت تمثل حتى عام ٧٠ م غالبية الكنيسة ، وكان بولس منعزلا في ذلك الوقت .

كان رئيس الجماعة يعقوب قريب المسيح ، وكان معه (في البداية) بطرس ثم يوحنا . ويمكن اعتبار يعقوب كعمود المسيحية اليهودية ، الذي ظل عن إرادة ملتزماً بخط اليهودية أمام المسيحية البولسية. إن أسرة

---

(١٥) في الترجمة العربية لدراسة الكاردينال دانيلو — التي أنقل عنها — جاء تعبير « اليهودية — المسيحية » وهو غير دقيق ، وصحته « المسيحية اليهودية » إذ أنه بالإنجليزية : Jewish Christianity — كذلك عدلت اسم « جاك » ليكون : يعقوب.

المسيح تحتل مكانة كبيرة في هذه الكنيسة المسيحية اليهودية بالقدس ..
لم تكن المسيحية اليهودية سائدة فقط بالقدس وفلسطين طيلة القرن الأول للكنيسة ، فقد تطورت البعثة المسيحية اليهودية ، فيما يبدو ، في كل مكان قبل البعثة البولسية . وذلك هو ما يوضح الإشارة الدائمة في رسائل بولس إلى صراع ما . إنهم نفس الأعداء الذين قابلهم حيثما ذهب ، بغلاطية ، وكورنثة ، وكولوسي ، وروما ، وأنطاكية . .

ولما كان اليهود منبوذين في الإمبراطـورية (الرومانية) فقد نحا المسيحيون إلى الانفصال عنهم . عندئذ ساد المسيحيون الهللينستكيون : لقد حاز بولس على النصر بعد وفاته . بهذا انفصلت المسيحية اجتماعياً وسياسياً عن اليهودية لتكوّن ما يعرف بالشعب الثالث برغم ذلك ، وحتى آخر التمرد اليهودى عام ١٤٠م ، كانت المسيحية اليهودية سائدة ثقافياً ..

وإذا كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعاً للنقاش ، وإذا كان قد اعتبر خائناً لفكر المسيح ، كما وصفته بذلك أسرة المسيح والحواريون الذين بقوا بالقدس حول يعقوب ، فذلك لأنه قد كوّن المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه . ولما لم يكن قد عرف المسيح في حياته ، فقد برر لشرعية رسالته بأن أكد على أن المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق . .

وبانقطاع اليهود المسيحيين عن الكنيسة الكبرى التى تحررت تدريجياً من روابطها اليهودية ، سرعان ما فنوا في الغرب . ولكن يمكن اقتفاء آثارهم من القرن الثالث إلى القرن الرابع ، بالشرق وخاصة في فلسطين والجزيرة العربية ما وراء الأردن وسوريا وما بين النهرين »(١٦) .

★★

(١٦) المرجع ٥ : ص ٧١ — ٧٤

أما بعد :: لقد جاء المسيح بعقيدة ، وجاء بولس بعقائد أخرى مختلفات . لكن عقائد بولس هى التى كتب لها النصر ، وصارت أقواله هى الأكثر حظوة بالترديد والاستشهاد فى المواعظ والدراسات ، خلافاً لما عليه الحال مع أقوال المسيح التى تذكرها الأناجيل .

إنهما مسيحيتان ولا شك ... فأيهما أولى بالتقديم والتبشير ؟

مسيحية المسيح التى تدعو إلى الإيمان بالله الواحد الأحد ، والتمسك بالناموس والأنبياء وجوهرهما : « **الحق والرحمة والإيمان** » — متى ٢٣ : ٢٣ » أم مسيحية بولس الصليبية التى لا تعرف شيئاً سوى اسم المسيح وإياه مصلوباً — (١) كورنثوس ٢ : ٢ » ؟

سؤال لا تحتاج الإجابة عنه إلا للحظات قليلة من الصدق مع النفس واتزان العقل ، ولا شىء غير هذا المطلب الطبيعى والضرورى والكافى .

لكن نتيجة هذه الإجابة — التى ستكون بلا شك فى جانب مسيحية المسيح — سوف تكون عظيمة الآثار على أمن الإنسان فى الدنيا والآخرة وعلى سلام هذا العالم ودفعه نحو الوحدة والأمان .

★★★

الباب الثـــانى

كيف انتشرت المسيحية ؟

- كيف انتشرت المســيحية فى الامبــراطورية الرومانية ؟
- كيف انتشرت المسيحية فى أوروبا ؟
- المسيحية والسيف •

كيف انتشرت المسيحية

تمهيــد :

انقضى نحو ثلاثة قرون عقب رفع المسيح ، شهدت فيها رسالته عوامل شتى ، وتعرضت لتيارات مختلفة ، أثرت فيها بعمق وفرقتها شيعاً وأحزاباً. ونستطيع إلقاء نظرة سريعة على أهم العوامل التى أثرت فى رسالة المسيح ، فنجدها تسير تاريخياً كالآتى :

١ــ ظهور بولس فى فترة تقدر ببضع سنين عقب رحيل صاحب الرسالة ومعلمها الحقيقى والأوحد ، حيث جعل نفسه مبشرها الأول ، وطبع عليها من فكره وفلسفته ما حولها من مسيحية إلى صليبية . وقد عرضنا لذلك منذ قليل .

٢ــ ظهور أدعياء كثيرين يتحدثون باسم المسيح باعتبارهم رسله إلى الناس ، وقد أشار إليهم بولس فى قوله : « هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح ــ (٢) كورنثوس ١١ : ١٣ » .

وكذلك ظهور أدعياء كثيرين يتحدثون عن المسيح ويؤلفون أناجيل ، يزعم كل منهم أن ما سطره إنما هو إنجيل المسيح وقصصه وبشارته . ولقد أشار إليهم لوقا كاتب الإنجيل الثالث ــ وسفر أعمال الرسل ــ حيث يقول فى مقدمة إنجيله :

« إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا معاينين وخداماً للكلمة . رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به ــ لوقا ١ : ١ ــ ٤ » .

ويكفى التذكرة بأن اثنين من الأناجيل الأربعة التى قبلتها السلطات الكنسية واعتبرتها قانونية ، قد نسب اثنان منها إلى اثنين من معاصرى الجيل الثانى بعد المسيح ، ولم يكن لهما شرف التعرف عليه أو التلقى منه مباشرة ، ألا وهما : مرقس كاتب أقدم الأناجيل ، ثم لوقا كاتب الإنجيل الثالث .

٣ - انهيار قوة كنيسة أورشليم — مجمع تلاميذ المسيح — وما تميزت به من المحافظة على عقيدة التوحيد واحترام ناموس موسى وكتب الأنبياء ، بجانب اعتبارها الشاهد المعاصر للمسيح والمرجع الوحيد فى كل ما يختص برسالته .

٤ — ظهور مركيون — تلميذ بولس — الذى حاول جمع عدد من الكتب المسيحية معاً لكى تستأصل نفوذ أسفار العهد القديم ، فصنف عهداً جديداً اقتصر على لوقا ورسائل بولس ومن بينها رسالته إلى أهل غلاطية ، وهى معروفة بنقدها المر للناموس .

لقد كان لمركيون هذا آراء إجرامية ، فقد اعتقد بأن « إله اليهود الذى أعطى الناموس (لموسى) وخالق العالم ، كان فى الحقيقة إلهاً شريراً ! ! ..
أما إله المحبة فقد ظهر فى المسيح . ولقد وضع مركيون إله المحبة فى تعارض مع خالق العالم » .

كذلك اعتقد مركيون « أن الاثنى عشر رسولا الذين اختارهم المسيح لم يفهموه ..
ولهذا فإنهم أعلنوا إنجيلا يخالف إنجيل بولس ، فقد اعتقدوا خطأ أن إله الخالق هو أب ليسوع المسيح .. من أجل ذلك فإن المسيح ألهم بولس بوحى خاص حتى لا يضيع إنجيل نعمة الله عن طريق التزوير »(١) .

---

(١) راجع كتاب المؤلف : المسيح — ص ٣٤ ، ٢٧٩

٥– ظهور فرق مسيحية متنافرة ، يدعى كل منها أنه على الحق وأن ماعداها كفر وبدع وهرطقة ،وما صاحب ذلك من كثرة المجادلات والزخارف اللفظية حول طبيعة المسيح وحقيقة رسالته ، وظهور أول تعبير عن التثليث فى المجادلات المسيحية (ترتليان حوالى عام ٢٠٠ م) .

٦– زيادة حدة الانقسامات الدينية بين الفرق المسيحية ، وأثر ذلك فى إشاعة الفوضى والاضطراب فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، مما دعا الإمبراطور قسطنطين إلى التدخل حفاظاً على الوحدة السياسية ، حيث عقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م .

وقد اتخذ قسطنطين – الوثنى آنذاك – صفة عالم اللاهوت ، وتدخل فى المناقشات وتوجيه القرارات لتكون حصيلتها : تقرير ألوهية المسيح ، وأنه من جوهر الله ، وأنه قديم بقدمه ، وأنه غير مخلوق – ثم إدانة آريوس وأتباعه وإحراق كتبهم .

لقد كانت الآريوسية تمثل بقايا التوحيد فى العقيدة المسيحية ، فهى تقول بأن : الله الواحد الأحد هو الوحيد الذى لم يولد ، وليس له معادل أو مكافىء على الإطلاق .

وبالنسبة لجوهر المسيح فإنه تبعاً لذلك لا يمت بأدنى صلة لجوهر الله ، وإنما هو كائن مستقل ومنفصل تماماً ومختلف عن الجوهر أو الطبيعة الإلهية ، ومثله مثل كل المخلوقات العاقلة له مشيئة حرة ومعرض للتغيير .

لقد فرضت عقيدة مجمع نيقية على المسيحيين فرضاً يؤيدها سلطان قسطنطين رغم مخالفتها لما كان يؤمن به الكثيرون من الأساقفة وعامة الشعب فى فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر التى كان فيها أشياع أقوياء لآريوس وخاصة فى الإسكندرية وأسيوط .

٧– لم يكن مجمع نيقية خاتمة المطاف ، بل إنه كان بالأحرى مقدمة لسلسلة طويلة من المجامع الكنسية التى عقدت فى فترات متلاحقة ، أدان

أغلبها قرارات مجمع نيقية وقبل عقيدة آريوس ، كما حدث فى مجمع ريمنى الغربى ومجمع سلوقية الشرقى اللذين عقدا عام ٣٥٩ ، وقد أيد كلاهما الآريوسية كل التأييد ، وأصبحت الكنيسة الغربية كلها آريوسية . ولقد ثبتت هذه العقيدة فى مجمع القسطنطينية عام ٣٦١ ، وقام الآريوسيون بنشرها فى أنحاء العالم .

٨ – لكن هذا الحال لم يلبث أن تبدل حين ولى الحكم أباطرة وثنيون ارتدوا عن المسيحية ، مثل يوليانوس الذى أغلق الكنائس ونهبها ثم سلمها للوثنيين وجاهر بعبادة الأوثان . ثم خلفه يوبيانوس الذى تولى عام ٣٦٣ وكان معادياً للآريوسية ، فاعتنق مذهب أثناسيوس الذى يقوم على التثليث ، ثم أجبر الشعوب على اعتناقه .

وهكذا فرضت عقيدة الثالوث على مسيحيي الإمبراطورية الرومانية ، وباتت هى الصورة التقليدية التى تقدم بها المسيحية إلى العالم ، رغم وجود طائفة من الموحدين المسيحيين تجاهد عبر القرون للحفاظ على بقايا التوحيد فى مسيحية المسيح الحقة(٢) .

★ ★ ★

---

(٢) راجع كتاب المؤلف : طائفة الموحدين

الفصل الرابع

كيف انتشرت المسيحية فى الامبراطورية الرومانية ؟

ولد المسيح فى فلسطين وهى آنذاك ولاية رومانية ، وولدت دعوته فى ظل أكبر إمبراطورية عرفها العالم القديم هى الإمبراطورية الرومانية ، التى كانت تشتمل على ما كان يعرف آنذاك بالعالم المتحضر ، وتضم بين حدودها المترامية أمماً وشعوباً مختلفة الأصول والطبائع والعقائد والأفكار ، وحدتها قبضة روما القوية ، وحكمها القانون الرومانى .

ويهمنا — كمدخل لدراسة هذا الموضوع — أن نتعرف على العقائد والأفكار الدينية التى كانت تموج بها الإمبراطورية الرومانية ، قبل أن تصير المسيحية هى الدين الرسمى لتلك الإمبراطورية .

★★

العقائد الدينية فى العالم الرومانى :

لقد كانت عقائد ذلك العالم وثنية عرف أغلبها بديانات الطقوس السرية ، تنبع الواحدة منها إقليمياً ثم لا تلبث أن تنتشر هنا وهناك ، مع ما يصاحب ذلك الانتشار فى أغلب الأحيان من تطور للخرافات التى تقوم عليها .

وقد يحدث أن تحتل واحدة من تلك العقائد مركز الصدارة فى العالم الرومانى ، بعد أن تكون قد امتصت غيرها من العقائد الأخرى ، وذلك لما بينها من أصول مشتركة وملامح متشابهة . وفيما يلى عرض مركز لأهم المعبودات الوثنية فى العالم الرومانى ، وما قامت عليه عباداتها من خرافات .

★

سيبيل وأتيس :

كانت سيبيل أقدم معبودة فى آسيا الصغرى ، عرفت بالأم الكبرى أو أم الأرض ، **وكانت طقوسها الدينية تحكى كل عام « الموت ثم اعادة الحياة لرفيقها الفتى أتيس** ، إله الأشياء التى تنمو ثم تموت سنوياً . . ولقد أدخلت عبادة سيبيل مبكراً ضمن العبادات الرومانية منذ عام ٢٠٤ ق . م، وكانت تمثل أطول وأعقد مهرجان شهده العالم القديم ، موقظة الآمال فى الخلود إلى حمى الإثارة .

ويبدأ المهرجان بصيام سبعة أيام ، ثم موكب براق تحمل فيه شجرة صنوبر مقطوعة حديثاً كرمز لأتيس الميت . وبعد يوم النحيب يأتى يوم الدم ، وفيه يقوم الكهنة بجلد أجسادهم وتمزيقها .. وبعد كثير من الصوم والحداد يعلن : لقد جاء الخلاص للإله .. ونحن أيضاً بعد كدحنا سوف نجد الخلاص ..

وعلى خلاف ديونيسس ، فإن أتيس ليس إلهاً منفرداً ، بل إنه متحد مع إلهة الأرض » (٣) .

★

أوزوريس وإيزيس :

يعتبر أوزوريس محور الديانة المصرية القديمة ، فقد جاءت قصته وعلاقته بالحياة والموت لتجعله يحتل مكان الصدارة بين الآلهة المصرية . وتمثل أسطورته « قصة ملك طيب قتله أخوه الشرير (ست) ، فأحضرت زوجته (إيزيس) جثته ونجحت فى أن ترد إليه الحياة ولكن بصورة ليست كاملة . ثم عكفت على تربية ابنه (حوريس الذى حملت به بطريقة عجيبة) فى كتمان مطلق ، حتى إذا ما ترعرع وصلب عوده انتصر على قاتل أبيه وجلس على عرشه ..

---

(٣) المرجع ٢٢ : ص ١٩٢ — ١٩٣

والآن (يقول الأثرى الألمانى أدولف ارمان) : ما هى العوامل التى أكسبت أسطورة أوزوريس كل هذه القوة ؟

العامل الأول كان بلا شك هو الاعتقاد بأن الاستبداد والتعسف ليسا هما القوتان اللتان تسودان العالم ، بل الحق والإخلاص .

ثم العامل الثانى كان الاعتقاد بانتصار الإله المقتول على الموت . فمع أنه مات حقاً ، إلا أنه استرجع الحياة » (٤) .

وتذكر المصادر المصرية القديمة أن أوزوريس تقدم أمام الآلهة المجتمعين فى القاعة الكبرى بهليوبولس « للدفاع عن تهم وجهها إليه ست وأعداؤه الآخرون .. فحكمت المحكمة على ست **وأعلنت نصر أوزوريس الذى وضع قدمه فوقه ، ثم ارتفع أوزوريس إلى السماء حيث حكم هناك » (٥) .**

ولقد تعرضت أسطورة أوزوريس على مر العصور لتعديلات كثيرة ، بالإضافة أو الحذف أو كليهما معاً ، شأنها شأن كل الأساطير الدينية القديمة . وفى إحدى صيغها الحديثة التى ترجع إلى العصر اليونانى ، نجد بلوتارك يقول : « **عند ولادة أوزوريس ارتفع صوت من معبد طيبة معلناً أن الملك العظيم الخير قد ولد** . وعندما استولى على السلطة عنى بالناس ، وغير الطريقة البدائية فى الحياة التى كان الناس قد ألفوها من قبل حتى ذلك الوقت .. وعلمهم كيف يعبدون الآلهة ويقدسونها . **وأخذ يجوب البلاد جميعها دون حاجة إلى حرب وكان لا يجتذب الناس إلا بالتلطف والإغراء والموسيقى ..** بيد أن تيفون (ست) الذى كان يتقد صدره بالغيرة دبر مؤامرة ضد أوزوريس ، اشترك فيها **اثنان وسبعون رجلا** ، وأخذوا فى تنفيذها عقب عودة أوزوريس . فقد صنع صندوقاً رائعاً بحجم أوزوريس تماماً وعرضه

---

(٤) المرجع ٤ : ص ٨٠

(٥) المرجع ٤ : ص ٨٨

خلال مأدبة ، ووعد بإهدائه لمن يستطيع أن يملأه تماماً . فلم يوافق الصندوق أحداً ، إلى أن جاء الدور على أوزوريس فنام فيه . وعندئذ أسرع فى الحال أتباع ست المتآمرون ووضعوا الغطاء وأغلقوه بالمسامير ، وألقوا الصندوق فى النيل ، وظل عائماً حتى بلغ البحر .

وعندما اختفى أوزوريس هكذا حزنت عليه إيزيس حزناً عظيما ، وأخذت تجوب البلاد بحثاً عنه . . ولقد علمت إيزيس بأن الصندوق قد جنح إلى شاطىء فينيقية .. ونبتت شجرة نمت بسرعة واحتوته فى داخلها »(٦).

هذا .. وقد انتشرت عبادة إيزيس فى الإمبراطورية الرومانية بل وما وراءها « ومنذ القرن الأول قبل الميلاد وما بعده حتى انتصار المسيحية بعد أربعمائة عام ، **كانت عبادة إيزيس هى الغالبة فى العالم الإغريقى الرومانى . ولعلها الديانة الوثنية الوحيدة التى أصبحت عالمية » (٧) .**

« وكثيراً ما كانت الآلهة المصرية تمتزج بالآلهة اليونانية ، فهذه إيزيس قد غدت نميزس ، وديكايوسينى ، ونيكى ، وهيجييا . وفى ديلوس غدت تسمى إيزيس – سوتيرا . . وشقت الآلهة المصرية فضلا عن ذلك طريقها إلى أبعد من ذلك غرباً ، أى إلى إيطاليا الجنوبية ثم روما . . وقد أخذت الديانة المصرية تنتشر كذلك بين الطبقات العليا من الشعب . وليس فى هذا مايدهش فى شىء ؛ إذ كانوا جميعاً يقاسون نقصاً روحياً . فقد غدت الديانة القديمة بالنسبة لهم جميعاً شبه ميتة ، ولم تستطع الفلسفة التى كان يحاول أن يجد فيها المثقفون عوناً لهم ، أن تكون لها بديلا كاملا . وبذلك لم يتبق هناك غير شوق كامن للتطلع إلى ما وراء الطبيعة . .

لقد كانت الديانة المصرية تقدم لأتباعها عزاء أخيراً فى كافة المصائب ، وكانت تمنحهم الإيمان بحياة أخرى أفضل يقضونها فى مملكة أوزوريس .

---

(٦) المرجع ٤ : ص ٩٨ – ٩٩

(٧) المرجع ٢٢ : ص ١٩٦

وهكذا أقبل الناس فى روما على العقيدة الجديدة فى حماسة ، حتى إنه ليبدو أنها استولت على طوائف بأكملها من الشعب ، كأنها حركة دينية عامة ، وإلا لما تيسر على الأقل فهم السبب الذى من أجله انتهى الأمر بالدولة أن ترى فى عبادة الآلهة المصرية خطراً عليها ، فجعلت تدمر من وقت لآخر وباستمرار معابد إيزيس . وقد قامت بذلك خمس مرات فى أحد عشر عاماً بين ٥٩ –٤٨ ق . م ، وأخيراً حرّم أغسطس بناء شيء منها داخل المدينة بالذات ، ولم يكن يسمح بإقامة معابد لإيزيس إلا فى أرباضها . .

ولم يلبث أن قام فى حقول مارس معبد كبير جديد لإيزيس ، أقامه هذه المرة أحد الأباطرة وهو كاليجولا ، وزاد فيه امبراطور آخر وهو دوميتان . وبهذا التكريم من قبل الأباطرة زال كل رجس عن الآلهة المصرية .. وبذلك سادت الديانة المصرية العالم ، وقد ساهم هادريان كثيراً فى هذا التطور . .

وإنا لنجد فى إفريقيا الشمالية وفى أسبانيا وفى بلاد الدانوب وفى فرنسا وحتى فى انجلترا نفسها ، نقوشاً تكرم إيزيس . .وهكذا سادت عقيدة إيزيس فى كل مكان فى أوروبا . وقد كان سلطانها ينمو على الدوام حتى نهاية القرن الثانى ، عندما أخذت عقيدة أخرى ، هى عقيدة ميثرا الإله الفارسى ، تردها إلى الوراء بعض الشيء ، على أنها مع ذلك ظلت قائمة طالما كانت تعبد الآلهة الوثنية » (٨) .

★

سيرابيس :

اعتقد قدماء المصريين أن روح الإله تسكن الحيوان المقدس فى معبده ، ومن ثم عبدوا بعض الحيوانات ومن بينها العجل أبيس الذى قالوا إنه روح الإله بتاح .

---

(٨) المرجع ٤ : ص ٤٦٦ – ٤٦٩ ، ٤٨٧ – ٤٨٨

لقد كان سيرابيس هو الإله الرئيسى فى مملكة البطالمة ، واعتبر أنه : أوزوريس — أبيس .

«ومنذ ذلك الوقت كان سيرابيس هو التسمية الإغريقية لأوزوريس .. أما لدى الشعب فقد أصبح سيرابيس إله الموتى ، وزوج إيزيس ، وحل تماماً محل أوزوريس ..

وقد ظل سيرابيس إبان القرون الخمسة التى كانت فيها الإسكندرية عاصمة العالم الكبرى ، يعتبر لدى سكانها أنصاف الإغريق هو الإله الأعلى .. وفى عهد تراجان أوفدت بعثة إلى روما ، فاصطحبت معها تمثال سيرابيس صانع المعجزات » (٩) .

★

ميثرا :

كان ميثرا معبوداً قديماً للشعوب الهندوأوربية ، ومن المحتمل أن تكون طقوس عبادته قد جاءت إلى الإمبراطورية الرومانية عن طريق فارس . وتحكى الأساطير بدء خلقه « بطريقة عجيبة من صخرة ، بالقدرة الخيرة أورمزد (أهورا مازدا) رب الحياة . ولكن لا توجد له شعيرة درامية سنوية ، فلا يوجد موت ثم اعادة ولادة سنوية ، حيث إن ميثرا قد جدد الحياة وهزم الموت إلى الأبد . ويقف ميثرا فى كنف أورمزد ، فى تعارض أبدى لإله الشر أهريمان رب الموت . وقد نشأ كل من أورمزد وأهريمان من المصدر الأول .. ومن المحتمل أن يكون موردوا الميثرية إلى إيطاليا ، جنوداً وتجاراً من أقاليم مختلفة من الشرق .. وخلال القرنين الأول والثانى بعد الميلاد انتشرت عبادة ميثرا فى الغرب على نطاق واسع . ومن الطبيعى أن تكون روما كمدينة عالمية كبيرة مكاناً لتطورها .. كذلك ازدهرت هذه الديانة فى المراكز التجارية والموانى العالمية مثل الإسكندرية وبيريه وقرطاجة ولندن » (١٠) .

★★

---

(٩) المرجع ٤ : ص ٤٢٧

(١٠) المرجع ٢٢ : ص ٢٠٠ ، ٢٠٣

الأصول المشتركة للعقائد الوثنية :

من الملاحظ أن تلك العقائد الوثنية التي انتشرت فى العالم الرومانى وخاصة فى فترة القرون الخمسة التى تمتد من أوائل القرن الثانى قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثالث الميلادى ، قد جمعت بينها أصولا مشتركة تقوم على الآتى :

١ — الإيمان بالإله المخلص الذى يحقق انتصاراً على الشر والموت .

٢ — يحدث الخلاص للمؤمنين «خلال اتحاد شخصى بذلك الإله المخلص ، **الذى كان يعتقد فى حالات كثيرة أنه قد مات ثم قام ثانية بعد الموت»(١١).**

٣ — كان ذلك الإله المخلص شاباً أو فتى يافعاً (أتيس — أوزوريس — ديونيسس) مات ميتة مأساوية تهز المشاعر وتأخذ بالألباب ، لكنها لاتلبث أن تتحول إلى مجد يتمثل فى انتصاره على الموت ، وأحياناً رفعه إلى الآلهة فى السماء ليحكم من هناك (أوزوريس) .

٤ — تقوم تلك العقائد الوثنية على التثليث . ويضرب ميخائيل جرانت المثل لذلك من عقيدة إيزيس المتطورة ، فيقول : « **إننا نجد إيزيس تمثل الصورة الرئيسية للتثليث المصرى ، ففيها إيزيس ، وأنوبيس** — وهو الإله الذى يقود أرواح الموتى إلى الحياة الأبدية (وعرف بأنه إله الدفن واعتبر ابناً لأوزوريس نزل من السماء) — **وسرابيس** (وهو التسمية الإغريقية لأزوريس) » (١٢) .

٥ — تمارس تلك الديانات من خلال طقوس سرية ، يقوم الكهنة عن طريقها بالتسلط على الأتباع واختراع مختلف الألاعيب التى تربط العابد بالمعبود . فرغم التقدم العلمى المحدود فى تلك الحقبة من الزمن ، وجد « أن طبقة الإكليروس قد استخدموا كل شعيرة درامية تساعدهم ، وكانوا مهرة فى إنتاج أعاجيب المعبد التى توحى بالرهبة وتوقع المشاهدين فى

---

(١١) المرجع ٢٢ : ص ١٨٢

(١٢) المرجع ٢٢ : ص ١٩٩

إرباك ، وذلك باستخدام الحيل والأساليب العلمية . . فقد استخدم السيفون في تحويل الماء خمراً . وعندما يدخل جماعة المصلين المعبد فإن مجموعات من المنافيخ الهيدروليكية التي صممت بمكر كانت تحدث أصوات نفخ في البوق ، وتزيد في إشعال نار المذبح . وكانت القدرة المتزايدة للهواء الساخن الذي نشأ عن التقدمات المحترقة تستخدم في فتح باب الحرم المقدس ، وفي تحريك تمثال الإله إلى الأمام لكي يحيي عابديه . كذلك استخدمت صنوف من المؤثرات الضوئية المتطورة ، مثل عمل إضاءة داخلية للتماثيل لكي تعطي إشعاعاً لأعينها المجوفة وتيجانها . وبطريقة ما فإن تمثالي آريس (مارس) وأفروديت (فينوس) قد تحركا ليلتصقا بغية التزاوج . ولا يزال موضع جدل ما إذا كانت تلك الحركة قد حدثت باستخدام المغنطيسية أو بحبال مخفاة » (١٣) .

وعلى ضوء هذا يمكن لإنسان العصر الحديث أن يفهم كيف كان السذج والبسطاء في تلك القرون يؤمنون بإمكانيات تلك المعبودات الوثنية في تقديم معجزات وعجائب . ولقد حدث أن زار الإمبراطور هادريان مصر ، وأثناء الرحلة غرق في النيل أنطنيوس حبيب الإمبراطور ، وكان عمره عشرين عاماً « فرأى هادريان أن أقصى ما يؤدي من شرف لهذا الصبي المسكين هو أن يرفع إلى مصاف شركاء آلهة مصر . وكان مثل هذا التأليه أمراً قريب الاحتمال وذلك لأن الغرقى في النيل كانوا يعتبرون من القديسين . . وفي القرن الثالث كان أنطنيوس في مصر إلهاً يبالغ في تمجيده كثيراً ، لأنه كان يشفي المرضى ويصنع العجائب » (١٤) .

ولقد قيل إن أنطنيوس أسلم حياته في النهر المقدس لكي يفدي الإمبراطور ويرد التنبؤات الخاصة بموته « وعلى الفور **عبد أنطنيوس كإله مخلص متجسد** بين طوائف الشرق المشحونة بالعاطفة الدينية . . وقد اخترعت طقوس

---

(١٣) المرجع ٢٢ : ص ١٩١

(١٤) المرجع ٤ : ص ٤٧٩ — ٤٨٠

درامية تتضمن تمثيلية تمثل آلام أنطنيوس . . وموتته الشابة ، ثم قيامته المجيدة وسروره الدائم » (١٥) .

★★

مراحل انتشار العقائد الوثنية :

١ ــ تبدأ العقيدة محلية ، ثم لا تلبث أن تنتقل إلى الأماكن الأخرى ، وقد ساعدها على ذلك ، الوحدة السياسية للإمبراطورية الرومانية ، ثم الحركة الدائبة داخل حدودها والتى تتمثل غالبيتها فى التبادل التجارى والحملات الحربية . وعند عودة التجار والجنود إلى أوطانهم الأصلية ، تكون هذه العقيدة أو تلك من جملة ما حملوه معهم .

٢ ــ كانت السياسة العامة للسلطة فى روما تجنح إلى عدم التدخل فى المسائل الدينية إلا عند الشعور بتأثيرها على النظام العام والاستقرار السياسى . ولقد حدث « فى عام ١٨٦ ق . م . أن شعر مجلس الشيوخ الرومانى بالخوف من توريد عبادة ديونيسس إلى روما وتهديدها للنظام العام ، مما دفعه إلى اتخاذ إجراءات الكبت » (١٦) .

٣ ــ لكن مثل تلك الإجراءات لم تكن لتحد من انتشار تلك العقيدة الدينية « التى سارت كالطوفان فى العالم الرومانى . وفى زمن قصير تحولت إلى واحدة من ديانات الطقوس السرية التى تحظى بالاعتبار » (١٧) .

وإذا كان بعض الأباطرة قد حارب عقيدة ما ، كما فعل أغسطس (٢٧ ق . م ــ ١٤ م) مع عقيدة إيزيس ، فلم تلبث هذه العقيدة أن اكتسحت ــ خلال عشرات السنين ــ الإمبراطورية وحاكمها الإمبراطور ،

---

(١٥) المرجع ٢٢ : ص ١٩٩ ــ ٢٠٠

(١٦) المرجع ٢٢ : ص ١٨٦

(١٧) المرجع ٢٢ : ص ١٨٦

كما حدث لكاليجولا (٣٧ ــ ٤١ م) ، ودومتيان (٨١ ــ ٩٦ م) ، وهادريان (١١٧ ــ ١٣٨ م) .

★ ★ ★

عوامل انتشار المسيحية فى الإمبراطورية الرومانية

يرجع انتشار المسيحية فى الإمبراطورية الرومانية إلى عاملين رئيسيين ؛ يعتبر كل منهما محصلة لمجموعة من العوامل الأخرى الفرعية . وهذان العاملان هما : عامل داخلى ، يرجع إلى المسيحية كديانة تقوم على معتقدات وطقوس ظهرت فى زمن معين وكانت تشابه وتضاهى كثيراً من ديانات ذلك الزمن ثم عامل خارجى ، يرجع إلى الظروف والقوى التى أحاطت بالمسيحية منذ مولدها وأثرت فى تطورها وحركتها التاريخية ، وهو بزوغها فى ظل الإمبراطورية الرومانية . وفيما يلى عرض لهذين العاملين وما احتواه كل منهما من عوامل فرعية .

★ ★

التشابه بين المسيحية الصليبية وديانات العالم الرومانى :

يوجد إجماع بين الباحثين على أن هناك تشابهاً قوياً بين المسيحية الصليبية ــ مسيحية بولس ــ وبين غيرها من ديانات العالم الرومانى التى كانت منتشرة آنذاك ، وعاصرت مولد تلك الديانة الجديدة ، سواء من ناحية المعتقدات والأفكار ، أو نواحى العبادات والطقوس التى تعكس تلك المعتقدات .

يقول هربرت فيشر : « استدار العالم الرومانى بشغف زائد إلى عبادات الشرق الملتهبة ، مثل عبادات إيزيس وسيرابيس وميثرا . . **إن عباد إيزيس المصرية ، وسيبيل الفريجية ، وميثرا الفارسى ، اشتركوا فى معتقدات كثيرة وجدت بعد ذلك فى النظام المسيحى .**

لقد اعتقدوا فى اتحاد سرى مقدس مع الكائن الإلهى ، إما عن طريق اقتران خلال الشعائر ، أو بطريقة أبسط عن طريق أكل الجسم الإله فى احتفال طقسى . .

لقد كان الإله الذى يموت بين العويل والمراثى ، بيد أنه يقوم ثانية وسط صيحات الترحيب والسرور ، من الملامح الرئيسية فى هذه العبادات الشرقية الغامضة . .

ولقد بنى ماركوس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠ م) معبداً لميثرا فوق تل الفاتيكان ، وجعل أورليان (٢٧٠ - ٢٧٥م) عبادة الشمس دين الدولة الرسمى .

ويكتب دين انجى قائلا : **إن عبادة إيزيس قد نظمت بطريقة تماثل تماماً ما فى الكنيسة الكاثوليكية** . لقد كان هناك نوع من البابا مع القسس والرهبان والمغنين وخدم الكنيسة . وكانت صورة السيدة ترصع بجواهر حقيقية أو مزيفة ، وكانت زينتها تعمل كل يوم ، كما كانت صلاة الصبح وأغانى المساء تغنى فى معابدها الرئيسية ، وكان الكهنة حليقى الرؤوس ويلبسون ملابس كهنوتية بيضاء من الكتان .

قبل أن تصير رومامسيحية فإنها صارت كهنوتية : مدينة للمعابد والصور ، ذات كهنة ومواكب واحتفالات دينية . . وتحت حكم دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م) عندما كفت روما عن أن تكون عاصمة سياسية ، لم يكن من الصعب التنبؤ أنه يوماً ما فإن مكان الإمبراطور الغائب سوف يشغله كاهن رومانى . .

إن التحول من الرثنية إلى المسيحية لم يكن يعنى الدخول فى جو غريب كلية ، أو ممارسة ثورة فجائية . لقد كانت عملية التحول تتم بلطف . . وكانت طقوس العقيدة الجديدة استرجاعاً للاسرار القديمة . . فقد كانت عقيدة الوسيط مألوفة فى معتقدات الفرس وأتباع الأفلاطونية الحديثة .

وكانت فكرة التثليث معتقداً دينياً شائعاً ، تنبع أساساً مما تعارفوا عليه من أن العدد ثلاثة كان هو العدد الكامل . . وما كانت فكرة الدينونة بكل عواقبها المرعبة حكراً على العقيدة المسيحية ، فقد كان المؤمنون بميثرا وعلماء الرواقية تجمعهم فكرة واحدة وهى أن العالم على وشك أن يهلك فى السعير » (١٨) .

★

---

(١٨) المرجع ٢٤ : ص ١٠٢ - ١٠٣ ، ١١٥

ويقول ميخائيل جرانت : « من السهل أن نشير الى أوجه التشابه بين المسيحية وديانات الطقوس السرية فى العالم الرومانى الإغريقى الذى انبثقت منه وجاءت لتلبى نفس المطالب . . **إن العبادات المسيحية والوثنية كانت تلبى مطالب متشابهة . .**

وربما كان تأثير ديانات الطقوس السرية على القديس بولس طفيفاً — ولو أنه نادراً ماهرب من مصطلحاتها الخاصة والتى كانت مستخدمة فى اليهودية المعاصرة له —لكن تابعيه تأثروا بها بقوة ، كما فعل القديس اجناتيوس مطران أنطاكية الذى كتب عن كسر الخبز كدواء للخلود . .

وبتطبيق العادة المألوفة من دمج الديانات المختلفة معاً ، فإن عبادات على هوامش المسيحية قد اندمجت مع عناصر مما فى ديانات الطقوس السرية . .

ونجد فى آسيا الصغرى — فى القرن الثانى — أن الناسيين والمونتانيين قد وحدوا المعتقدات المسيحية مع تبجيل أتيس أو اقتباسات من ديانته . كما نسمع عن بعض أهل الإسكندرية الذين عبدوا يسوع وسرابيس » (١٩) .

✶

ويقول أرنست كيللت : «**إن أوجه التشابه المحيرة بين شعيرة التعميد فى المسيحية — على سبيل المثال — وبين طقوس التطهير فى ديانة أتيس وأدونيس ، لتصدم كل دارس** . لقد أظهرت الديانة المسيحية قدرة ملحوظة فى جميع العصور على الأخذ لنفسها ماينا سبها من الديانات الأخرى . إن كثيراً من عبارات بولس يصعب شرحها إلا على فرض أنه قد قبل عن طيب خاطر تلميحات من هذا النوع . .

ولسوف أعطى هنا ملخصاً لأسطورة أتيس وطقوس عبادته ، لأن هذا لم يؤثر فقط بعمق فى المسيحية ، بل لأنه كان منتشراً فى أغلب أجزاء الإمبراطورية الرومانية .

---

(١٩) المرجع ٢٢ : ص ٢٠٧

لقد حدثت قيامة أتيس فى يوم الخامس والعشرين من مارس ، بدء الربيع ، وهو نفس اليوم الذى قام فيه المسيح من الأموات حسب أقوال كثير من المسيحيين ، وهو نفس اليوم الذى أتم الله فيه خلق العالم حسب التقاليد اليهودية .

لقد كان أتيس شاباً من فريجية ، ابن الأم الكبرى سيبيل ، ولد من عذراء حملته بوضع لوزة ناضجة فى ثديها . . وحسبما جاء فى إحدى الروايات فإنه قتل مثل أدونيس (٢٠) كذلك فإن التشابه بين الطقوس السرية لديانة ميثراً والمسيحية مذهلة . وهى محيرة فعلا لدرجة أن السبب الوحيد الذى أعطاه آباء الكنيسة تبريراً لذلك ، كان قولهم إن الشيطان كان يقلد المسيح . .

وفى رأيى ، على أى حال ، أنه من المستحيل الاعتقاد بأن هذا التشابه جاء عرضاً ، فلابد أن تكون واحدة قد استعارت من الأخرى ، أو أن يكون الارتباط متبادلا .

إن الميثرية لها طقوسها المتعلقة بالعشاء الربانى ، ومن الصعب التفريق بينها وبين ما فى عقيدتنا (المسيحية) ، ولها احتفالات تماثل احتفالات عيد الميلاد ، ولها عيد القيامة . .

إن كلا عن الميثرية والمسيحية — كما يقول هرنك — شرقية الأصل ، وقد دخلت الإمبراطورية (الرومانية) فى حوالى نفس الزمن ، وقد اجتذبت بالتساوى الطبقات الدنيا من الناس ، وكان بينهما اتفاق فى عدة وجوه هامة »(٢١) .

★

---

(٢٠) راجع بقية الطقوس ص ٧٠

(٢١) المرجع ٢٢ : ص ١٣٠ — ١٣١ ، ١٩٣ ، ٢٦٢

مما سبق يتبين أن المسيحية التقليدية ــ مسيحية بولس الصليبية ــ تشارك الديانات التي سادت في الإمبراطورية الرومانية أصولها المشتركة ، وفي مقدمتها الإيمان بالإله المخلص الذي عاش إنساناً بين البشر ، ثم قتل شاباً، لكنه قام ثانية بعد الموت وانتصر عليه .

كذلك تشارك المسيحية تلك الديانات القديمة لب عقائدها الذي يقوم على التثليث .

تقول دائرة المعارف الأمريكية : « إن عقيدة التثليث هي العقيدة المسيحية التي تقول بالطبيعة الثلاثية للإله . **وهي عقيدة ليست من تعاليم العهد القديم ، ولا توجد في أي مكان بين ثناياه .**

إن العقيدة التي تختص بالطبيعة الإلهية ، والتي يحرص عليها بشدة في كل مكان بين دفتي العهد القديم ، هي توحيد الله ، وهو الشيء الذي يخالف عقيدة تعدد الآلهة . .

ولقد كان من بين التعريفات التي نتجت عن الصراع بين وجهات النظر في الكنيسة الأولى فيما يختص بعقيدة التثليث ، تلك التي تبنتها الكنيسة الكاثوليكية ، وهي التي يتقبلها المسيحيون التقليديون بوجه عام.. ذلك أنه فيما يتعلق بالألوهية توجد ثلاثة أقانيم ، واحدة في الجوهر ومتماثلة في الأزلية ومتساوية في القدرة هي : الآب ، والابن ، والروح القدس . وعلى أي حال فقد جاء ذلك بعد صراع عنيف أخذ وقتاً طويلا .. إلا أن انشقاقاً كبيراً حدث في الكنيسة . ذلك أن الكنيسة الشرقية تعتقد بأن الروح القدس ينبثق من الآب ، بينما تعتقد الكنيسة الغربية بأن الروح القدس ينبثق من الآب والابن .

إن كلمة : تثليث ، ليست من نصوص الكتب ، وإن كلمة : أقانيم ، ليس لها استعمال في الأسفار . ولكن يبدو أن شيئاً شبيهاً بإدراك معنى الأقنوم قد فهم ضمناً في محاورات الرسل في رسائلهم»(٢٢)

---

(٢٢) المرجع ٢٨ : ج ٢٧ ــ ص ٦٩

وإذا كان التثليث شائعاً فى الديانات الوثنية القديمة ، فقد كان السمة البارزة فى ديانة إيزيس التى اكتسحت الإمبراطورية الرومانية ، وكانت هى الديانة الوثنية التى أصبحت عالمية ، إلى أن احتلت المسيحية مكانها.

★

ولا يقتصر التشابه بين المسيحية وغيرها من تلك الديانات القديمة على المشاركة فى الأساسيات ، إنما هو يتعداها إلى الفروع والحواشى والصور والرموز .

يقول أدولف أرمان : « فى مساكن العصر الرومانى نجد بين تماثيل الآلهة من الصلصال أشكالا صغيرة متنوعة لإيزيس ، كانت تعتبر عند العامة من الناس تماثيل مقدسة ، وكثيراً ماكانت تزود بمصابيح تضاء فى عيد المعبود تكريماً له . **وفى هذه التماثيل يتجلى الجانب الإنسانى فى إيزيس ، فقد كان يستحب تمثيلها مع رضيعها وهى تعطية ثديها، فى وضع يذكر فى بعض الأحيان بتماثيل السيدة العذراء ، بما يثير الدهشة (٢٣)** .

حقاً إن « التحول من الوثنية إلى المسيحية لم يكن يعنى الدخول فى جو غريب كلية ، أو ممارسة ثورة فجائية .. وكانت طقوس العقيدة الجديدة استرجاعاً للأسرار القديمة » .

لقد كان ذلك التحول يمثل الانتقال من حجرة إلى حجرة — ربما كانت أوسع أو بها منفذاً يعطى راحة وأملا — ولكنها قبل ذلك كله وبعده لا تعدو أن تكون حجرة فى نفس البيت . فكل تلك الديانات أقامت بيتها على عقيدة الوسيط ، الإله المخلص المقتول ، الذى يقوم ثانية بعد الموت . وقد ارتبط ذلك الإله المقتول ببقية شركة الآلهة المتحدة برباط التثليث .

---

(٢٣) المرجع ٤ : ص ٤٣٤

من أجل ذلك انتشرت المسيحية فى العالم الرومانى انتشاراً مستمراً ، لم يقطعه على فترات سوى مكايد اليهود واضطهاد بعض الحكام ، كما سنرى فيما بعد .

★★

تسهيلات الإمبراطورية الرومانية للمسيحية :

لقد أجمع الباحثون – كذلك – على أن مولد المسيحية فى حضن الإمبراطورية الرومانية كان خيرعون لها على الظهور والانتشار .

يقول أرنست كيللت : « إنها ملاحظة مألوفة فى التاريخ أن المسيحية وجدت الطريق قد مهدته لها الإمبراطورية الرومانية ، الواسعة ، الهادئة ، الجيدة التنظيم .

لقد كان تدبير العناية الإلهية أن يسوع ولد فى أيام أغسطس .. إن الظروف التى وجدها بولس كانت مواتية تماما لعمله التبشيرى ، والتى كانت تتمثل فى وجود حكام رومانيين يحفظون النظام ، وفى الطرق الجيدة ، والبحار التى لا يخشى فيها سوى العواصف (بعد أن قضى على القراصنة) . لقد كان مرجع هذا كله إلى العمل الرائد لأغسطس ، والعدالة المقسطة لتيبريوس ، والتقاليد التى أرسياها .

وعلى أى حال ، فإن قوة روما الإمبراطورية الوحيدة ، حين كانت تعمل قسراً على الوحدة فى الشئون الدنيوية ، بطرقها السهلة وممراتها البحرية وتعريف شعب بآخر ، فإنها قد ساعدت كذلك على نمو فكرة الوحدة فى الدين ..

وعندئذ ، يكون من الطبيعى أنه فى أزمنة الإمبراطورية ، وليس قبلها ، نلاحظ ظهور ديانات ترفع بحزم لواء الدعوة إلى العالمية. ولقد كانت المسيحية أهم هذه الديانات ، بيد أنها لم تكن الديانة الوحيدة»(٢٤).

★

---

(٢٤) المرجع ٢١ : ص ٩٩ – ١٠٠

ويقول إدوارد جيبون « **لقد لوحظ بصدق أن الفتوحات الرومانية قد هيأت الطريق أمام المسيحية وسهلت نشرها** .. إن أكثر المقاطعات تحضراً فى أوروبا وآسيا وإفريقيا كانت قد اتحدت تحت حاكم واحد ، وبدأت ترتبط تدريجياً بأقوى روابط التآلف ، من قوانين وأساليب ولغة . .

إن الطرق الرئيسية التى أنشئت لتستخدمها فيالق الجنود ، قد فتحت ممراً سهلا للمبشرين المسيحيين ، من دمشق إلى كورنثوس ، ومن إيطاليا إلى أقصى أسبانيا وإنجلترا . **ولم يواجه هؤلاء الغزاة الروحانيون أى عقبات من تلك التى عادة ما تؤخر أو تمنع تقديم عقيدة جديدة إلى بلد بعيد** .

ولدينا أقــوى البواعث على الاعتقاد بأنه قبل عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـــ ٣٠٥ م) وقسطنطين (٣٢٣ ـــ ٣٣٧ م) فإن عقيدة المسيح قد بشر بها فى كل مقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية الرومانية ، وفى كل مدنها الكبيرة »(٢٥) .

★

من الواضح ـــ إذن ـــ أن المسيحية كديانة جديدة ولدت فى صدر القرن الأول الميلادى ، قد أخذت فرصتها كاملة فى الدعوة بين الناس ، بعد أن مهدت لها الإمبراطورية الرومانية الكثير من سبل التقديم والوصول إلى مختلف صنوف البشر ، ومن ثم استطاعت أن تنتشر ويزداد من حولها الأتباع والأدعياء .

لقد مرت المسيحية بالمراحل التى مرت بها سابقاتها من الديانات التى شاعت فى العالم الرومانى . وإذا كان بعض الأباطرة قد حارب المسيحية كما فعــل نيرون (٥٤ ـــ ٦٨ م) ، وذكيوس (٢٤٩ ـــ ٢٥١ م) ،

---

(٢٥) المرجع ٢٣ : ص ١٨١ ـــ ١٨٢

ودقلديانوس (٢٨٤ — ٣٠٥ م) ، ثم ما لبثت أن حمل لواءها واحد من خلفائهم هو قسطنطين الذى جعلها دين الدولة الرسمى ، فلقد حدث نفس الشيء لديانة إيزيس التى حاربها أغسطس ، ثم مالبثت أن اكتسحت الإمبراطورية وحكامها من أمثال كاليجولا ، ودومتيان ، وهادريان .

★★

حقيقة ما يقال عن اضطهاد الرومان للمسيحية :

إن الاضطهاد الذى واجهته المسيحية كديانة وليدة ، كان يهودياً . فتلك حقيقة أولية سجلتها الأسفار المسيحية ، وخاصة سفر أعمال الرسل الذى يحكى النشاط التبشيرى لتلاميذ المسيح ومن دخل فى زمرتهم خلال الثلاثين عاماً التى أعقبت رحيل صاحب الدعوة . وفيما يلى نماذج لبعض ما تحكيه الأسفار المسيحية عن الاضطهاد اليهودى للمسيحية .

ونبدأ بما حدث لبطرس ويوحنا ، اللذين بينما كانا « يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب .. فألقوا عليهما الأيادى ووضعوهما فى حبس إلى غد .. **فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع** .. وبعد ما هددوهما أيضاً أطلقوهما — أعمال الرسل ٤ : ١ — ٢١ » .

كذلك عانى بقية التلاميذ من ذلك الاضطهاد اليهودى ، فقد« جرت على أيدى الرسل آيات وعجائب كثيرة فى الشعب . . فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقيون وامتلأوا غيرة . **فألقوا أيديهم على الرسل ووضعوهم فى حبس العـامة . . وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم . . ودعـوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم** — أعمال الرسل ٥ : ١٢ — ٤٠» .

ولقد كانت المؤامرة على استفانوس ، يهودية ، فقد « دسوا لرجال يقولون إننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله . وهيجوا

الشعب والشيوخ والكتبة فقاموا وخطفوه وأتوا به إلى المجمع . وأقاموا شهود كذبة يقولون هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلاماً تجديفاً . .

فصاحوا بصوت عظيم وسدوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة . وأخرجوه خارج المدينة ورجموه — أعمال الرسل ٦ : ١١ — ١٣ ، ٧ : ٥٧ — ٥٨ » .

وبمجرد أن أعلن بولس تحوله إلى المسيحية « تشاور اليهود ليقتلوه.. وكانوا يراقبون الأبواب أيضاً نهاراً وليلا ليقتلوه . فأخذه التلاميذ ليلا وأنزلوه من السور مدلين إياه فى سل — أعمال الرسل ٩ :٢٣ — ٢٥ » .

ثم كان ما فعله هيرودس الملك اليهودى الصغير بتلاميذ المسيح ، **فقد مد « يديه ليسىء إلى أناس من الكنيسة فقتـــل يعقوب أخا يوحنا بالسيف . وإذ رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً** . ولما أمسكه وضعه فى السجن . . ناوياً أن يقدمه بعد الفصح إلى الشعب . . (وبعد هرب بطرس) طلبه فلم يجده فحص الحراس وأمر أن ينقادوا إلى القتل — أعمال الرسل ١٢ : ١ — ١٩ » .

وعلى عكس ما سبق ، كان سلوك الحاكم الرومانى — غير اليهودى — غاليون . إزاء شكوى اليهود ضد بولس . فقد وقف على الحياد أولا ، طالما أن الأمر يتعلق بمعتقدات الناس الدينية ، وذلك تطبيقاً لسياسة روما فى مثل تلك الأمور . ثم ما لبث أن وقف ضد اليهود بعد ذلك :

« لما كان غاليون يتولى أخائية ، قام اليهود بنفس واحدة على بولس وأتوا به إلى كرسى الولاية . قائلين إن هذا يستميل الناس أن يعبدوا الله بخلاف الناموس . وإذ كان بولس مزمعاً أن يفتح فاه ، قال غاليون لليهود : لو كان ظلماً أو خبثاً ردياً أيها اليهود ، لكنت بالحق قد احتملتكم . ولكن إذا كان مسئلة عن كلمة وأسماء وناموسكم ، فتبصرون أنتم ، **لأنى لست أشاء أن أكون قاضياً لهذه الأمور . فطردهم من الكرسى.**

فأخذ جميع اليونانيين سوستانيس رئيس المجمع وضربوه قدام الكرسى ولم يهم غاليون شىء من ذلك . وأما بولس فلبث أيضاً أياماً كثيرة ثم ودع الإخوة وسافر فى البحر إلى سورية ــ أعمال الرسل ١٨ : ١٢ ــ ١٨».

وأخيراً نأتى إلى تقرير بولس الشهير فى بنى جلدته من اليهود ، إذ يصفهم بأنهم قتلة الأنبياء ، وأعداء الإنسانية ، ويمنعون التبشير بالمسيحية :

« اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم ، **واضطهدونا نحن** . وهم غير مرضين الله ، وأضداد لجميع الناس . **يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكى يخلصوا** ، حتى يتمموا خطاياهم كل حين . **ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية** ــ (١) تسالونيكى ٢ : ١٤ ــ ١٦ » .

مما سبق يتبين أن اليهود هم الذين حملوا لواء الاضطهاد ضد المسيحية.

★

وفى حديث عن حقيقة ما يقال عن اضطهاد الحكام الرومان للمسيحية ــ قبل أن تصبح دين الدولة الرسمى ــ وما نسج حوله من أقاصيص ، وما ذكر عن عدد الشهداء من أرقام اتسمت بالمبالغات ، يقول المبشر الإنجليزى ستيفن نيل :

« يجب ألا ننساق مرة أخرى إلى المبالغات الخرافية . فما لا شك فيه أن المسيحيين فى ظل الإمبراطورية الرومانية قد حرموا حق الحياة ، وكانوا معرضين لأقصى ضغط يسمح به القانون . ولكن من الواضح أنه فى مقابل ذلك بوجه عام ، **فإن المأمورين القضائيين لم يكونوا مولعين بالانتقال فوراً إلى الإجراءات القاسية** ، فهم غالباً ما فعلوا أقصى ما يمكنهم لتحريض المسيحيين على إنقاذ أنفسهم بالاستجابة للمطالب البسيطة للقانون . وأنه ــ حتى زمن حدوث الاضطهاد المنظم الذى أمر به دكيوس (٢٤٩ ــ ٢٥١ م) فى منتصف القرن الثالث ــ عندما اشتعل

الاضطهاد ، فإنه كان استجابة لمطلب شعبى بدلا من اعتباره نتيجة لحملة خططت لها السلطات الحاكمة ..

إن كل مسيحى كان يعلم أنه ، عاجلا أو آجلا ، قد يلزمه البرهنة على إخلاصه لعقيدته بدفع حياته ثمناً لها . **ولكن لم يحدث أن تعرضت أية كنيسة لاضطهاد مستمر وقاس مدة طويلة من الزمان، و إن عدد الشهداء كان أقل بكثير مما تخيلته العصور الأخيرة** »(٢٦) .

ويقول جيبون : « يجب الاعتراف ، على أى حال ، بأن سلوك الأباطرة الذين أظهروا أقل مودة تجاه الكنائس المسيحية الأولى ، لا يمكن اعتباره مطلقاً على مثل ذلك الإجرام الذى مارسه الحكام المتحضرون من أعمال البطش والرعب لمقاومة الأفكار الدينية لأى من رعاياهم . إن كلا من شارل الخامس ولويس الرابع عشر ، لا بد وأن يكون قد حصل على قدر كاف من المعرفة بحقوق الضمير ، والالتزام قبل العقيدة ، والعفو عن الزلات . لكن الأمراء والمأمورين القضائيين فى روما القديمة كانوا غرباء عن هذه المبادىء . .

ومن الوجهة العامة لسلوكهم ودوافعهم يمكننا أن نخلص ببساطة إلى الآتى :

١ — أنه مر وقت طويل قبل أن يعتبروا الطوائف الجديدة (المسيحية) شيئاً يستحق الاهتمام من الحكومة .

٢ — وأنه فى حالة اقتناعهم بأن أياً من رعاياهم قد ارتكب جرائم فردية من هذا النوع ، فإن إجراءاتهم ضده كانت تتسم بالحذر والتروى.

٣ — وأنهم كانوا معتدلين فى استخدام العقاب .

٤ — وأن الكنيسة الممتحنة تمتعت بفترات طويلة من السلام والهدوء.

---

(٢٦) المرجع ٢٥ : ص ٤٢ — ٤٣

وخلال فترة طويلة من توفى المسيح إلى التمرد (اليهودى) المشهور ، فإننا لا نستطيع اكتشاف أى أثر لتعصب رومانى ، إلا ما وجد فى ذلك الاضطهاد الذى حدث بعد خمسة وثلاثين عاماً من الأولى ، وقبل عامين فقط من الأخير »(٢٧) .

ويقول ستيفن رنسيمان : « من المعروف أن الأباطرة الوثنيين اشتهروا بالتسامح مع العقائد المحلية . . ولم يتعرض لمحنة الاضطهاد من حين لآخر سوى المتعنتين من الموحدين أمثال المسيحيين واليهود ، على أن الأباطرة المسيحيين لم يبلغوا هذا الحد من التسامح .

فالمسيحية تعتبر ديانة مانعة لاتقبل أن تعيش معها ديانة أخرى ، وأراد الأباطرة أن يفيدوا منها باعتبارها قوة موحدة فى ربط رعاياهم بالحكومة . فعلى الرغم من أن قسطنطين نفسه لم يعرف من أصول الدين إلا قليلا ، فإنه حرص على توحيد الكنيسة التى مزقتها وقتذاك المشكلة الآريوسية »(٢٨) .

★

إن ما يعلق بأذهان الكثيرين — إلى الآن — عن حجم الاضطهاد الرومانى ضد المسيحية ، يحتاج إلى وقفة للمراجعة ، بعيداً عن المبالغات وأقاصيص الخيال ، وخاصة بعد أن عرفنا كيف كان مولد المسيحية فى ظل الإمبراطورية الرومانية عاملا رئيسياً فى نشرها بين مختلف شعوب هذه الإمبراطورية .

★★

---

(٢٧) المرجع ٢٣ : ص ١٩٩ — ٢٠١

(٢٨) المرجع ٢ : ج ١ : ص ١٩

الفصل الخامس

كيف انتشرت المسيحية في أوروبا ؟

لقد جرى التعبير دائماً عن المسيحية بأنها ديانة أوروبية. فرغم نشأتها فى الشرق إلا أن التبشير بها فى أوروبا ، وقيام الغرب بحمل لوائها عبر القرون ومحاولاته المستمرة لنشرها فى كل مكان ، قد جاء تحقيقاً لتلك المقولة .

ويهمنا فى هذا المبحث أن نتعرف على العوامل والظروف والوسائل التى استخدمت لجعل المسيحية ديناً لأوروبا. ولا يعنينا فى هذا المقام أن نستقصى دخول المسيحية كل البلاد الأوروبية ، فذاك شيء فوق طاقة هذا الكتاب . إلا أن تتبع الخطوط العامة لغزو المسيحية لأوروبا ، وعرض نماذج للوسائل والأساليب التى تحولت بها كثير من شعوب أوروبا وقبائلها إلى المسيحية ؛ يعتبر أمراً بالغ الأهمية . وهذا ماسوف نراه من خلال مرجع هام هو «تاريخ إرساليات التبشير المسيحية» للمبشر الإنجليزى ستيفن نيل .

★

فرنسا وألمانيا :

يقول ستيفن نيل : « لقد شهدت نهاية القرن الخامس فى فرنسا حادثاً، اعترف بحق أنه إحدى نقط التحول فى التاريخ المسيحى ، ألا وهو تعميد كلوفيس ملك الفرنجة مسيحياً . فعندما انهارت القوة الرومانية القديمة ، فإن أوروبا الغربية صارت بمرور الزمن نهباً للشعوب البربرية التى تدفقت عليها من الغابات الألمانية وسهول وسط أوروبا . ورغم أن الفرنجة خلعوا اسمهم على فرنسا ، فقد كانوا شعباً ألمانياً ، وكانوا فى نفس الوقت وثنيين . وفى عام ٤٩٣ تزوج ملكهم كلوفيس من أميرة مسيحية من برجنديا هى

كوتيلدا ، التى فعلت كل ما يمكنها لتنصيره فلم تفلح . . وعندما هدد كلوفيس بالقهر فى معركته ضد أعرق الشعوب الألمانية ، فإنه أقسم فى لحظة الخطر على أن يصير خادماً لإله المسيحيين إذا كان النصر حليفه . وقد أبر بقسمه ، فتعمد يوم عيد الميلاد عام ٤٩٦ ومعه ثلاثة آلاف من مقاتليه .

لقد كان غالبية البرابرة الذين تحولوا إلى المسيحية على مذهب آريوس ، أما كلوفيس فقد عمده أسقف كاثوليكى ، وقد قبل ، حسبما وسع تفكيره ، الشكل الكاثوليكى للعقيدة المسيحية . .

وعندما دخل البرابرة الكنيسة ، فإنهم لم يحضروا لها البساطة الفاضلة للشعوب البدائية ، وكان ما جلبوه إليها عبارة عن طبائع عنيفة غير مهذبة ، مصحوبة بميل متأصل للتوحش والمغالاة . .

إن شارلمان يعتبر بلا جدال واحداً من أعظم الشخصيات فى تاريخ كل من الكنيسة والعالم . **وما يهمنا فى المقام الأول هنا هو امتداد الدائرة المسيحية عن طريق غزوات شارلمان ضد السكسون.. فقد كانوا مصدر خطر عليه ، ولذلك قرر أن يخضعهم لسلطانه باستخدام مزيج من القوة المسلحة والعقيدة الدينية .**

فمنذ عام ٧٧٢ حتى عام ٧٩٨ ونحن نقرأ عن استمرار الغزوات المتعاقبة ، وتحول إلى المسيحية ، ومؤامرات ، وأعمال قمع . .

وبمجرد إخضاع إحدى القبائل الألمانية ، فإن تحولها إلى المسيحية كان يندرج فى بنود السلام ، كثمن يمنح لها نظير تمتعها بحماية الإمبراطور وحكومته الرشيدة التى تحميها جيوشه . لكن هذا يعنى ربط العقيدة الجديدة بالقوة الغازية ، وهو أمر خطير . ذلك أن أى شرارة من الوطنية ، أو أى حركة من المقاومة للعنصر المتسلط ، إنما تأخذ — على قدم المساواة — شكل المعارضة العنيفة للعقيدة المسيحية . **وعلى هذا فإن كل ثورة من الشعب كان يصاحبها بعث جديد للوثنية .** وتلقى القصة الطويلة للاستشهاد والمذابح ، ضوءاً شاحباً على العمليات التى تم بها أخيراً تحول السكسون إلى المسيحية .

لقد سجل أنه فى إحدى المناسبات ، قتل شارلمان ٤٥٠٠ سكونى فى يوم واحد .

وتفرض قوانين الدولةعقوبات وحشية ضد أى خرق لمجموعة القواعد المسيحية ، ومنها :

أن أى سكسونى غير معمد ، يحاول أن يختبىء بين شعبه ، ويرفض قبول التعميد مسيحياً ، سوف يقتل .

وأن أى شخص يتآمر مع الوثنيين ضد المسيحيين ، سوف يقتل»(١) .

وهكذا استخدمت المسيحية لخدمة سياسة الحكام الذين حملوا السيف لإكراه رعاياهم على قبولها ديناً .

النرويج :

★

«لقد حدث فى النرويج ما حدث فى الدنمرك ، إذ لعبت السلطة الملكية دوراً كبيراً فى نشر العقيدة المسيحية .

إن أول بطل متميز فى الغزوة المسيحية للنرويج ، كان ذلك القرصان الإسكندنافى الطائش أولاف تريجفسن . . فقد كان فى عام ٩٩٠ فى مكان ما بجزيرة صقلية ، وهناك تأثر كثيراً بأحد النساك الذى قابله صدفة ثم تعمد على يديه . وفى عام ٩٩٥ عاد أولاف إلى النرويج وبعد قليل انتخب ملكاً على الإقليم .

وبمجرد انتخابه ملكاً فقد بدا أولاف فى جعل عقيدته لتكون عقيدة كل النرويجيين .

وقد استخدم لذلك كل الاسلحة : المداهنة ، والخداع ، والتحريض ، وعندما فشل كل ذلك فإنه استخدم الإجبار المحض دون مواربة .

---

(١) المرجع ٢٥ : ص ٥٨ — ٥٩ ، ٧٩ — ٨٠ .

وفى أغلب الحالات ، عندما رأى الرعية أن الملك كان مستعداً عند الضرورة أن يكرههم على ابتلاع عقيدته (المسيحية) بحد السيف ، فإنهم جنحوا إلى العقل ، ووصلوا إلى حل ديمقراطى سعيد (كما يقول المبشر نيل) حيث وافق الجميع على استبدال المسيحية بعقيدتهم القديمة » (٢) .

وهكذا تحول شعب النرويج إلى المسيحية بحد السيف .

★

السويد :

« لقد كانت السويد أكثر بطئاً من غيرها من البلاد الإسكندنافية فى اعتناق المسيحية . وفى أوائل القرن الحادى عشر كان أولوف سكوتونج أول ملك مسيحى . . وقد قوبلت محاولاته بتنصير شعبه بمقاومة عنيدة . وقد ذهب تصميمه القوى على هدم المعبد الشهير فى أوبسالا سدى ، فقد بقى المعبد واستمر تقديم القرابين فيه قرابة قرن بعد عهده ؛

وبعد أولوف بنحو قرن أصبح إنج ملكاً ، وقد حاول مرة ثانية أن يبطل القرابين ، وأصر على تعميد شعبه ، لكن مقاومة الوثنيين وقفت ضده مرة أخرى . ولم يستتب الأمر للمسيحية إلا مؤخراً فى عهد سفركر (١١٣٠ — ١١٥٥ م » (٣) .

إن قصة دخول المسيحية السويد لا تختلف عن نظيرتها فى البلاد الأوروبية الأخرى ، إذ تبدأ بحاكم يقبلها — لسبب أو لآخر — ثم لا يلبث أن يفرضها على شعبه كرهاً .

★

فنلـــندا :

« فى عام ١١٥٥ قام إريك التاسع ملك السويد . بحملة صليبية على نطاق واسع ضد فنلندا ، وبالإضافة إلى فرض سيطرته العسكرية فإنه طلب ضرورة

---

(٢) المرجع ٢٥ : ص ١٠٥
(٣) المرجع ٢٥ : ص ١٠٨

تعميد السكان الفنلنديين . وقد صاحب إريك المطران الإنجليزى هنرى ، الذى يبدو أنه بقى هناك بعد عودة الملك إلى وطنه ، بغرض استقرار النظام المسيحى فى فنلندا . وأثناء المقاومة الوثنية المعتادة استشهد هنرى . . وكان تقدم المسيحية بين الفنلنديين بطيئاً جداً . وفى عام ١٢٩١ يمكن القول فقط بأن تحول الإقليم ظاهرياً إلى المسيحية قد بلغ غايته » (٤) .

لقد استغرق تحول فنلندا إلى المسيحية زهاء ١٥٠ عاماً ، بدأت بالعنف والقهر واستمرت كذلك يدعمها النفوذ السويدى إلى أن تم تعيين ماجنوس أول مطران فنلندى فى عام ١٢٩١ .

★

بروسيا :

« لقد كان يعيش فى جنوب البلطيق وشرقه شعوب الوندال والبروسيين واللتوانيين ، وعدد من شعوب أخرى ، لم تتحد جميعها إلا على شىء واحد هو تصميمها على ألا تكون مسيحية . إن التبشير بالإنجيل لم يكن أبطأ ولا احتاج إلى جهود مضنية مثلما كان الحال فى هذه المنطقة . .

ومهما كان تفكيرنا فى الطريقة التى اتبعت أخيراً ، فإن التاريخ لا يستطيع إنكار أن إضافة هذه المناطق إلى العالم المسيحى كان سببه غزوات الفرسان التيوتونيين لقد سحبت تدريجياً جماعة الفرسان التيوتونيون التابعين لمستشفى القديسة مريم فى أورشليم ، والتى كان قد أسسها عام ١١٩٨ تجار من بريمن وليبك لمساعدة المرضى والجرحى فى حصار عكا (أثناء الحروب الصليبية) لكى تخدم الكنيسة على الجبهة البروسية .

لقد كان المفهوم هو أن هذه الجماعة لديها تفويض بأن تضم إلى ممتلكاتها أى أراض تستولى عليها من الوثنيين ، على شريطة أن تعطى الشعب المغلوب ، التعاليم المسيحية كتعويض له عن فقد أراضيه (!!)

---

(٤) المرجع ٢٥ : ص ١٠٩

وقد حدث أخيراً ، عندما عين مطارنة لتلك المناطق ، أن **عدل البابا المنحة ، حيث جعل الثلثين للغزاة (الفرسان) والثلث للمطارنة .**

إن الوثنيين رغم كونهم شجعاناً فقد عجزوا عن الوقوف فى وجه فرسان الإمبراطورية المنضبطين . **لقد انقضت خمسون عاماً فى أعمال الغزو** ، وفى نهاية تلك الفترة انتهت المقاومة ، وانضمت بروسيا إلى العالم المسيحى ..

لقد جاءت هنا كل أجهزة التبشير المسيحية فى القرون الوسطى لترافق الغزو الحربى . وكانت بنود المعاهدة (بين الغزاة المبشرين والبروسيين) أبعد ما تكون عن اعتبارها مهذبة أو صورة لنصيحة بالحسنى . لقد برز كل ذلك فى صيغة أوامر ، وكانت قوات المراقبة ذات الدرجة العالية من الكفاءة — لكل من الكنيسة والدولة — هناك ، لتتأكد من إطاعة الأوامر بكل دقة .

قد يكون موضع تساؤل : إلى أى مدى كان الاقتناع الداخلى متمشياً مع المظهر الخارجى لممارسات العقيدة ؟

لكنه سؤال مقلق لا يزال يتعقبنا (نحن المسيحيين) منذ حمل شرلمان السيف ليساعد على تنصير السكسون ، بل إنه فى الواقع يلاحقنا منذ زمن التعميد بالجملة لكلوفيس ورجاله فى عام ٤٩٦ » (٥) .

إن فرض عقيدة دينية على الإنسان قد يكون موضع جدل ، فقد يوجد بين المبشرين بتلك العقيدة من يعتذر لهذا العمل بدعوى إنقاذ ذلك الإنسان من الهلاك . لكن الشيء الذى لا يقبل الجدل هو إكراه الإنسان على شراء مثل تلك العقيدة ، وقيام البائع بفرض ثمن باهظ لها . ويزداد الموقف سوءاً حين يرفع المبشرون بتلك العقيدة المفروضة ، دعوى المحبة والتسامح ، والعطاء وليس الأخذ .

★

---

(٥) المرجع ٢٥ : ص ١٠٩ — ١١١

روســيا :

خلفت الأميرة أولجا زوجها فى حكم كييف فى الفترة ٩٤٥ – ٩٦٤م ، «وفى عام ٩٥٧ قررت أولجا الذهاب إلى القسطنطينية لتعمد على يدى البطريرك .. لكن الامور لم تسر وفق خطط الأميرة ، فقد وجدت عند عودتها أن نبلاءها لم يكونوا مستعدين بأى حال من الأحوال لاقتفاء أثرها فى الانضمام إلى الكنيسة .

ورغبة فى تشديد قبضتها ، فقد سارت أولجا وفق تقاليد عصرها المضطربة ، فأرسلت سفارة إلى الإمبراطور الغربى أوتو تسأله أن يبعث إليها بمطران . ولقد أجابها أوتو سريعاً ، إلا أنه حدث قبل وصول رسوله « المطران » إلى كييف أن تغير الوضع ، إذ قام سفياتوسلاف – ابن أولجا – بالاستيلاء على السلطة ، وارتمى كلية فى أحضان مقاومى المسيحية .

ولقد كانت هناك فترة بدا فيها إمكانية تحول سفياتوسلاف وبلاطه بالكامل إلى الإسلام ، إذ أنه هزم شعباً من الأتراك المسلمين على ضفاف نهر الفولجا ، وخلال الفترة التى بقيها بينهم ، فإن أساوب حياتهم قد اجتذبه تماماً إليهم . لو أن روسيا تحولت إلى الإسلام لتغير تاريخ العالم تماماً ، إلا أن الديبلوماسية البيزنطية منعت هذا الخطر (كما يراه الصليبيون والمبشرون ومنهم ستيفن نيل هذا !) . .

لقد كان فى عهد فلاديمير (٩٨٠ – ١٠١٥ م) ابن سفياتوسلاف أن صارت روسيا مسيحية . وتقص علينا أقدم المصادر الروسية قصة طريفة عن الطريقة التى أرسل بها فلاديمير مفوضين عنه فى شتى الأنحاء ليتحروا حقيقة الديانات التى يدعو لها جيرانه ، وذلك لكى يعتنق بالنيابة عن شعبه ، تلك التى يثبت أنها أسمى العقائد . .

ولقد بدت احتفالات الكنيسة الغربية التى شاهدوها فى ألمانيا بسيطة فى نظرهم . ولكن بعد وصولهم إلى القسطنطينية وجدوا ما كانوا يبحثون عنه ..

إن هذا يبين لنا بشكل واضح التأثيرات المختلفة التي كانت تفعل فعلها آنذاك في بلاط كييف ، وذلك القرار الذي اتخذه الحاكم ليقف تماماً في جانب القسطنطينية » (٦)

وهكذا كان تحول روسيا إلى المسيحية بناء على مشورة جماعة من النظارة ، لم تثرهم المشاهد التي رأوها في مسيحية ألمانيا بقدر ما راعتهم تلك التي شاهدوها في مسيحية القسطنطينية بمباهجها المعروفة ، ومن ثم قبلوا مسيحيتها التي اعتنقها ذلك الأمير نيابة عن شعبه ، وهم على آثاره مقتدون !

★

بولنـــدا :

« يبدأ التاريخ المسيحي بالدوق ميسزكا الذي اضطر في عام ٩٦٣ إلى الاعتراف بسيادة الإمبراطور أوتو الأول . ولقد تزوج بسيدة مسيحية هي دوبراوا ، أخت بولسلاف الثاني دوق بوهيميا . وفي عام ٩٦٦ أو ٩٦٧ **يحتمل أن يكون قد وافق على تعميده مسيحياً تحت تأثيرها** . وتبع هذا الحادث إنشاء أسقفية في بولندا عام ٩٦٨ . .

وتحت حكم ابن ميسزكا ــ واسمه بولسلاف ــ الذي حكم من ٩٩٢ إلى ١٠٢٥ ، فإن بولندا تقدمت كثيراً في القوة السياسية والاستقرار الكنسي . لقد وسع بولسلاف ممتلكاته لدرجة كبيرة ، وجعل بولندا أكبر مملكة في أوروبا الشرقية . .

لكن الأحوال في بولندا كانت دائماً غير مستقرة ، فبعد موت بولسلاف تمزق كل شيء لمدة من الزمن ، ولم يكتمل تحول بولندا إلى المسيحية إلا بعد قرن من الاضطراب ثم إعادة التنظيم» (٧) .

★

---

(٦) المرجع ٢٥ : ص ٨٨ ــ ٨٩

(٧) المرجع ٢٥ : ص ٩٢ ــ ٩٣

المجـــر :

« تزوج أميرها جيزا فى عام ٩٧٣ أميرة مسيحية هى أولهيد البولندية ، كزوجة ثانية له ،وبعد عامين تعمد مع ابنه الصغير فاجك الذى سمى ستيفن. ومنذ ذلك الموقف فصاعداً ، فإن جيزا عقدالعزم على تحويل بلده إلى المسيحية. ولما كان الترغيب لم يأت بنتائج فعالة ، فإنه لجأ إلى وسائل أخرى غير مقبولة ، ومن ثم تضاعفت أعداد المتنصرين بسرعة . وفى عام ٩٩٥ تزوج ستيفن من جيزلا ابنة هنرى الثانى دوق بافاريا ؛ وهكذا سار فى فلك العالم الغربى . وخلال حكمه (٩٧٥ــ ١٠٣٨) أصبحت المجر بلداً مسيحياً حقاً..

ومن الطبيعى أن يعقب موت ستيفن حدوث نكسة للمسيحية . . لكنها تجاوزت الأخطار المختلفة التى كانت تهددها . وفى نهاية القرن الحادى عشر قبلت المسيحية بوجه عام باعتبارها الديانة الوطنية للشعب المجرى» (٨) .

★

إن قصة تحول بلاد شرق أوروبا ــ وروسيا ــ إلى المسيحية تماثل نظيرها فى البلاد الأوروبية الأخرى ، إذ تقوم عناصرها الرئيسية على تسخير الدين لخدمة السياسة وتثبيت الحكم بمختلف الوسائل ، وفى مقدمتها إكراه الشعب على اعتناق دين الحاكم . وهى قصة متكررة ، اصطبغت دائماً بالعنف والدموية وأحابيل السياسة وطموح النساء اللاتى كان تأثيرهن عاملا مشتركاً فى تحول أزواجهن الحكام ، ومن خلفهم عامة الشعب .

★ ★ ★

---

(٨) المرجع ٢٥ : ص ٩٣ ــ ٩٤

الفصل السادس

المسيحية والسيف

كانت النية تتجه إلى أن يكون « المسيحية والسيف » عنواناً للفصل السابق : كيف انتشرت المسيحية فى أوروبا، لكنى آثرت التريث إلى مابعد عرض السبل والأساليب التى استخدمت لإدخال المسيحية فى أوروبا ، حتى تكون عناصر الموضوع قد اكتملت ، وظهرت الحقائق ، وتعدلت المفاهيم التى علقت بعقول مئات الملايين من البشر — مسيحيين وغير مسيحيين — لقرون عديدة ، ولاتزال تعلق بها مفاهيم خاطئة إلى الآن .

وإذا استثنينا أفراداً أو جماعات من مختلف الشعوب والأجناس ، عبر قرون طويلة ، قبلت المسيحية ديناً عن قناعات شخصية ، فمما لاشك فيه أن تحول الجموع الكبيرة من الأوربيين إلى المسيحية قدتم تحت رعب السيف ، وطلباً لمكاسب مادية لاعلاقة لها بمملكة السماء وعطاياها الأخروية . ويكفى التذكرة بما فعله شارلمان حين قتل فى يوم واحد ٤٥٠٠ إنسان رفضوا التنصير ، ثم مافعلته البابوية حين فوضت فرسانها بغزو شعوب البلطيق والاستيلاء على أراضيها ثمناً لتقديم المسيحية إليها !

★

يقول هربرت فيشر : « إن المؤرخ سوف يلاحظ **أن تحول أوروبا إلى المسيحية** — الذى أعقب العصر البطولى الأول بفقره وحميته — **كان مرجعه بالدرجة الأولى إلى الحساب المادى أو الضغط السياسى** . إن القوط ، والفرنجة ، والسكسون، والإسكندنافيين ، لم يقبلوا المسيحية ديناً بصفتهم أفراداً قادهم إليها نورداخلى ، **لكنهم قبلوها كشعوب تعرضت لإيعاز على نطاق واسع وتحت توجيه الزعماء السياسيين** .

ليس من الممكن إنكار أنه فى كل جيل كان هناك متحمسون دينيون لمس قلوبهم الجمال الأخلاقى للفضائل المسيحية ، أو سموا بالتأمل فى الطبيعة الإلهية. لكن الجموع الكبيرة من أولئكم الذين تحولوا من الوثنية إلى المسيحية ، فى ظل الإمبراطورية الرومانية ، وفى صدر العصور الوسطى، لم تؤثر فيهم إلا قليلا تلك الاعتبارات التى تتعلق بالعقيدة المحضة أو الأخلاقيات ، ولم يتعرضوا لتغييرات قلبية فى تحولهم .

ومن المناسب أن نتذكر أن قبول العالم البربرى للمعتقدات المسيحية لم ينتج عنه مثل ذلك التحوّل الفجائى والعميق الذى قد يفهم من كلمة التحوّل . فمازالت أوروبا مسرحاً لآلام مبرحة ، وشهوات بهيمية ،وخرافات منحطة » (١) .

★

ويتفق المبشر ستيفن نيل مع ماقرره المؤرخ هربرت فيشر فيما يتعلق بحقيقة الأوضاع والعوامل التى أدت إلى تحول أوروبا من الوثنية إلى المسيحية ، ومقدار الصدق فى ذلك التحول ، إذ يقول : « لامناص من التسليم بأن عمليات التنصير الأولى كانت سطحية جداً ، لكن هذا كان يعقبه فى كل مرة فترة طويلة من البناء الذى يجعل العقيدة جزءاً من تراث الشعب. **وإن التحالفات السياسية التى غالباً ما زادتها المصاهرة قوة ، تشكل جزءاً من الصورة . وكما حدث فى حالات كلوفيس (ملك فرنسا) واثلبرت (ملك كنت) فإنه يبدو أن تأثير الملكات المسيحيات قد لعب دوراً بارزاً فى عملية التحول إلى المسيحية »(٢) .**

لقد سبق أن رأينا المبشر ستيفن نيل وهو يتلمس المعاذير لعمليات التبشير القهرية ، كما حدث فى النرويج حين استسلم الشعب لإصرار الملك على تنصيره تحت ظل السيف ، فاعتبر ذلك حلا ديمقراطياً سعيداً . وهو الآن يلخص وصف عملية تحول أوروبا إلى المسيحية فيقول :

---

(١) المرجع ٢٤ : ص ١٩٩ — ٢٠٠

(٢) المرجع ٢٥ : ص ٩٠

« لقد كان عملا طويلا وبطيئاً ، شاركت فيه كل أنواع الصفات والأفعال ، ابتداء من الطهارة الخالصة البطولية إلى أن نصل إلى أحط أنواع الخداع والعنف » (٣) .

لقد كان السيف والعنف وسائل رئيسية لتنصير الشعوب الأوروبية ، وكانت الأطماع السياسية والمكاسب المادية دوافع رئيسية أغرت الملوك والحكام بالسير فى هذا السبيل . من أجل ذلك لم يقتصر الأمر على تنصير الوثنيين ، لكنه تعداه إلى اليهود المؤمنين بالله والتوراة وأسفار النبيين . **« فرغبة فى توحيد إمبراطوريته ، بدأ ليو الثالث تحويل اليهود إلى المسيحية بالقوة ، لكن ذلك (كما يقول ستيفن نيل) يصعب اعتباره عملا تبشيرياً »(٤).**

★★

الحروب المسيحية :

إذا كان السيف هو الوسيلة الرئيسية لنشر المسيحية -- وهذه حقيقة تاريخية -- فقد كان كذلك هو الوسيلة الرئيسية لتعامل المسيحية مع العالم غير المسيحى ، كما حدث فى الحروب الصليبية مع العالم الإسلامى ، وأخطر من ذلك أن كان السيف هو الوسيلة الوحيدة لتعامل المسيحية مع نفسها ، كما حدث فى الحروب الصليبية المحلية بين مختلف القوى المسيحية الأوروبية ، وعلى رأسها قوى البابوات خلفاء المسيح فى الأرض . ولنأخذ مثالا صارخاً مما حدث فى الحرب الصليبية الرابعة مع العالم الإسلامى .

لقد بدأت تلك الحروب الصليبية بدعوة من البابا إيربان الثانى عام ١٠٩٥ إلى حكام أوروبا وشعوبها بالكف عن الحروب المحلية ، والخروج بدلا من ذلك لمحاربة العالم الإسلامى والاستيلاء على خيراته . وبعد إعلانه أن المسلمين كفرة تستباح دماؤهم فقد دعا سامعيه إلى تخليص القبر المقدس

---

(٣) المرجع ٢٥ : ص ١١٢

(٤) المرجع ٢٥ : ص ٨٣

من أيديهم ، مع وعد بغفران الخطايا لقتلى تلك المعارك بمقتضى التفويض الربانى الممنوح له ! ...

حتى إذا كانت الحملة الصليبية الرابعة ، أعلن البابا أنوسنت الثالث « علناً عن رغبته فى الدعوة إلى حرب صليبية جديدة ، فكتب فى سنة ١١٩٩ إلى إيمار — بطريرك بيت المقدس يطلب منه تقريراً مسهباً عن مملكة الفرنج .. واتخذ أنوسنت خطوة تمهيدية لذلك بأن استهل المفاوضات مع الإمبراطور البيزنطى الكسيوس الثالث لتوحيد الكنيستين . ويعتبر فولك نيللى ، الرحالة الذى طالما سعى لإثارة حرب صليبية ، أكبر مبشر للبابا فى فرنسا .. **وبناء على طلب البابا أنوسنت الثالث طاف فولك بالبلاد يحث أهل الريف على أن يتبعوا سادتهم إلى الحرب المقدسة ..**

لم يتيسر تنظيم الحملة فى وقت وجيز ، فكان أول ما واجهه (البابا) من مشاكل هو توفير السفن اللازمة لنقل رجال الحملة إلى الشرق .. وفى مقابل خمس وثمانين ألف قطعة فضية كلونية يؤديها الصليبيون ، وافقت البندقية فى ٢٨ يونية ١٢٠٢ على أن تمد الحملة الصليبية من الوسائل والمؤن ما يكفى لمدة سنة .. **بشرط أن تحصل البندقية على نصف ما تفتحه الحملة من البلاد** .. غير أن جمهورية البندقية لن تقدم السفن مالم يتم الدفع فوراً ..

ومن المعروف أن الحرب ظلت سجالا بين جمهورية البندقية وملك المجر فى عشر السنوات الماضية من أجل السيطرة على دالماتيا . وقد انتقلت منذ زمن قريب مدينتها الرئيسية زارا إلى حوزة المجريين ، فجرى إخطار الصليبيين بأنهم إذا اشتركوا فى حملة تمهيدية لاستعادة زارا ، فسوف تستأنف الحملة سيرها وتؤجل تسوية الديون .. والواقع أنه تم الاتفاق من وراء ستار بين بونيفاس مونتفيرات (قائد الحملة الصليبية) الذى لم يكن عنده إلا حظ ضئيل من الورع المسيحى وبين دوج البندقية أنريكو داندولو ..

ولقد كان داندولو مستعداً لأن يناقش مع بونيفاس الخطط التى ترمى إلى توجيه حملة لمهاجمة القسطنطينية ، غير أنه لابد فى الوقت الراهن من المحافظة على ما للحملة الصليبية من مظهر خادع .

ولم تكد تتم الموافقة على شن هجوم على زارا ، حتى جرى قداس ديني في كاتدرائية القديس مرقس بالبندقية ، حيث اتخذ الدوج وكبار مستشاريه الصليب وسط مظاهرة . .

لم تلبث المدينة (المسيحية) بعد أن تعرضت لهجوم عنيف أن استسلمت.. فاستباحها العساكر ، ثم نشب القتال بعد ثلاثة أيام بين البنادقة والصليبيين أثناء أقتسام الغنيمة . .

وفي أوائل سنة ١٢٠٣ قدم إلى زارا رسول من ألمانيا من قبل فيليب (دوق سوابيا) الى بونيفاس ، يحمل إليه عرضاً محدداً من صهره ألكسيوس (ابن الإمبراطور المخلوع المسجون في القسطنطينية اسحق انجيلوس ، والذى هرب إلى صهره فيليب فى ألمانيا) بأنه إذا توجهت الحملة الصليبية إلى القسطنطينية وجعلت ألكسيوس على عرش الإمبراطورية ، فعندئذ يتكفل ألكسيوس بأن يؤدى للصليبيين مازالوا يدينون به من أموال للبنادقة . . ولما جرى عرض الاقتراح على الصليبيين لم يخالفه إلا عدد قليل . .

لقد فكر رجال الدنيا بالجيش فى كنوز القسطنطينية وأقاليمها التى اشتهرت بالرخاء ، وتطلعوا إلى الأمل فى استباحتها ونهبها . كما أن بعض البارونات ومنهم بونيفاس نفسه ، ازداد تطلعهم إلى ما هو أبعد من ذلك ، ولعلهم قدروا أن ما يقع على شواطىء بحر إيجه من الضياع تفوق فى استهوائهم كل ما يصح أن يصادفوه منها فى بلاد الشام التى حلت بهـــا الأضرار . فما كان الغرب (المسيحى) يكنه منذ زمن طويل من كراهية للعالم المسيحى فى الشرق ، هيأ لداندولو وبونيفاس الفرصة لأن يحملوا الرأى العام على مساندتهما . .

اكتفى البابا بأن أصدر أمراً بأنه ينبغى ألا يجرى الاعتداء على مسيحيين آخرين إلا إذا كانوا فعلا يعوقون الحرب المقدسة .

كان خيراً له فى المدى البعيد أن يعلن رفضه صراحة وبصفة قاطعة . . أما اليونانيون الذين كانوا دائماً يرتابون فى نوايا البابا ويجهلون تعقيدات

السياسة الغربية ، فإنه تراءى لهم أن ما أصدره البابا من قرار حرمان هزيل يعتبر دليلا على أنه كان وراء المؤامرة . .

وصل ألكسيوس إلى زارا قادماً من ألمانيا ، وبعد بضعة أيام أقلعت الحملة بعد أن توقفت فترة من الزمن فى دورازو حيث تم الاعتراف بألكسيوس (الرابع) إمبراطوراً . . (وبعد هروب الإمبراطور ألكسيوس الثالث من القسطنطينية) جرت مراسم الصلاة بكنيسة القديسة صوفيا . . ثم تتويج ألكسيوس الرابع قسيما لأبيه الإمبراطور .

ولقد ضاق سكان المدينة (القسطنطينية) ذرعاً بمنظر فرسان الفرنج المتغطرسين يجرسون بخيولهم شوارع مدينتهم ، وتوقفت الحركة التجارية ، ودأبت جماعة من عساكر الغرب السكارى على نهب القرى وضواحى المدينة . . وأتى حريق مروع على حى بأكمله بالمدينـــة حينما عمد بعض الفرنسيين بدافـــع التقوى (!! ..) إلى إشعال الحريق بمسجد يؤمه التجار المسلمون القادمون إلى المدينة . .

قدم وفد من الصليبيين فى فبراير ١٢٠٤ . . وطلب من ألكسيوس الرابع المباشرة إلى الوفاء بوعوده ، فلم يسعه إلا الاعتراف بعجزه .. فاندفع الرعاع إلى كنيسة القديسة صوفيا ، وأعلنوا بها عزل ألكسيوس الرابع . . الذى جرى إلقاؤه فى السجن حيث لقى مصرعه . . ولم تمض إلا بضعة أيام حتى توفى والده اسحق كمداً وحزناً . . فتولى العرش مورتسوفلوس واتخذ اسم ألكسيوس الخامس . . غير أن الثورات استمرت . . وكان أول هجوم شنه الصليبيون فى ٦ أبريل ارتد على أعقابه ، وتكبد الصليبيون فيه خسائر فادحة . ثم عاود الصليبيون هجومهم فاشتد القتال على القرن الذهبى . . وتدفق على المدينة الفرنج والبنادقة ، وهرب مورتسوفلوس وزوجته . . **واستقر الدوج وكبار الصليبيين فى القصر الكبير ، وجرى إخطار عساكرهم بأن لهم أن يستبيحوا المدينة ثلاثة أيام » (٥) .**

★

---

(٥) المرجع ٢ : ج ٣ — ص ١٩٥—٢٢٢

لقد رأينا فى هذه العجالة التى عرضناها عن الحرب الصليبية الرابعة ، كيف كانت الصفقة مع البندقية عملا استعمارياً فاضحاً تحصل بمقتضاه على نصف الأراضى التى يفتحها الصليبيون . وإذا جاز للصليبيين أن يبتلعوا ذلك الطعم المهلك باعتباره تخريباً فى بلاد إسلامية نعتها البابا بالكفر ، فما لا يمكن قبوله وفق جميع المقاييس أن تعتبر الحرب بين البندقية والمجر حرباً صليبية ، يقام لها قداس ويحمل فيها الصليب ويستبيح فيها المسيحيون مدينة زارا المسيحية للسلب والنهب ، ثم لا تلبث تلك الوحوش الضارية المتحالفة — من الصليبيين والبنادقة — أن تقتتل عند اقتسام الغنائم .

حتى إذا جاءت فكرة غزو القسطنطينية ، داعب خيال الصليبيين تلك المغانم الكبيرة التى يجنيها الغرب المسيحى الكاثوليكى من الشرق المسيحى الأرثوذكسى ، فسارعوا إلى تنفيذها لعداء متأصل بين إخوة العقيدة المسيحية .

أما الآن وقد سقطت القسطنطينية ، التى كانت توصف بأنها زينة الممالك الدنيوية ، فماذا فعل بها الصليبيون ؟

إن هذا ما يحدثنا عنه ستيفن رنسيمان إجمالا ، فيصفه بأنه عمل متوحش ليس له نظير فى التاريخ . ثم يعرضه علينا مفصلا بقوله :

« لقد ظلت المدينة العظيمة تسعة قرون عاصمة للمدنية المسيحية ، فزخرت بما تخلف عن بلاد اليونان القديمة من الأعمال الفنية ، وحفلت بما أجراه صناعها المهرة من الروائع . والواقع أن البنادقة أدركوا قيمة هذه الأشياء ، فاستولوا كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا على الكنوز ونقلوها إلى مدينتهم ، فزينوا بها الميادين والكنائس والقصور .

أما الفرنسيون والفلمنكيون فتسلطت عليهم الشهوة للتدمير ، فاندفعوا كالرعاع المسعورة يجوبون الشوارع ويغشون الدور ، ينتزعون كل مايتلألأ ويلمع ، ويدمرون كل ما لم يستطيعون حمله . ولم يتريثوا إلا لكى يقتلوا أو ينهبوا أو يقتحموا مستودعات النبيذ لينتشوا منها . ولم يفلت من

التخريب الأديرة والكنائس والمكتبات ، بل حدث فى كنيسة القديسة صوفيا ذاتها أن جرت مشاهدة العساكر السكارى يمزقــون الستائر الحريرية ، ويحطمون الأوانى الفضية الكبيرة ، ويدوسون بأقدامهم الكتب المقدسة والأيقونات .

وبينما كانوا يتبادلــون الشراب فى أوانى المذبح مبتهجين ، تربعت عاهرة على كرسى البطريرك وأخذت تردد أغنية فرنسية بذيئة . وتعرضت الراهبات للاغتصاب فى أديرتهن . ولم تجر التفرقة بين القصور والأكواخ فيما تعرضت له من الهجوم والتدمير . وأخذ الجرحى من النساء والأطفال يلفظون أنفاسهم فى الشوارع . وظلت مناظر النهب وسفك الدماء المريعة مستمرة ثلاثة أيام ، حتى أضحت المدينة الضخمة الجميلة شبيهة بسوق اللحوم. وهتف المؤرخ نكتيتاس فى صدق : إن المسلمين أكثر رحمة منهم .

أدرك اللاتين آخر الأمر أن هذا التدمير لم يكن فى صالح أحد من الناس ، ولم يعد الأمر إلى نصابه إلا حينما أرهقهم سوء استخدام الحرية . فكل من سرق تحفة ثمينة أرغم على أن يتنازل عنها لنبلاء الفرنج ، وتعرض تعساء الحظ من السكان للتنكيل والتعذيب حتى يكشفوا عن السلع التى عمدوا إلى إخفائها . وعلى الرغم من أن قدراً كبيراً من الغنيمة تعرض للدمار فإن كميتها مازالت بالغة الضخامة ..

وتقرر تقسيم كل هذه الغنيمة وفقاً لأحكام المعاهدة بأن صار للصليبيين ثلاثة أثمانها ، وللبنادقة ثلاثة أثمانها ، بينما صار الربع من نصيب الإمبراطور المقبل..وفى ١٦ مايو سنة ١٢٠٤ جرى الاحتفال بتتويج بلدوين (إمبراطوراً صليبياً) فى كنيسة القديسة صوفيا .. إن الفاتحين المظفرين (الصليبيين) لم يتبينوا فى غمرة فرحتهم سنة ١٢٠٤ ما ترتب على حملتهم من نتائج جوفاء ، كما أن معاصريهم بهرهم أيضاً الفتح .

إذ حدث أول الأمر أن عم الفرح والسرور أنحاء العــالم اللاتينى (المسيحى الغربى) ، ومع ذلك تساءل الشاعر الكلونى الساخر جيوه دى بروفنس

فى قصائده لماذا أجاز البابا توجيه حملة صليبية لقتال المسيحيين ٠٠ على أن هؤلاء المخالفين كانوا قلة نادرة ٠

فمهما كانت المخافات التى أحس بها البابا أنوسنت الثالث من تحول الحملة الصليبية إلى القسطنطينية ، فإنه كان أول الأمر مبتهجاً . ففى رده على رسالة تفيض فرحاً وسروراً تلقاها من الإمبراطور بلدوين يتباهى فيها بالنتائج العظيمة القيمة للمعجزة التى صنعها الله ، كتب أنوسنت أنه يطرب لما صنعه الله ، وأعلن موافقته دون تحفظ ٠

وذاع فى أنحاء الغرب أغانى المدح ، وبلغ الحماس أشده حينما أخذت المخلفات الدينية القيمة تصل إلى فرنسا وبلجيكا ٠ وجرى إنشاد الترانيم إحتفالا بسقوط المدينة الضخمة الملحدة القسطنطينية »(٦) ٠

★

وهكذا : ظل السيف يعمل مع المسيحية ٠٠٠

فقد كان أداتها الرئيسية فى الذيوع والانتشار ، كما بقى أداتها الرئيسية فى التسلط والقهر وتحقيق المكاسب الدنيوية باسم المسيح ٠

والمسيح من كل ذلك براء ٠٠٠

لقد صدق الفنان الذى رسم غلاف المرجع الهام : « تاريخ إرساليات التبشير المسيحية » مع نفسه ومع الحقيقة ، حين رمز لمجمل ذلك العمل ، بنصل سيف ينتهى بصليب ٠ فتلك هى الحقيقة التى لا مفر من التسليم بها ٠

وإذا كان المسيح قد أعلن أن من قال لأخيه « يا أحمق ، يكون مستوجب نار جهنم » فمن باب أولى أن يكون كل الذين حملوا السيف باسم المسيح وقتلوا ونهبوا — ولا يزالون — قد استوجبوا بحق : «جهنم يصلونها، وبئس القرار » ٠ (ابراهيم : ٢٩)

★★★

(٦) المرجع ٢ : ج ٣ — ص ٢٢٢-٢٣٠.

الباب الثالث

حقيقة التبشير المسيحى

- المفاهيم التبشيرية الخاطئة
- عطاء التبشير : لقيصر أم لله ؟!

الفصل السابع

المفاهيم التبشيرية الخاطئة

يقوم العمل التبشيرى على مفاهيم ومعتقدات ، تحدثنا عن بعضها فى الفصول السابقة — ولذا نذكرها الآن باختصار — كما نتحدث عن بقيتها فى هذاالفصل ، ومن ثم نتبين حقيقةهذه المفاهيم التى تعتبر ركائز للعمل التبشيرى.

★★

المفهوم الأول — تبشير العالم فرض على المسيحيين :

يستند هذا المفهوم إلى ما جاء فى خاتمة إنجيل مرقس — أقدم الأناجيل — التى تقول : « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها — مرقس ١٦ : ١٥ » . ولما كان قد تبين(١) أن الأعداد الأخيرة من إنجيل مرقس (من ٩ إلى ٢٠) يعتبرها علماء المسيحية دخيلة على الإنجيل الأصلى لمرقس ، ولم تقبل به إلا بعد أكثر من ١٠٠ سنة بعد كتابته ، وأن كاتبها غير معروف ألبتة ، وأن هذا ماقررته التراجم الحديثة للكتاب المقدس ، ومنها الترجمة الإنجليزية (R.S.V.) ، وكذلك الترجمة الفرنسية الحديثة للكتاب المقدس (T.O.B.) والتى تقول : « طبقاً لأفضل النسخ فإن انجيل مرقس ينتهى هنا » — أى عند العدد ٨ ، **من ذلك يتضح أن العدد ١٥ — الذى يقع فى هذا الجزء الدخيل — لايمكن اعتباره أساساً شرعياً لفرض تبشير العالم على المسيحيين .**

ولما كان كل من متى ولوقا قد استخدم إنجيل مرقس أساساً لإنجيله ، فإن ما جاء بخاتمتيهما خاصاً بتبشير العالم (متى ٢٨ : ١٩ ، ولوقا ٢٤ : ٤٧) لايصلح أساساً لنفس الغرض .

---

(١) راجع الفصل الأول : ص ١٧

وإذا نحينا ذلك كله جانباً ، فكيف يتوافق هذا المفهوم مع ما تقوله الأناجيل عن عودة المسيح ثانية إلى الأرض ، وخاصة قبل أن يكمل تلاميذه الاثنا عشر (وفيهم يهوذا !!) التبشير فى مدن إسرائيل . فقد قال متى على لسان المسيح لتلاميذه : « إنى الحق أقول لكم لاتكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان — متى ١٠:٢٣ » . إن هذا يعنى بوضوح أنه لامكان لأى حديث عن تبشير العالم .

هذا — ولقد شهد عام ١٩٦٧ قمة التوتر فى علاقات المسلمين بالمسيحيين فى أندونيسيا ، وذلك بسبب تفاقم المحاولات الكثيرة التى يقوم بها المسيحيون لتنصير المسلمين ، ثم ردود الفعل التى تصل أحياناً إلى حد العنف من قبل المسلمين ضد التبشير ومؤسساته . لذلك رأت الحكومة الأندونيسية ضرورة الإسراع إلى عقد اجتماع بين ممثلى الطوائف الدينية ، للتشاور وتبادل الآراء فى أسباب تدهور العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واقتراح أفضل الحلول لتحسينها . ولذلك عقد مؤتمر الأديان فى أندونيسيا (نوفمبر ١٩٦٧) ، وجرت مناقشة اقترح جاء فى الكلمة الافتتاحية التى ألقاها الجنرال سوهارتو — رئيس الجمهورية بالوكالة آنذاك — والذى يتلخص فى :

(ا) الامتناع عن ممارسة التبشير تجاه أحد الأديان المعترف بها فى أندونيسيا ، وخاصة إذا كانت هذه الممارسة تتسم بشبهة من القسر أو الإكراه وباستخدام وسائل الإغراء والإغواء أمام العوز والفاقة والحاجة.

(ب) إذا كان ولابد من الاستمرار فى التبشير فليوجه إلى المجتمعات البدائية التى لاتزال تعج بها المناطق الداخلية فى كاليمنتان وإيريان .

وقد رفض النصارى — بروتستانت وكاثوليك — ذلك الاقتراح ، وكانت حجتهم ماقاله أحدهم وهو الدكتور تامبونان : « **إننا معشر المسيحيين مقيدون بأوامر الله التى أذكر منها : اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها — مرقس ١٦ : ١٥** » (وقالوا) إننا

---

(٢) المرجع ١٢ : ص ٥٢ ، ٥٤

لانستطيع أن نحل أنفسنا من تبعة واجب القيام بالأمر الإلهى الذى يأمرنا بأن ننشر الإنجيل فى كافة أنحاء المعمورة »(٢) .

وهكذا تحطمت سفينة المفاوضات لإقرار السلام بين طوائف الشعب الأندونيسى على صخرة ذلك الأمر الربانى ، الذى كان أجدر بأولئكم الذين تعصبوا به أن يبحثوا حقيقة مصدره ، وما إذا كان أصيلا فى تعاليم المسيح ، أم أنه ألحق بها مؤخراً ، فأعطى ذلك المفهوم الخاطىء الذى يعكر السلام دائماً بين المسلمين والمسيحيين .

★

المفهوم الثانى — الدعوة إلى التثليث :

تقول خاتمة إنجيل متى : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس — متى ٢٨ : ٢٩ » . ولقد بينا سلفاً(٣) أن هذه الفقرة مشكوك فيها ولايعرف عنها تلاميذ المسيح شيئاً — ولا بولس — وقد كان بطرس شيخ التلاميذ ، يعمد باسم المسيح فقط : « فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح — أعمال الرسل ٢ : ٣٨ » .

ومن المعلوم « أن ارازموس حين طبع العهد الجديد الإغريقى ونشره عام ١٥١٦ ، قد حذف منه أقوى نص للتثليث : كما فى ١ — يوحنا ٥ : ٧ ، ولقد أشار لوثر إلى التثليث على أنه تعبير يفتقد القوة ، وأنه تعبير لم يوجد فى الأسفار »(٤) .

ويقول كتاب « هل الكتاب المقدس حقاً كلمة الله » ؟ الذى طبع فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٩ (٥) ثم فى بيروت بالعربية عام ١٩٧١ ، ويوزع بين المسلمين ككتاب تبشيرى ، فى صفحة ١٦٠ منه ، وهو يتحدث عن الترجمات المختلفة المتلاحقة التى من شأنها تنقية الكتاب

---

(٣) راجع الفصل الأول : ص ١٨

(٤) المرجع ٨ : ص ٣٥

International Bible Students Association, Brooklyn, New York, U.S.A.

المقدس مما يكون قد علق به من أخطاء نتيجة قصور الترجمات السابقة ، فيقول ما أنقله حرفياً :

« بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء ، يتمكن العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسللت إليها . **مثالا على ذلك ، الإدخال الزائف في يوحنا الأولى الإصحاح الخامس** . فالجزء الأخير من العدد ٧ والجزء الأول من العدد ٨ يقول ، حسب الترجمة البروتستنتية العربية ، طبع الأمريكان في بيروت (ونقرأ في الترجمة اليسوعية العربية شيئاً مماثلا) : « **في السماء ... الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة** . » **ولكن ، طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد ، لم تشتمل أية مخطوطة يونانية على هذه الكلمات . وترجمة حريصا العربية تحذف هذه الكلمات كلياً من المتن . والترجمة البروتستانتية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين ، موضحة في المقدمة أنه « ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها »** . وهكذا تساعدنا الترجمات العصرية للكتاب المقدس على الوصول إلى المعنى الصحيح لما نقرأه » .

ونذهب الآن لدراسة النصوص والترجمات المختلفة لهذه الفقرة من رسالة يوحنا الأولى ، فنجد الآتي :

١ — تقول الترجمة الانجليزية « **المعتمدة** » للكتاب المقدس «Authorised Version» المعروفة باسم نسخة الملك جيمس والتي نشرت أول مرة في عام ١٦١١م ، في نصوص هذه الفقرة المشبوهة (الإصحاح الخامس : عدد ٦، ٧، ٨) :

6 — «This is he that came by water and blood, even Jesus Christ; not by water only, but by water and blood. And it is the Spirit that beareth witness, because the Spirit is truth.

7 — For there are three that bear record in heaven, the Father, the Word, and the Holy Ghost : and these three are one.

8 — And there are three that bear witness in earth, the spirit, and the water, and the blood : and these three agree in one».

وتقول ترجمتها العربية المعتمدة والمعروفة باسم نسخة البروتستانت :

« ٦ — هذا هو الذى أتى بماء ودم يسوع المسيح . لا بالماء فقط بل بالماء والدم . والروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق .

٧ — **فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد .**

٨ — والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد » .

٢ — وتقول الترجمة الإنجليزية الحديثة المعروفة باسم « **النسخة القياسية المراجعة** » للكتاب المقدس «Revised Standard Version» — والتى نشرت لأول مرة فى عام ١٩٥٢ ، ثم توالت طبعاتها — فى نصوص تلك الفقرة :

"6 — «This is he who came by water and blood, Jesus Christ, not with the water only but with the water and the blood.

7 — And the Spirit is the witness, because the Spirit is the truth.

8 — There are three witnesses, the Spirit, the water, and the blood ; and these three agree».

وهذه يمكن ترجمتها لتكون أقرب مايمكن للترجمة العربية المناظرة لما فى نسخة الملك جيمس ، كالآتى :

« ٦ — هذا هو الذى أتى بماء ودم يسوع المسيح . لا بالماء فقط بل بالماء والدم .

٧ — **والروح هو الشاهد لأن الروح هو الحق .**

٨ — يوجد ثلاثة شهود : الروح والماء والدم . وهؤلاء الثلاثة متفقون» .

من ذلك يتبين بوضوح أن نص العدد ٧ في نسخة الملك جيمس ، الذى يتكلم عن شهود السماء « الآب والكلمة والروح القدس » ويقرر أن « الثلاثة هم واحد » ، إنما هو نص مزور ، أدخل ظلماً بين النصوص الأصلية للأعداد ٦، ٧، ٨ — واستمر يعطى الأساس الوحيد لعقيدة التثليث عبر القرون ، إلى أن استيقظت الضمائر أخيراً ، فتم حذفه فى محاولة متأخرة جداً لإصلاح ما فات ، بعد أن هلكت ملايين وملايين من البشر ، وهى تؤمن به نصاً مقدساً فى كتابها المقدس ...

٣ — كذلك نقرأ فى الترجمة الفرنسية الحديثة للكتاب المقدس (T.O.B.) — نص الأعداد ٦، ٧، ٨ المشار إليها من الإصحاح الخامس من رسالة يوحنا الأولى ، ما يلى :

"6 — C'est lui qui est venu par l'eau et par le sang, Jésus Christ, non avec l'eau seulement, mais avec l'eau et le sang ; et c'est l'Esprit qui rend témoignage, parce que l'Esprit est la vérité.

7 — C'est qu'ils sont trois à rendre témoignage,

8 — L'Esprit, l'eau et le sang, et ces trois convergent dans l'unique témoignage».

ويمكن ترجمتها كالآتى ، لتكون أقرب ما يمكن لترجمة البروتستانت :

« ٦ — هذا هو الذى أتى بالماء والدم ، يسوع المسيح ، لا بالماء فقط ، بل بالماء والدم . والروح هو الذى يشهد ، لأن الروح هو الحق .

٧ — **والذين هم ثلاثة يشهدون** ،

٨ — الروح والماء والدم ، وهؤلاء الثلاثة متجمعون فى الشهادة الفريدة » .

وبذلك يكون العدد ٧ فى هذه الترجمة الفرنسية مغاير تماماً لنظيره فى ترجمة البروتستانت الشائعة الاستخدام ، إذ أنه فى الترجمة الفرنسية خال تماماً من صيغة التثليث المعروفة « الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد » .. من كل ما سبق يتبين بوضوح أن صيغة التثليث تمثل المفهوم الثانى الخاطىء من مفاهيم التبشير .

وبعد .. ماذا أيها الناس ..؟!

إننا فى الواقع الذى لامفر من التسليم به — أمام واحدة من أخطر عمليات التزوير فى تاريخ العقائد على الإطلاق ... إن خطورتها تكمن فى تزوير عقائد الناس التى تحدد مصائرهم الأبدية ...

ولايسعفنا فى هذا المقام سوى ماينبئنا به القرآن الكريم من أمر هؤلاء القوم ، فى الدنيا والآخرة .

يقول القرآن الكريم فى ذلك الصنف المزور الذى استحفظ على كتاب الله فلم يحفظه :

« وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وماهو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » . (آل عمران : ٧٨)

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» .
(البقرة : ٧٩)

« وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب : لتبيننه للناس ولاتكتمونه، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلا ، فبئس مايشترون » .
(آل عمران : ١٨٧)

ويقول القرآن الكريم للذين ورثوا أولئكم المزورين ، وصدقوا تراثهم وعاشوا حياتهم يدافعون عنه :

« قل : يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ، ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل » .
(المائدة : ٧٧)

« يا أهل الكتاب : قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفوا عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين .

يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صرط مستقيم » .

(المائدة : ١٥–١٦)

حقاً ... « ومن أصدق من الله حديثاً » . (النساء : ٨٧)

★★★

المفهوم الثالث — المسيحية دين المحبة الأوحد :

يقول الإنجيل على لسان المسيح فى موعظة الجبل : « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم : لاتقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً . ومن سخرك ميلا واحداً . فاذهب معه اثنين. من سألك فأعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده . سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .. لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم . أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك . وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون . أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا .

فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل — متى ٥ : ٣٨ — ٤٨ » .

إن هذه التعاليم الأخلاقية الفاضلة يمكن تلخيصها فى أربعة مبادىء هى :

الاستسلام للشر — والمحبة المطلقة — والبذل والسخاء — ومقابلة الإساءة بالإحسان .

وإذا صرفنا النظر عما يكون عليه الحال فى مجتمع — صغر أو كبر — وقد ظهر فيه الشر ولم يجد من يقاومه ، إذ أن الشر موجود من قبل خلق آدم ، فقد قال الكتاب المقدس إن الشجرة التى حرمت على آدم

كانت تسمى : « **شجرة معرفة الخير والشر** » – ثم انتقلنا إلى المبدأ الثانى ، وهو المحبة المطلقة لوجدنا أن السماء لو طبقته لانتفت بذلك حقيقة الدينونة وعقاب الآخرة الذى ينتظر الخطاة ، وهو الذى طالما حذر منه المسيح فى مثل قوله : « إن أعثرتك عينك فاقلعها . خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار . **حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ** – مرقس ٩ : ٤٧–٤٨ » .

إن الإنسان حين يخطىء ويستمر فى خطيئته فإنه يفقد حب السماء ويتحول إلى عدو لها ، ولذلك يلقى العذاب الأليم .

على أن هناك أقوالا أخرى نسبها الإنجيل للمسيح ، يتمنى فيها لو احترقت الأرض وتأججت ناراً ، لأنه ما جاء للسلام – كما ظن الأتباع والمريدون – ولكنه جاء للفرقة والانقسام والقتل بالسيف ، كما قال هو ، أو بالأحرى كما قال على لسانه كتبة الأناجيل : « **جئت لألقى ناراً على الأرض . فماذا أريد لو اضطرمت. أتظنون أنى جئت لأعطى سلاماً على الأرض ؟ كلا .. أقول لكم : بل انقساماً** . لأنه يكون من **الآن** خمسة فى بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة ينقسم الأب على الابن والابن على الأب . والأم على البنت والبنت على الأم . والحماة على كنتها والكنة على حماتها – لوقا ١٢ : ٤٩–٥٣ » .

ويقول متى فى مثل هذا القول على لسان المسيح :

«**لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض . ما جئت لألقى سلاماً، بل سيفاً . فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والإبنة ضد أمها والكنة ضد حماتها . وأعداء الإنسان أهل بيته** – متى ١٠ : ٣٤ – ٣٦ » .

وفى تعليم للمسيح عن الإنسان الذى يخطىء لأخيه فى العقيدة ، ثم يصر على موقفه رغم العتاب والشهود وموعظة الكنيسة ، فليكن ذلك الإنسان المخطىء عند أخيه بعد ذلك كالوثنى :

« إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما ، إن سمع منك فقد ربحت أخاك . وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة . وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة ، وإن لم يسمع من الكنيسة **فليكن عندك كالوثنى والعشار** — متى ١٨ : ١٥— ١٧» .

فكيف تتفق هذه الأقوال مع ما يقال عن المحبة المطلقة ، وهى الرداء الذى يستتر به التبشير حين يقدم المسيحية للناس ، ويظن أنه يقدم لهم بحديثه عن المحبة شيئاً فريداً ، افتقده الأولون والآخرون ؟!

ومن الجدير بالذكر أن تعاليم المسيح هذه التى أوصلت ذلك الإنسان المخطىء ليكون بالنسبة لأخيه كالوثنى ، قد وجد لها العلماء نظيراً فى تعاليم طائفة الأسينيين التى كشفت عنها « وثائق البحر الميت » ، والتى قيل إن المسيح أمضى سنواته المفقودة فى الإنجيل — فترة العمر من ١٢ إلى ٣٠ سنة — تلميذاً فيها .

إلا أن تعاليم الأسينيين لم تصل بذلك المخطىء المعاند ليكون بالنسبة لأخيه كالوثنى . فهذه التعاليم تقول :

« لا يتحدث الواحد لأخيه بغضب ، أو يشتكيه بتذمر ، أو بكبرياء متصلب ، أو بروح شريرة . ولا يبغضه من قلبه ، رغم أنه قد يبكته آنذاك ، لكى يجلب على نفسه ذنباً بسببه .

بالحقيقة (أقول) لا يقم إنسان دعوى ضد صاحبه أمام الطائفة ، لم تكن قد عرضت قبل ذلك للتوبيخ أمام شهود » (٦) .

★

ولكن — هل كانت المسيحية فريدة فى دعوتها لهذا النوع من الحب ؟

إن نظرة على تعاليم بعض قدامى حكماء الصين ، تعطينا الإجابة على هذا السؤال .

---

(٦) John Allegro : THE DEAD SEA SCROLLS, Penguin Books, 1964, p. 163.

يقول لن يوتانج : « بين كل الفلاسفة الصينيين يأتى موتسى أقرب ما يكون إلى التعاليم المسيحية ، لأنه الوحيد الذى علم أن الحب العالمى هو أساس بناء المجتمع والسلام ، وبين أن السماء أحبت الناس دون تفرقة ، وأكد على الاعتقاد فى وجود الأرواح .

ولقد قيل إن بعض المبشرين شعروا بالفزع ، بدلا من الشعور بالثقة ، حين وجدوا أن عقائد : حب الله ، والحب العالمى ، كانت معروفة من قبل لدى الصينيين . لقد كان ذلك بالنسبة لهم مثبطاً للعزيمة ، فكان مثلهم كمثل من غامر ليصل الى القطب الجنوبى ، فإذا به حين يصل يجد شخصاً ما قد سبقه الى هناك .

إن الإنسان ذو الأفق الواسع ، يجب أن يكون على العكس من ذلك ، فيشعر بالرضا لأنه يدرك أن ما هو حق فإن العقل البشرى يستطيع اكتشافه .

لقد كان الواجب أن يحز فى قلوبهم ما وجدوه من أن الصينيين كأمة ، قد لفظوا تلك العقيدة ، بعد أن كان لها تأثيرات هائلة .

لقد قام موتسى بثورة ضد الكونفوشية . فهو قد عاش من عام ٤٦٨ ق . م (أو عام ٤٤١) إلى عام ٤٠١ ق. م (أو عام ٣٧٦) فجاء بذلك بعد قرن تقريباً من كونفوشيوس ، وبما أن هذا الأخير قد مات عام ٤٧٩ ق . م ، فيمكن القول بأن موتسى قد ولد فى الجيل الذى كانت تنتشر فيه الكونفوشية .

لقد كانت تعاليم موتسى دعوة شديدة من أجل العمل ، وخلافاً للمدارس الفلسفية الأخرى ، فقد كان لها طابعاً تبشيرياً .

لقد أشار إليه منسيوس بأنه شخص مستعد أن يفقد رأسه ورجليه من أجل مصلحة العالم . فلقد علم الإيثار والتقشف والعيشة الجافة ، ومارسها فى حياته .

وقال شو أنجتسى إن أتباعه لبسوا الثياب الخشنة ، ومشوا فى صنادل ، وعاشوا ليلهم ونهارهم عيشة قاسية .

ويخبرنا هيو أنانتسى أن تلاميذه مستعدون للسير فى النار ، والمشى على السكاكين ، والموت دون أقل تردد .

لقد عظم تأثيره ، لدرجة أنه بعد قرنين من كونفوشيوس ، صار الموتسينيين (أتباع موتسى) منافسين للكونفوشيين . وفى الواقع أن الموتسية صارت عقيدة ثابتة الأركان » (٧) .

★

يقول موتسى فى تعاليمه :

« **لا يوجد ما هو أفضل من اتباع تعاليم السماء .**

إن السماء تقبل الكل ، وهى لا تحابى فى عطائها ، وبركاتها وفيرة ، ورعايتها مستمرة ، وهى لا تكل أبداً .

وعندما قبل الملوك الحكماء تعاليم السماء كشريعة لهم ، فإنهم اتخذوها مقياساً لكل أعمالهم . فما رغبت فيه السماء فقد عملوه ، وما رغبت عنه السماء فإنهم اجتنبوه .

والآن : ما الذى تريده السماء ، وما الذى تبغضه ؟

من المؤكد أن السماء ترغب فى أن يحب وينفع البشر الواحد منهم الآخر. وهى تبغض أن يكره ويؤذى البشر الواحد منهم الآخر .

إن كل دول العالم ، كبيرها وصغيرها ، كلها مدن السماء .

وكل الشعب : الشاب والعجوز ، العظيم والحقير ، هم رعاياها . .

وبناء عليه، فإن أولئكم الذين يحبون الآخرين وينفعونهم سوف تباركهم السماء ، وطوبى لهم . وأما أولئك الذين يكرهون الآخرين ويؤذونهم ، فلسوف تلعنهم السماء . »(٨)

---

(٧) المرجع ٢٧ : ص ٢٤٣ — ٢٤٤

(٨) المرجع ٢٧ : ص ٢٤٧

ويتحدث موتسى فى تعاليمه عن الحب العالمى الذى يجب أن يسود البشر ، ويبرهن على أن ذلك فى مصلحتهم جميعاً ، فيقول :

« ما هو السبيل إلى الحب العالمى والمساعدة المتبادلة ؟

إنه يكمن فى اعتبار الإنسان أن دولة الآخرين هى دولته ، وأن منازل الآخرين هى منزله ، وأن أشخاص الآخرين هى شخصه .

وعندما يحب الكبراء الواحد منهم الآخر ، فلن تكون هناك حروب بعد ذلك . .

وعندما يحب الأفراد الواحد منهم الآخر ، فلن يكون هناك أذى بعد ذلك.

وعندما يحب كل الناس فى العالم بعضهم بعضاً ، فعندئذ نجد أن القوى لا يطغى على الضعيف ، وأن الأغلبية لا تضطهد الأقلية ، وأن الأغنياء لا يسخرون من الفقراء ، وأن الأشراف لا تزدرى الحقراء ، وأن الخبثاء لا يخدعون البسطاء . وبهذا تمنع المصائب والخصام والشكاوى والكراهية »(٩)

وبعد أن بين موتسى أن سيادة الحب العالمى بين البشر فيه منفعتهم ، فإنه دعا البشر كلهم إلى حب السماء ، التى نظمت كل شىء فى الحياة ، وعملت ما لا يحصى من أجل منفعة الإنسان ومتعته . ومع ذلك فإن البشر عن ذلك غافلون ، ولا يدرون أن ذلك السلوك من جانبهم إنما يعنى افتقاد الشهامة لديهم وسوء الحظ لهم . فهو يقول :

« إن السماء تحب العالم كله ، لقد جعل كل شىء من أجل مصلحة الإنسان ، حتى طرف الشعرة إنما هو من عمل السماء ، كثيرة تلك المزايا الكبيرة التى يتمتع بها الإنسان ، ومع ذلك فإنه لا يؤدى خدمات فى مقابل ذلك . .

---

(٩) المرجع ٢٧ : ص ٢٥٣

لنفرض أن هناك رجلا مولع تماماً بابنه ؛ وقد استنفد كل مجهوداته من أجل منفعته . ولكن عندما يكبر الابن فإنه لا يرد لأبيه حباً . إن نبلاء العالم سوف يدعونه خسيساً ، سيء الحظ . » (١٠)

وهذا هو موقف البشر من السماء .

لقد دعا موتسى إلى الحب العالمي الذى يربط بين البشر بعضهم ببعض ، كما يربط بينهم فرادى وجماعات وبين السماء التى صنعت كل شيء من أجلهم . وفى دعوته للحب بين البشر ، كان يدعو للحب الإيجابى فقال : « إن السماء ترغب فى أن يحب وينفع البشر الواحد منهم الآخر » فلم يكتف بأن يدعو الإنسان لحب أخيه الإنسان فقط ، وإنما دعا لحبه وتقديم النفع له .

لقد كانت هذه بعض تعاليم موتسى الذى جاء قبل المسيح بنحو أربعة قرون .

★★

والآن . . .

هلا عاود المبشرون النظر فى مفاهيمهم التبشيرية الخاطئة . . .

★★★

(١٠) المرجع ٢٧ : ص ٢٦٣ — ٢٦٤

الفصل الثامن

عطاء التبشير : لقيصر أم لله ؟!

فى محاولة من اليهود للإيقاع بالمسيح وإغراء السلطات الرومانية الحاكمة به « أرسلوا إليه قوماً من الفريسيين والهيرودسيين لكى يصطادوه بكلمة . فلما جاءوا قالوا له : يا معلم ، نعلم أنك صادق ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس بل بالحق تعلم طريق الله .

أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ نعطى أم لا نعطى ؟

فعلم رياءهم وقال لهم : لماذا تجربوننى . إيتونى بدينار لأنظره . فأتوا به. فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا : لقيصر .

فأجاب يسوع وقال لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله — مرقس ١٢ : ١٣ — ١٧ » .

ولقد بين المسيح بوضوح أنه محال للإنسان الذى يؤمن بالإنجيل والتعاليم المسيحية أن يجمع بين : الآخرة والدنيا — الدين والدولة — الله والمال ، فقال : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال — متى ٦ : ٢٤ — ٢٦ » .

ويهمنا الآن أن نعرف حقيقة التبشير المسيحى وعطائه وخدماته ، ولمن يقدم ذلك : لقيصر أم لله ؟

★★

التبشير والاستعمار

لم يعد ثمة شك فى ارتباط التبشير المسيحى بالاستعمار ، بعد ما تكشف من وثائق ونشرات صدرت عن المستعمرين والمبشرين ، وما سجله

المفكرون والأحرار فى بلاد الاستعمار ، وما أعلنه المناضلون من أجل الحرية فى المستعمرات السابقة .

يقول المبشر الأمريكى جاك مندلسون : « **لقد تمت محاولات نشيطة لاستغلال المبشرين ، لا لمصلحة المسيحية وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية.** ولسجلات المستعمرات مغزى واضح جداً فى هذه النقطة بالذات ..

ولقد قال ملك فرنسا : « **الدين ضرورى لكل الناس ، ولكنه أكثر ضرورة فى المستعمرات الآهلة بالعبيد التى لا يمكن أن تحوى أملا فى حياة أفضل إلا بعد الموت** »

وفى عصر النهضة كتب وزير الحربية (الفرنسى) إلى حاكم المارتينيك : « **يجب على المبشرين أن يلاحظوا مدى خطورة الوعظ فى أثناء شرحهم لقواعد الإنجيل الحكيمة بالمساواة التى تتعارض مع مبدأ الاستعمار المحكم** »

وقال نابليون الأول فى جلسة مجلس الدولة فى ٢٢ مايو سنة ١٨٠٤ « **إن فى نيتى إنشاء مؤسسة الإرساليات الأجنبية ، فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً لى فى آسيا ، وإفريقيا ، وأمريكا ، سأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار . إن ملابسهم تحميهم وتخفى أية نوايا اقتصادية أو سياسية** »(١).

كذلك استخدم التبشير قسوة الاستعمار فى تنصير غير المسيحيين ، وبارك استعمار بلادهم ، واعتبره منحة من السماء للمستعمرين . وفى هذا يقول المبشر ستيفن نيل :

« **لقد أكد مرسوم البابا نيقولا الخامس الذى صدر عام ١٤٥٤ حق البرتغاليين فى الاحتلال السلمى (؟!) لكل أراضى الكفرة (غير المسيحيين) التى قد تكتشف على طول الساحل الغربى لأفريقيا .**

فى عام ١٤٥٦ أعطى البابا كالكستس الثالث إلى كبير رهبان جماعة المسيح فى البرتغال — والتى كان هنرى الملاح نفسه منتدباً لإدارتها — حق

---

(١) المرجع ٣ : ص ٢٠٩

الإشراف الروحى على جميع الأراضى التى تخضع للتاج البرتغالى ، وكذلك أية أراضى تضاف إليها مستقبلا . لقد كانت تلك امتيازات زائدة عن الحد .

وفى مايو ١٤٩٣ أصدر البــابا إسكندر السادس ثلاثة مراسيم وضعت الأمور فى نصابها الصحيح (؟ !) فقد اعترف بالحق المطلق للتاج الأسبانى فى المتاجرة مع البلاد التى اكتشفت ، أو التى قد تكتشف ، فى غرب الأطلنطى . وفى نفس الوقت وضع على الملك قيداً هو أن يجلب إلى العقيدة المسيحية الشعوب التى تسكن تلك الجزر والأراضى ، وأن يرسل إليه رجال عقلاء حسب العقيدة الكاثوليكية .

لقد أكد البابا العنصر المسيحى فى هذه الاكتشافات والفتوحات ، ووضع على القوى المسيحية مسئولية دعم بعثات التبشير ، وعليهم أن يؤسسوا — فى زمن لاحق — أسقفيات ، ويوقفوا عليها أموالا .

لقد أكد الملوك اعترافهم بسيادتهم الكنسية المطلقة تماماً كسيادتهم السياسية المطلقة على الأراضى التى خضعت لهم ، واستطاعوا الانطلاق بضمير طيب (!!) ليجلعوا الغزو حقيقة واقعة . .

ولتجنب المنافسة بين القوى (المسيحية البحرية) فإن البابا رسم خطاً على الخريطة من القطب الشمالى إلى القطب الجنوبى غرب الأزور ، ليكون ما يقع غربى هذا الخط تابعاً لأسبانيا ، وما يقع شرقيه تابعاً للبرتغال .

لقد كان وصول هاتين القوتين إلى الدنيا الجديدة فى الغرب متميزاً بثلاثة اعتبارات هى : الغزو — الاستيطان — التبشير .

وكان على شعوب تلك البلاد المجهولة أن تدخل باستمرار تحت سيطرة الملوك المسيحيين الذين منحهم الله عن طريق البابــا السيادة المطلقة (!!) »(٢) .

★

---

(٢) المرجع ٢٥ : ص ١٤١ — ١٤٢ ، ١٦٨

المأساة فى أفريقيا :

تعتبر أفريقيا خير مثال لدراسة ارتباط التبشير بالاستعمار ، وذلك لسببين اثنين على الأقل :

١ — أن القارة الأفريقية تعرضت لأغلب أنواع الاستعمار على مدى قرون عديدة ، فذاقت صنوفاً من ويلات الاستعمار : الإنجليزى والفرنسى والإيطالى والألمانى والهولندى والبلجيكى والأسبانى والبرتغالى .

ولا تزال بها إلى الآن بعض الجيوب الاستعمارية التى لم تتم تصفيتها بعد.

٢ — أن أفريقيا — كما يقول جاك مندلسون — تعتبر « من وجهة النظر الإرسالية هى قلب العالم . ويرعى أكثر من أربعمائة منظمة كنسية أمريكية نوعاً أو آخر من المجهودات الإرسالية . . وطبقاً لتقرير يعتمد عليه ، يعمل فى أفريقيا (قبل عام ١٩٧٠) ١٥٩٧٠ مبشراً بروتستانتياً أو زهاء ٣٥ ٪ تقريباً من المجموع البالغ ٤٢٢٥٠ مبشراً . . والمعـــدل السارى للمصروفات الخاصة بأعمال إرساليات الهيئات البروتستانتية الأمريكية وحدها (فى منتصف الستينات) حوالى ١٧٠ مليون دولاراً فى السنة»(٣).

من أجل ذلك كانت شهادات الأفريقيين فى قضية التبشير والاستعمار ، تمثل حججاً قوية لا يمكن تجاهلها .

★

لقد بينت التجارب فى أفريقيا أن التبشير يعمـل مخلب قط شرس للاستعمار .

وعندما كان كينيث كاوندا — رئيس جمهورية زامبيا حالياً — يكافح ضد الاستعمار الإنجليزى ، فإنه بعث بخطاب « إلى رئيس الإرسالية نقل ما كتبه برناردشو فى كتابه « رجل القدر » :

---

(٣) المرجع ٣ : ص ١٨٣

«حينما يريد رجل إنجليزى سوقاً جديدة لبضائعه الفاسدة التى صنعها فى مانشستر ، فإنه يرسل مبشراً لتعليم الأهالى بشارة السلام . ويقتل الأهالى المبشر ، فيهب الإنجليزى إلى حمل السلاح دفاعاً عن المسيحية ، ويحارب من أجلها ، ثم يستولى على السوق كمكافأة من السماء .

إذا كنت تنوى خدمة الحكومة البريطانية بالطريقة التى وصفها شو ، فلقد أتيت فى الوقت غير المناسب . لم يقتل أجدادنا أحد الأوروبيين فى المحمية ، وسوف تتأكد من أننا لن نقتل أى أوروبى ، مبشراً أو غير مبشر لأسباب سياسية »(٤) .

★

وفى عام ١٩٦٠ كانت لندن « مسرحاً لمؤتمر لجميع الطلبة الأفريقيين فى المملكة المتحدة وشرق وغرب أوروبا والولايات المتحدة وأفريقيا .

وثار هذا البحث بمرارة عن علاقة المسيحية التاريخية بالاستعباد والاستعمار والإمبريالية والعنصرية ، فى كل خطب المندوبين .وكان خطاب شانجو ماكيو الذى مثل إتحاد طلبة شرق ووسط أفريقيا فى المملكة المتحدة من أكثر الخطب حماسة : « إن كل أمة فى العالم قد ضحكت علينا فعلا. لقد سخرت منا الأمم صغيرها وكبيرها ، كنا موضع احتقار وعلمنا كل نوع من الإساءة والإذلال وسوء المعاملة الوحشية ، مما يطلق عليه اسم العالم المسيحى المتمدن . .

لقد أدرنا خدنا الآخر (٥) ، ولكن هـــذا لم يكن قط موضع تقدير .. إن الأرباح من العبيد الأفريقيين بنت قصوراً وكنائس ومدناً إننا جميعاً عبيد لأن الملايين من شعوبنا ما زالت تتألم من إذلال السيطرة السياسية والاقتصادية والروحية ؛

---

(٤) المرجع ٣ : ص ١٥١

(٥) يقول الإنجيل على لسان المسيح : « من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً — متى ٥ : ٣٩ »

وقد أعطى ج . كابرال للطلبة فى مؤتمر لندن هذا البيان المحموم عن النشاطات الإرسالية فى ممتلكات البرتغال الإفريقية :

« ليست هنالك بالذات أية مدارس ، أو على الأصح توجد بعض مدارس تحت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية . هل تعلمون ماذا تدرس ؟

ليس حب الرب ، ولكن حب البرتغـــال : إن كل المبشرين الكاثوليك وأن لم يسموا موظفين رسميين فإنهم يعدون موظفين فى الخدمة الخاصة للمصالح الوطنية والمدنية . هذه هى الكلمات الفعلية لوصف مركز المبشر . . **إن الأعمال الإرسالية فى المستعمرات تكفلها الحكومة** ؛

واعتلى المنصة لويس دالميدا ، من الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، ليضيف بيانه السليط (!!) عن الأحوال فى أنجولا :

« **كثيراً ما تكون الحالة أنه بدلاً من أن يحضر الأطفال الأفريقيون دراساتهم ، أن يؤخذوا للعمل فى الضيعات** أو المزارع **الإرسالية دون أن يعرفوا أى شىء عن القراءة أو الكتابة** . . ويجب أن يلاحظ أن تعليم السكان الوطنيين تقوم به الإرساليات الكاثوليكية ، وذلك تنفيذاً لاتفاق تم توقيعه من عشرين سنة خلت بين البرتغال والبابا . .

واسمحوا إلى أن أنقل حرفياً فقرة من مقالة حديثة للكاردينال رئيس أساقفة لورنزو ماركس ، ظهرت فى مجلة البرتغال فى أفريقيا ، العدد الصادر فى مايو ١٩٦٠ . تقول المقالة :

إن ما يأمل المبشرون تحقيقه من تعليم وتهذيب الشباب الوطنى ، هو أن يحتفظ بكنيسة موزمبيق باستمرار إلى جانب البرتغال . . إن النشاط الإرسالى يمنح البرتغال فخراً فى المنظمات العالمية السامية ويكون سنداً قوياً للسيادة البرتغالية .

وقد قال أحد الطلبة : قسما لن أسمح لابنى أن يعانى من العقلية الدينية التى خالطت تفكيرى ونظرى طوال هذه المدة . وإننى حينما أنظر ورائى

إلى الماضى وماضى عائلتى ، أعتقد أن النتيجة الأساسية لتدريبنا المسيحى هى أننا صرنا ساذجين لدرجة مذهلة »(٦) .

★

وبعد أن اكتشف الأفريقيون العلاقه الوثيقة بين التبشير والاستعمار ، ولمسوا الخديعة التى لحقت بهم ، فإنهم أدانوا التبشير والمبشرين ، بل والمسيحية كذلك .

يقول جاك مندلسون : « حينما تكون حالة الشبان الأفريقيين سعيدة ، فإنهم لا يتعبون من ترديد القصة القديمة : إن المبشرين جاءوا إلينا وقالوا إننا نريد أن نعلمكم العبادة ، وقلنا حسناً ، إننا نريد أن نتعلم العبادة . وطلب المبشرون منا أن نغلق أعيننا ، وفعلنا ذلك وتعلمنا التعبد . وحينما فتحنا أعيننا ، وجدنا الإنجيل فى يدنا ووجدنا أراضينا قد اغتصبت !

ولكن هناك أيضاً تلك الكلمات المريرة ، كلمات تكررت بلا توقف فى أفريقيا كلها .

إن حركة التبشير المسيحية كانت محاولة لإخماد الروح الأفريقية ..

وقد حدثنى أحد كبار موظفى حكومة غانا بعد أن فكر ملياً قائلا : بعد تفكير عميق قررت ألا تكون لى صلة بأية كنيسة ، فالكنائس لا تكاد تساعد فى حل مشكلات غانا الروحية ، وكل ما يلوح أنه يهمها هو جمع المساعدات المالية .. إن شبابنا يريدون شيئاً لا يحصلون عليه ، ولا أستطيع أن أرغمهم على الذهاب إلى الكنيسة ليستمعوا إلى مبادىء لا يؤمن بها المبشرون أنفسهم إيماناً راسخاً » (٧) .

★

(٦) المرجع ٣ : ص ٢١٠ — ٢١١ ، ٢٣٤

(٧) المرجع ٣ : ص ٢٩ — ٣٠

ولقد أدت سياسة التبشير المسيحى فى أفريقيا إلى إدانة المسيحية ذاتها على ألسنة المسيحيين الأفريقيين الذين تربوا فى مدارس التبشير ، إذ قالوا :

«إن ما تدعيه المسيحية من معاملة الناس بالحسنى لا معنى له ، لأن المسيحية نفسها قد ثبت عملياً أنها دين مشاغب . فكل ملة تهاجم الأخرى . . إن المبشرين مذنبون بأكبر خداع حماسى لجذب الناس للعمل الإرسالى . . إنهم وكلاء لسوء التمثيل الخارجى . . إنهم كانوا ذئاباً فى جلود نعاج . . إن المسيحية كانت جزءاً من خداع أفريقيا »(٨) .

لقد ظهر بوضوح الآن ، أن التبشير عمل استعمارى . وحين أدانه الأفريقيون ، لم يجد نفر من المبشرين — غير المكابرين — سوى التسليم بتلك الإدانة ، فقالوا : « إن المبشر مهما اعتقد أن هدفه مختلف عن المكتشف والمستوطن والوكيل التجارى والموظف الإدارى ، فإن الأفريقى رأى فيهم جميعاً مشروعاً مشتركاً واحداً .

ولم يكن الأفريقى مخطئاً تماماً فى تقديره .. فالمسيحية وقد طبع عليها الاستعمار طابعه ، أصبحت فى موقف شديد الحرج . .

وماذا عن حركة الدعوة التبشيرية المسيحية ؟ إن تقدمها البطىء المستمر قد اصطدم الآن بأفريقيا الجديدة »(٩) .

★ ★ ★

التبشير والتفرقة العنصرية

ارتبطت حركة التبشير بالتفرقة العنصرية ارتباطاً وثيقاً . فمنذ قرون مضت ، نشطت تلك الحركة واندفعت تغزو العالم وتدعى أن هدفها هو « جلب نور الإنجيل إلى العالم » .

---

(٨) المرجع ٣ : ص٣٣ ، ١٣٥ ، ١٩٩

(٩) المرجع ٣ : ص ١٦٧ ، ٢٨

ولما كانت حركة التبشير مرتبطة أصلا بالاستعمار الذى ينبغى التسلط والسيطرة على مقدرات الشعوب ، فإنها لم تلبث أن تقمصتها هى الأخرى روح التسلط والاستعلاء . وما ذلك إلا لأن المسيحية التى يقدمونها للناس، تعتبر فى قرارة أنفس المبشرين دين الرجل الأبيض المتحضر الذى يجب أن تكون له السيادة حيثما كان . وحجتهم فى ذلك أنه « مهما كان عدم إخلاص أوروبا للمسيحية ، فإن الواقع التاريخى يقرر أن المسيحية ومثلها لا يمكن فصلها عن تطور الحضارة الغربية »(١٠) .

ونتيجة لهذا الفهم الدنيوى للمسيحية ، فإن التبشير المسيحى يمارس تفرقة عنصرية فى مختلف المجالات ، ومن أخطرها — ولا شك — المجالين السياسى والدينى .

★

فى مجال السياسة :

يقول جاك مندلسون : « **إن أكثر أجنحة المسيحية كشفاً وقابلية للانثلام ، هو التفرقة العنصرية الوحشية باسم المسيحية.** إن سلالة المستوطنين البيض المستقرين (وهم سلالة المستعمرين فى جنوب أفريقيا) قد رأوا أنفسهم كتقليد توارثوه ، **كأنما هم يعيدون تمثيل الدور الوارد فى الإنجيل عن الشعب المختار وأرض الميعاد ، حيث فرض الرب على الرجل الأسود أن يصقل الخشب ويجلب المياه خدمة للرجل الأبيض ..**

وكحقيقة عابسة ، فقد عطروا التفرقة العنصرية والتحامل الجنسى بأنها حقيقة طبقاً للكتاب المقدس : **لو كان الرب قد أراد المساواة بين الأجناس لقال ذلك فى الإنجيل** »(١١) .

---

(١٠) المرجع ٢٥ : ص ٢٤٣
(١١) المرجع ٣ : ص ١٦١

ومن المحزن حقاً أن يكون قصص الكتاب المقدس مصدر إلهام للمبشرين بالتفرقة العنصرية ، وسنداً قوياً يحتجون به . ولقد أصدرت مجلة « لايف » عدداً خاصاً عن الكتاب المقدس ، وكان مما جاء فيه :

« لا تزال حكومة جنوب أفريقيا تعتمد على ما جاء فى سفر التكوين – الذى يصف أحد أبناء حام بأنه « عبد العبيد » – لتبرير سيطرتها على السود وإذلالهم »(١٢) .

والقصة المشار إليها فى سفر التكوين ، تحكى حادثة وقعت لنوح بعد الطوفان . فبعد أن استقر نوح ومن معه على الأرض واستقامت لهم سبل الحياة ، إذا بالرجل – كما يقول السفر – يسكر ، فتلعب الخمر برأسه وتنكشف عورته ويراها أولاده . حتى إذا أفاق نوح من سكره وعلم ما كان من أمره ، إذا به يظلم حفيده كنعان دون ما ذنب جناه سوى أن أباه حاماً قد أبصر عورة نوح . ويدعى كتبة هذا السفر أن نوحاً قال : «ملعون كنعان . **عبد العبيد يكون لإخوته** . وقال: مبارك الرب إله سام . **وليكن كنعان عبداً لهم** – تكوين ٩ : ٢٥ – ٢٧ » .

★

إن وثائق التبشير تعترف بأنه عندما « جاءت الإرسالبات بالتعليم تلقاه الأفريقيون بحماس ، **ولكن الكثيرين من المبشرين شاطروا المستوطنين وموظفى الاستعمار رأيهم فى أن الأفريقيين يجب أن ينالوا نصيباً من التعليم إلى الحد الذى يؤهلهم فقط لأن يأخذوا مكانهم اللائق فى مجريات الأشياء. ومن الواضح أن المكان اللائق ليس مكاناً مساوياً** . .

---

(١٢) يقول النص الانجليزى : LIFE, April 19, 1965.

«The government of South Africa, still relies on Genesis (which describes a son of Ham as 'a salve of slaves') to justify its subordination of Negroes».

ومما لا يمكن تلافيه أن يرى بعض الأفريقيين أن التعليم الإرسالى ليس منحة فحسب ، وإنما هو أيضاً نوع من الاستعباد »(١٣) .

إن التبشير المسيحى متهم دائماً بأنه يساند النظم العنصرية ، وينظر إلى الشعوب التى يعمل بينها من أفريقيين وآسيويين وغيرهم نظرة تكبر واستعلاء ، وما ذلك إلا لارتباطه الوثيق بالاستعمار ، وتخاذله أمام القوى التى تمارس التفرقة العنصرية ، ذلك التخاذل الذى وصل إلى حد التواطؤ.

كيف لا ، والتبشير المسيحى ذاته يمارس التفرقة العنصرية داخل كنائسه ومؤسساته وتنظيماته الكنسية ، كما سنرى فيما يلى ..

★★

فى مجال الدين :

تعتبر مأساة الكاهن الهندى متى دى كاسترو نموذجاً للتفرقة العنصرية التى تمارسها الكنائس المسيحية بين كهنتها ، أولئكم الذين غنمتهم نتيجة لحركة التبشير المسيحى .

وتتلخص هذه القصة — كما ترويها وثائق التبشير — فى أن « متى دى كاسترو كان شاباً هندوكياً من ولاية جوا (التى كانت آنذاك مستعمرة برتغالية) وقد تحوّل إلى المسيحية .

لكن أسقف جوا (البرتغالى الكاثوليكى) رفض رسامته كاهناً .. فما لبث أن نجح فى شق طريقه إلى روما . وبعد سنوات من الدراسة تمت رسامته كاهناً فى عام ١٦٣٠ ، وأعيد إلى الهند ليعمل فى التبشير بين شعبه . بيد أن أعداءه أقاموا الكثير من العقبات فى وجهه ، مما اضطره فى عام ١٦٣٦ أن يعود ثانية إلى روما بطريق البر . .

وهناك تمت رسامته مطراناً وأعيد ثانية إلى الهند ، إلا أن مصاعبه تضاعفت منذ لحظة وصوله ، **فقد رفض أسقف جوا الاعتراف به مطراناً .**

---

(١٣) المرجع ٣ : ص ١٦٨

وأخيراً لم يجد «متى» أمامه مفراً من العودة إلى روما مرة ثالثة ليعرض قضيته بنفسه. وبعد مجهود عقيم بذل فى إقناعه بالذهاب إلى الحبشة، فإنه عاد إلى الهند مرة ثالثة فى عام ١٦٥١، وهو ينفث تهديداً ووعيداً ضد البرتغاليين وجميع اليسوعيين .. ولما بدأ «متى» فى إرسال الشكاوى المتلاحقة إلى روما ضد البرتغاليين وما كان عليه أمر الكنيسة فى جوا، تبين من بحثها أن جزءاً من اتهاماته كان صحيحاً.

إلا أنه رؤى من الحكمة التخلص من المصدر الأساسى للقلاقل (وهو متى!) ولذلك جرد من لقبه فى عام ١٦٥٨، وأعفى من وظيفته، إلى أن توفى عام ١٦٧٧ ..

ولم يتم رسم المطران الهندى الكاثوليكى التالى إلا عام ١٩٢٣» (١٤). أى بعد حوالى ٣٠٠ عام من بدء تلك المأساة الدينية الساخرة.

★

ولقد استمرت هذه التفرقة العنصرية الدينية تحكم سياسة التبشير فى كل مكان، ليس فقط فى آسيا، كما رأينا فى المثال السابق، ولكن أيضاً فى أفريقيا وأمريكا الجنوبية وسائر الجزر والمواطن التى تتعرض للغزو التبشيرى.

وتقوم هذه السياسة على عدم تأهيل مسيحيى تلك البلاد — الذين تنصروا نتيجة لجهود المبشرين ويفترض أنهم صاروا إخواناً لهم فى العقيدة! — لتولى أى سلطة أو رئاسة فى الكنيسة ومؤسساتها. وما ذلك إلا لأن التبشير حركة تستهدف — فى المقام الأول — السيطرة على المناطق التى تغزوها، وتتخذ الإنجيل والمسيحية وسيلة لتحقيق ذلك.

ولقد فطن القادة والمثقفون فى أفريقيا إلى خداع حركة التبشير، ولذلك انتهزوا كل فرصة للتعبير عن سخطهم وكراهيتهم. فنراهم يقولون: «حينما

---

(١٤) المرجع ٢٥: ص ١٨٢ — ١٨٣

يكون للرجل الأبيض اليد العليا ، فإن المبشرين يتقبلون برضاء غريب التفرقة العنصرية .

إن المبشرين يتثاقلون حينما يكون الأمر متعلقاً بتدريب أحد الأفريقيين لتولى الرئاسة والسلطة فى الكنيسة . إن الإرساليات كانت تقف موقف عدم الاهتمام ، بل والعداء ، من القومية ، ولم يوجد شعور صادق حقيقى للتوجية السياسى الذى يسيطر على الشباب الأفريقى . .

(وفى حديث مع أحد المبشرين) أشار فلاح ثرى من كيكويو إلى قمة تل من التلال السوداء بكينيا قائلا : هل ترى الإرسالية التى هناك ؟ إنهم يديرون ملجأ للأيتام ومدرسة للتجارة ومستشفى ، وكل هذا لصالحنا نحن الكينيين .

ولكن هل تعلم أنى لم أر قط أى قسيس أبيض منهم فى اجتماع أو قداس بقريتنا ؟ إذا كانت هذه هى المسيحية فإننا نستطيع الاستغناء عنها » (١٥) .

★

ولقد دار حوار بين أحد المبشرين وشاب نيجيرى مسيحى مثقف ، اشتغل بالتدريس لبضع سنين فى مدارس الإرساليات ، وكان فى بلده واعظاً مرخصاً له وشغل عدة منابر للوعظ ، وسافر إلى الولايات المتحدة للدراسة الجامعية ، ثم عاد إلى نيجيريا . وكان السؤال الذى طرحه المبشر هو : ماذا ترى مستقبل المسيحية كالتزام دينى لنخبة أفريقيا الناهضة ؟

فكان جواب الشاب النيجيرى : « فى المستقبل القريب جداً سوف تخسر المسيحية نهائياً فى أفريقيا . إنها تخسر فعلا . هل تظن أنى عائد إلى أفريقيا لأظل مسيحياً ؟ كلا . . »

وحينما ضغط عليه المبشر « ليشرح لماذا يظن أن للمسيحية مثل هذا المستقبل الضئيل فى أفريقيا ، فإنه انتقد المبشرين وقادة الكنيسة الأفريقية قائلا :

---

(١٥) المرجع ٣ : ص ٢٩ — ٣٠

«إن المبشرين البيض الذين جاءوا إلى أفريقيا للتبشير بالإنجيل ، لم ينصروا شعبهم بعد . يجب عليهم أن يروا الرمد الذى فى عيونهم قبل عيون جيرانهم.

أنا لا أستطيع أن أفهم لمـــاذا يجب أن تكون هناك تفرقة عنصرية فى الكنيسة .

إن الكنيسة مشروع تجارى ،وليس من المشجع رؤية المبشرين الأغنياء المتخمين ولاعقى أحذيتهم القسيسين الأفريقيين وهم يجمعون المـــال من الفقراء »(١٦).

★

وفى أمريكا الجنوبية تسجل وثائق التبشير على المبشرين الجيزويت الذين عملوا بين شعب براجواى — استغلالهم وتفرقتهم العنصرية فى مجال الدين . فهم « لم يفعلوا إلا القليل جداً من أجل تطوير حاسة المبادأة وروح الاستقلال بين قطيعهم البشرى . لقد بدا أنهم يرغبون فى أن يظل الشعب (فى براجواى) حولهم أطفالا يسهل انقيادهم بدلا من تأهيلهم للحكم الذاتى .

لقد كانت بيد الجيزويت السلطة كاملة طيلة أكثر من قرن ،وخلال تلك الحقبة الطويلة فإنهم لم يؤهلوا أى مرشح للكهانة ، ولم ينشئوا أى جماعة للراهبات. لقد كان الجيزويت يعتقدون أن الوقت لم يحن بعد لتحقيق ذلك ..

لقد جاء الإنتقام الإلهى بسبب هذه السياسة عندما طرد الجزويت ، ولم يكن لدى الهنود (فى براجواى) القدرة على القيادة الذاتية . .

وما أن جاءت نهاية القرن الثامن عشر حتى تقوض كل شىء ولم يبق ما يمكن ذكره . لقد استعادت الأدغال كل ما لها من الشعب الوثنى »(١٧).

★

---

(١٦) المرجع ٣ : ص ١٩٥ — ١٩٦

(١٧) المرجع ٢٥ : ص ٢٠٣

إن التفرقة العنصرية التي يمارسها التبشير المسيحي في المجال الديني حقيقة لم تعد تقبل المراء ، بعد أن اعترف بها المبشرون أنفسهم ، وإن كان هذا الاعتراف قد جاء متأخراً .

يقول ستيفن نيل : « **في القرن التاسع عشر خضع المبشرون إلى العقد الاستعمارية التي تقول بأن الرجل الغربي فقط هو الإنسان بكل ما تعنيه هذه الكلمة** . لقد كان عاقلا وطيباً ، على أنه يجوز للأجناس الأخرى (غير الأوروبية) أن تشارك في هذه الحكمة والطيبة بالقدر الذي تصطبغ به من نظم الحياة الغربية .

لكن الرجل الغربي كان هو القائد ، ولسوف يبقى هكذا لزمن طويل ، وربما إلى الأبد .

وعندما ارتفعت الأصوات لتنقد تلك الفكرة التي صارت مسلماً بها ، فإنها تعرضت للإسكات .. **فحتى عام ١٩١٤ لم يكن لدى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أي أسقف من أصل غير أوروبي سوى أربعة . .**

وعندما أثار شاب بلجيكي هو القس فنسنت لب ، السؤال عما إذا كان الوقت لم يحن بعد لخلق أسقفية وطنية في الأقاليم الأخرى (غير الأوروبية) فإنه واجه معارضة شديدة لاحقته في كل مكان ، وتقول **إنه طالما كان الجنس الأبيض في استطاعته أن يقدم مورداً لا ينضب من الأساقفة ، فإنه لا يمكن أن يوجد رجل واحد من الأجناس الصفراء والحمراء والبنية والسوداء ، يستطيع حمل ثقل الأسقفية** » (١٨) .

وهكذا ، وبلا حياء ، يمارس التبشير المسيحي التفرقة العنصرية في مجالات العقيدة الدينية ، التي يزعم أنه جاء ليهدي بها البشر .

★ ★ ★

---

(١٨) المرجع ٢٥ : ص ٢٥٩

التبشير والتجارة

يعتبر التبشير تجارة تدر على القائمين به من مؤسسات وأفراد ؛ أرباحاً طائلة . ولقد ارتبطت حركة التبشير بالأعمال التجارية والمالية منذ نشأتها . لذلك نجد أن شركة الهند الشرقية الهولندية التى تأسست عام ١٦٠٢ ، قد « أقامت مدرسة للاهوت فى ليدن ، قامت بتدريب ١٢ قسيساً فى الفترة من ١٦٢٢ — ١٦٣٣ للخدمة فيما كان يعرف باسم الممتلكات الهولندية فى أندونيسيا وسيلان . .

وكان كل مبشر من هؤلاء يتقاضى عمولة نقدية عن كل شخص يعمده نصرانيــاً .

وقد ساعد على نجاح التبشير فى تلك المستعمرات أن منحت امتيازات واسعة للمسيحيين ، كما لعب العامل السياسى دوراً كبيراً فى تنصير الأهالى..

بعد ذلك لا نندهش كثيراً عندما نجد أن عدد المحوّلين إلى المسيحية كان كبيراً . ففى نهاية القرن السابع عشر ، أعلن الهولنديون عن تنصير ١٠٠٠٠٠ فى جاوا ، و ٤٠٠٠٠ فى أميون ، لكن اخلاص هؤلاء المتنصرين للمسيحية كان موضع شك » (١٩) .

★

وفى الهند اشتغلت بعثة بازل السويسرية التبشيرية بالأعمال التجارية البحتة ، **فكان لها « مصانع بلاط ومصانع نسيج شهيرة فى كل أنحاء جنوب الهند ، إلى أن قامت الحكومة أثناء الحرب العالمية الأولى بإنشاء مؤسسة شركات الكومنولث لإدارة المشروعات الصناعية والتجارية التى كانت فى يد البعثات التبشيرية » (٢٠).**

★

(١٩) المرجع ٢٥ : ص ٢٢٣ — ٢٢٤

(٢٠) المرجع ٢٥ : ص ٢٧٨

وفى أفريقيا رأينا أن المستنيرين من الأفريقيين قد اكتشفوا أن الكنيسة التبشيرية « مشروع تجارى » وأن الأطفال الأفريقيين يؤخذون إلى مدارس التبشير ، لا من أجل التعليم بل للعمل فى الضيعات ومزارع الإرساليات .

★

« وفى أمريكا الجنوبية ، كانت بعثة الجيزويت التبشيرية فى براجواى من أكثر المشاريع شهرة . . لقد كانت تبنى الكنيسة وسط المشروع ، وفى كثير من الحالات كان المبنى فخماً رائعاً ، وحول الكنيسة أسكن الأهالى فى منازل انتظمت فى صفوف . وتمتلك الكنيسة الجزء الأكبر من الأراضى المنزرعة حيث كان على الأهالى أن يعملوا بها عدداً مفروضاً من الساعات كل أسبوع . . ولقد كان النظام صارماً والمعاملة خشنة »(٢١) .

★

ولا عجب من ذلك كله ، فإن المراسيم البابوية التى صدرت فى القرون الوسطى ، كانت تمنح أراضى غير المسيحيين — باعتبارهم كفرة — فى كل أنحاء العالم ، ملكاً للكنيسة والمستكشفين والمستعمرين .

ذلك أن الكنيسة قد ربطت قوتها بثرائها ، فلجأت منذ عهد مبكر إلى استخدام سلطانها الروحى فى مد سلطانها المادى على الأراضى والممتلكات فى البلاد المسيحية أيضاً ، وذلك بحث المواطنين على التبرع بالأراضى أو وقفها لخدمة الكنيسة . ولقد تسبب هذا فى حدوث منازعات كثيرة بين الملوك والإقطاعيين ورجال الكنيسة فى أوروبا لقرون عديدة .

يقول أرنست كيللت : « إن تاريخ إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وحتى إيسلندة البعيدة ، ملىء بقصص عن مثل هذه المنازعات ..إن مثل تلك العطايا

---

(٢١) المرجع ٢٥ : ص ٢٠٢ — ٢٠٣

من الأرض كانت تتكرر كثيراً ، فقد كان ينظر إليها على أنها محجوزات فى قصر السماء ، لدرجة أنه فى بعض البلاد ، كانت الكنيسة تملك ما لا يقل عن ربع أو ثلث المساحة الكلية للأراضى ، وكان تجنب المنازعات عند هذا الحد غير ممكن ، بسبب مفهوم حق الملكية فى العصور الوسطى .

لقد كانت النظرية تقوم على أن البلد كله ملك للملك ، وأن أراضى اللوردات والمقاطعات والعقارات المؤجرة - كما نستطيع قوله - كانت مؤجرة منه باعتباره مالك الأرض . ولهذا فإن أراضى الكنيسة كان عليها ضرائب مثل تلك التى يدفعها أى مستأجر آخر . بيد أنه كانت هناك ضريبة واحدة هربوا منها ، وأعنى بها ضريبة التركات ، التى تدفع عندما يتوفى المستأجر ويخلفه وريثه . **إن الكنيسة لم تمت أبداً ، ولم يكن لها ورثة ، وهو الوضع الذى ترتب عليه وجود تحويلات مزورة من الأراضى إلى الكنيسة ، وذلك لكى يتجنب الملاك الحقيقيون ضريبة التركات** .. لقد أصبح الشعور هو أن الكنيسة لديها الكثير ، وأن التاج يفقد الكثير .. وعادت المنازعات بين الكنيسة والملك عند النقطة التى تتفرق فيها وظيفتيهما ، فأحدهما (الملك) يكافح من أجل بقاء تلك الأراضى فى اهتماماته ، بينما كان الآخر (الكنيسة) يريدها أن تبقى فيما يسمى باهتمامات الدين . وقد استمر مثل هذا الصراع طويلا ..

وفى حكم إدوارد الأول ، كان سريعاً أو غاضباً ، لأن الملك كان فى مسيس الحاجة إلى المال ، بينما رفضت الكنيسة ذلك ، طبقاً للمنشور الذى أصدره البابا بونيفاس الثامن .. لقد هزم باستمرار أقوى الملوك واللوردات ، حتى جاء أسر وتدمير بونيفاس على يد فيليب الفرنسى ، حيث علم البابوية الدرس ..

من أجل ذلك فإننا لا نندهش من أنه - فى حالات كثيرة - كان أول هجوم على الكنيسة متعلقاً بثروة رجال الإكليروس . لقد اتخذت إجراءات عن طريق البرلمان ، ضد أعمال السلب والابتزاز التى كان يقوم بها البابا وسفراؤه ، وحدث عصيان وتمرد ، من حين لآخر ، ضد الطغاة الصغار فى الأبرشيات . **وقد شارك فى ذلك أفضل من فى رجال الإكليروس أنفسهم**

لقد فحصوا (أسفار) العهد الجديد ، فوجدوا أن الرسل الأول للمسيح كانوا فقراء . لذلك كان هناك مطلب يتردد وهو أن تعود الكنيسة إلى حالة الفقر التى كان عليها الرسل . لكن مثل هذه الحركة لم تتوقف عند هذا الحد ، فقد امتدت من الهجوم على ثراء الإكليروس — والذى كان يعضده كثير من النبلاء — إلى هجوم على المعتقدات . وعلى سبيل المثال ، فان «ويكلف» قد عبر — قرب نهاية حياته — عن أكثر شكوك ساورته وهى التى تتعلق بتحول المادة ، أى القربان ، إلى لحم ودم المسيح . .

لقد تمسك آباء الكنيسة بشتى الأفكار التى تقوم على نظرية السر المقدس ، واختلف العلماء فى تفسيراتهم الميتافيزيقية التى تحتال لها ، ولم تستقر هذه العقيدة نهائياً إلا بعد أن تأكدت فى مجمع اللاتيران الذى عقد فى عام ١٢١٥.

من الواضح أن مثل هذه العقيدة تزيد من قوة رجال الإكليروس بدرجة كبيرة . فإذا اعتقدت أنك لا تستطيع دخول (مملكة) السماء بدون أكل جسد المسيح ، وإذا كان الشخص الوحيد الذى يستطيع عمل معجزة إعطائك هذا الجسد على شكل خبز ، هو القسيس ، فإنك تصير عندئذ تحت رحمة القسيس . فما عليه إلا أن يهددك برفض تقديم الطعام المتحوّل ، وما عليك إلا أن تستجيب لرغبته .

إن الهجوم على هذا المعتقد إنما يعنى الهجوم على نفس قلعة تسلط الإكليروس ، الذين أدركوا الخطر سريعاً .. لقد وصم « ويكلف » وشيعته من اللولارديين بالهرطقة .. ولم يكن أكثر تلاميذ «ويكلف» شهرة رجلا إنجليزياً ، لكنه كان « جون هسينتز » من بوهيميا ، الذى عرف باسم « هس » ، رئيس جامعة براغ . . **لقد اختير « هس » لفحص بعض المعجزات التى قيل إن دم المسيح عملها ، فلم يلبث أن نطق بالحكم وقرر أنها كانت عمليات غش واحتيال .**

ولقد نشر بحثاً يحض الناس على الكف عن البحث عن الآيات والعجائب ، وعليهم أن يبحثوا ، بدلا من ذلك ، فى الكتب (المقدسة) .. لقد طلب هس

حرية الفكر ، وكانت حرية الفكر تقود إلى نشر معتقدات «ويكلف» .. وفى عام ١٤١٠ صدر مرسوم بابوى يحظر تداول كتابات « ويكلف » ..

وأخيراً ، أحضر « هس » للمحاكمة ، واقتطعت قصاصات من كتاباته المتهرطقة ، وقرئت ، وضاع دفاعه وسط صيحات الغضب . . لقد تقرر الحكم عليه من قبل ، فقد فصل من زمرة الإكليروس ، وحكم عليه بالموت .. وفى ٦ يوليه ١٤١٥ أحرق «هس» حياً فى كونستانس . وفى خلال عام ، لقى صديقه «جيروم» من براغ نفس المصير . إن المؤكد تماماً أن «هس» لم يكن هرطيقاً . .ومن المؤكد ، على أى حال ، أنه لم يمت بسبب الهرطقة ، ولكن بسبب احتقاره للسلطة الكنسية ، ومن المؤكد كذلك أن موته كان إنتهاكاً للقانون » (٢٢) .

يبدو أن السادة المسئولين عن كل تلك المآسى والانغماس فى الدنيويات ، قد نسوا قول المسيح فى الإنجيل :

« لا تقدرون أن تخدموا الله والمال .. إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله — متى ٦ : ٢٤ ، ١٩ : ٢٤ » .

★ ★ ★

صراع المبشرين

يطول بنا الحديث عن صراع المبشرين عبر القرون والقارات ، ذلك أن اخوان العقيدة — أو هكذا يُفترض أن يكونوا — الذين يبشرون بالمسيح والإنجيل ، كانت تضطرم بينهم نار العداوة والبغضاء أينما حلوا وحيثما كانوا .

يقول ستيفن نيل : « فى القرن السادس عشر أخذ ملوك أسبانيا والبرتغال المبادأة فى فتح باب التبشير . . وفى ظلهم تمتع المبشرون بالحماية الملكية ولم يجدوا صعوبة فى السفر على السفن الأسبانية والبرتغالية . وفى كثير من الحالات

(٢٢) المرجع ٢١ : ص ٢٩٣ — ٢٩٨

كانت المساعدات كريمة إلا ما ندر . . ومن ناحية أخرى كانت هناك مآخذ خطيرة ، ذلك أن ارتباط التبشير بالسياسة كان يعنى أن المبشرين معرضون للانغماس كثيراً فى المطالب الدنيوية ، وحتى فى التجارة .

لقد كانت المنافسة بين الجماعات التبشيرية أبعد ما تكون عن التقى والعمل لإرضاء لله ، لدرجة أنه فى اليابان ، وتحت ظل الصليب ، نجد أن الفرنسيسكان قد نقدوا الجزويت بمرارة ، وبالمثل سخر الأخيرون من الأولين ..

لقد عين الجزويت مطراناً لفوناى عام ١٥٨٧ لكنه توفى فى الطريق. وقد وصل خلفه بدرو مارتينز إلى نجازاكى فى ١٤ أغسطس ١٥٩٦ ، لكنه وجد إرسالية التبشير على مثل تلك الحال من الاضطراب بسبب المنافسة بين البرتغاليين والأسبان الذين وصلوا حديثاً من مانيلا ، مما جعله يقرر العودة إلى روما يلتمس التوجيه ، بيد أنه مات أثناء الرحلة . .

وتحت حكم إياسو وايمتسو وصل اضطهاد المسيحيين إلى مستوى من الضراوة جعل المشكلة المسيحية تحل بموت أغلب المؤمنين بها أو ارتدادهم عنها . إن الأسباب الحقيقة لاضطهاد المسيحيين (فى اليابان) يصعب تقصيها ، إلا أن جانباً منها يرجع إلى ضعف وضع الجيزويت نتيجة لوصول الفرنسيسكان والدومنيكان من مانيلا ، وبسبب الضعف الشديد للوحدة بين المبشرين . وزاد الطين بلة وصول الهولنديين والبريطانيين الذين اغتنموا كل فرصة ليحملوا معهم إلى اليابان الضغائن والأحقاد التى مزقت أممهم فى أوروبا . .

وهناك من الأسباب ما يدعو إلى الاعتقاد بأن اللغة الهوجاء التى استخدمها الفرنسيسكان أوحت إلى شعب اليابان الحساس ، أن المبشرين كانوا هناك كمقدمة لجيش احتلال ، وأن التسلل المسيحى سوف يتبعه احتلال سياسى ..

لقد انقضى أكثر من قرنين قبل أن تفتح اليابان ثانية للعمل التبشيرى »(٢٣) .

★

(٢٣) المرجع ٢٥ : ص ١٥٩ – ١٦٢

وفى الهند « كان السوريان يكرهون الجزويت والبرتغاليين ، فقد اشتكوا مراراً من الميزات والاستثناءات التى تمتعوا بها بلا حدود ، لذلك تجمهروا ساخطين فى عام ١٦٥٣ وأقسموا على طرد الجزويت .

وعندما استولى الهولنديون على كوشين نهائياً ، فإنهم أمروا كل الكهنة والرهبان الأجانب بمغادرة الإقليم .

وقام المورافيون بمجهودات ضئيلة لتبشير الأفريقيين فى جـنوب أفريقيا ، وكان أول رائد بينهم هو جورج شميت الذى وصل عام ١٧٣٧ ، وقد طرده الهولنديون عام ١٧٤٤ وانفضت تلك البعثة التبشيرية حتى حتى عام ١٧٩٢ »(٢٤) .

★

وفى أمريكا « كان المبشرون شهوداً على مأساة الهنود الحمر . إن أياً من بريطانيا وفرنسا وهولندا ، لا يمكنها التنصل مما حدث . لقد كان الأسلوب اللاإنسانى الذى أقحم به الرجل الأبيض ، ذلك الهندى الأحمر فى صراعاته الخاصة ، مثيراً الهندى ضد الهندى ، والهندى ضد الأوروبى ، إنما يمثل مرحلة من أكثر فترات التاريخ الاستعمارى خزياً وعاراً .

وأسوأ من ذلك هو تطبيق مبدأ : اشرب الخمر ، ودع الشيطان يتكفل بالتالى .

فإن الهندى الأحمر لم يستطع مقاومة إغراء خمر الرجل الأبيض الملتهبة ، وهنا كما فى أى مكان آخر ، نجد أن تغذية الشعب البدائى بالكحول يعادل القتل مع سبق الإصرار »(٢٥) .

★

---

(٢٤) المرجع ٢٥ : ص ٢٦٩ — ٢٧٠ ، ٣١٠
(٢٥) المرجع ٢٥ : ص ٢٠٢

لقد كان الفساد فى الجماعات التبشيرية والعداء بينها سبباً فى قيام البابا بحل جماعة الجيزويت . « فمنذ البداية كان رجال الإكليروس والجماعات الدينية الأخرى معادية لهم . وكثرت الشكاوى من غطرستهم ووسائلهم البذيئة فى التبشير ، وتدخلهم فى السياسة ، وتجميعهم لثروات ضخمة عن طريق المضاربات التجارية .

لقد انتظرت روما طويلا ثم قررت فى النهاية أن تضرب . ففى ٢١ يوليو ١٧٧٣ حل البابا كليمنت الرابع عشر جمعية يسوع هذه ، وصادر ممتلكاتها . وفى ذلك الوقت كان عدد أعضاء هذه الجماعة ٢٢٥٨٩ منهم ١١٢٩٣ كاهناً . ونتيجة لذلك فإن ٣٠٠٠ مبشراً على الأقل سحبوا من مجال عملهم . . وشحنت الأغلبية العظمى منهم على أسطح المراكب كالخراف ، عائدين إلى وطنهم الأصلى . وفى أماكن كثيرة ، كما حدث فى باراجواى ، اكتملت الكارثة . لقد كان القرن الثامن عشر فى كل الكنائس زمناً للتراخى والتقهقر »(٢٦) .

★★

أما بعد ...

فلقد رأينا المبشرين يعملون « لخدمة الاستعمار والعبودية » — وهم جواسيس « يجمعون المعلومات لدولهم ، وتحميهم ملابسهم الكهنوتية » ، ولذلك تعمد الدولة المسيحية التى تحل محل أخت لها فى مستعمراتها إلى طرد المبشرين من أراضيها الجديدة — وقد كانوا يعلمون البسطاء حب دولتهم الاستعمارية « لا حب الرب » — وقد خدعوهم حين طلبوا منهم « أن يغلقوا أعينهم للتعبد والصلاة ، فلما فتحوها وجدوا الإنجيل فى أيديهم أما أراضيهم فقد اغتصبت » .

---

(٢٦) المرجع ٢٥ : ص ٢٠٦

والمبشرون إقطاعيون يملكون الضياع والمزارع والمصانع والمتاجر ، استولوا على أراضي الفقراء ، واستخدموهم في زراعتها ، وجنوا الأرباح الطائلة من كل ذلك فبنوا القصور والكنائس والمدن .

وهم يساندون التفرقة العنصرية سياسياً ، ويمارسونها في كنائسهم ومؤسساتهم دينياً . وهم انتهازيون نفعيون، عندهم « الغاية تبرر الوسيلة » فكانت سياساتهم الخبيثة مع البسطاء كالهنود الحمر « **من أكثر فترات التاريخ الاستعماري خزياً وعاراً** » ، وما فعلوه فيهم كان «**يعادل القتل مع سبق الإصرار** » .

ولو كانوا مخلصين المسيحية حقاً ما اقتتلوا ذلك القتال الشرس الذي عرضهم لنكسات في أعمالهم التبشيرية ، فلقد « **كانت المنافسة بين الجماعات التبشيرية أبعد ما تكون عن التقى والعمل إرضاء لله** » .

من أجل ذلك ، فإن المثقفين في شعوب العالم الثالث أصبحوا يدركون جيداً أن المبشرين ليسوا سوى « **ذئاب في جلود نعاج** » .

والآن لم يعد من الصعب الإجابة على السؤال الذي اتخذناه عنواناً لهذا الفصل : عطاء التبشير لمن : لقيصر أم لله ؟

إن عطاء التبشير لقيصر ، مهما كابر المكابرون ، وجادل في ذلك المراءون . وهو عطاء يبرأ منه المسيح أولا وأخيراً ، إذ قال لأهل الخديعة والنفاق الديني — وهو شر أنواع النفاق — حين واجههم :

« يا مراءون : حسنا تنبأ عنكم إشعياء قائلا : يقترب إلى هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً . وباطلا يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس — متى ١٥ : ٧ — ٨ » .

★ ★ ★

الباب الرابع

التبشير فى العالم الاســلامى

- أهداف التبشير فى العالم الاسلامى
- وسائل التبشير فى العالم الاسلامى

الفصل التاسع

أهداف التبشير فى العالم الاسلامى

الاعتراف سيد الأدلة ... ما فى ذلك شك .

وهنا تسعفنا اعترافات أهل التبشير المسيحى – من مخططين ومنفذين– لتحديد أهداف عملهم فى العالم الإسلامى . فلنعرض مقالاتهم ولنستمع إليهم ، وحسبنا ذلك فى هذا الباب بالذات – التبشير فى العالم الإسلامى – من أبواب هذا الكتاب .

★★

يقول المؤرخ جان دى جوانفيل – الذى رافق الملك لويس التاسع ملك فرنسا فى حملته الصليبية – سابعة الحملات– : « إن خلوته فى معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق فى السياسة التى كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين . وقد انتهى به التفكير إلى تلك الآراء والمآخذ التى أفضى بها لأعوانه المخلصين ، أثناء رحلته إلى عكا مقلعاً إليها من دمياط ».

وكان ما انتهى إليه لويس التاسع : إنه لم يعد فى وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام ، وإن هذا العبء لابد أن تقوم به أوروبا كلها لتضيق الخناق على الإسلام ثم تقضى عليه ، ويتم لها التخلص من الحائل الذى يحول دون تملكها لآسيا وأفريقيا .

ويقول المؤرخ رينيه جروسيه : «إن الملك لويس التاسع كان بذلك فى مقدمة كبار ساسة الغرب الذين وضعوا للغرب الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة شملت مستقبل آسيا وأفريقيا بأسرها » .

وهكذا رسم لويس التاسع التخطيط المبدئى للسياسة التى رأى أنها تمكنه من مواجهة الإسلام والنيل من قوته . وكان من بينها :

« تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية، تستهدف الغرض نفسه ، لا فرق بين النوعين إلا من حيث نوع السلاح المستخدم فى المعركة . وتجنيد المبشرين الغربيين فى هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً ، واعتبار هؤلاء المبشرين فى تلك المعارك جنوداً للغرب » (١).

★

ويقول القس اليسوعى ميبز فى معرض حديثه عن سياسة فرنسا الدينية فى الشرق :

« إن الحرب الصليبية الهادئة التى بدأها مبشرونا فى القرن السابع عشر ، لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه . . ولقد احتفظت فرنسا طويلا بروح الحروب الصليبية ، وبالحنين إلى تلك الحروب حية فى نفسها . . وكان من غايات الامتيازات الأجنبية دائماً أن تحتفظ (فرنسا) بالدور الذى يلعبه رهبانها . وقد اعترف لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى . . وكثيراً ما اختارت فرنسا قناصلها وسفراءها من رجال الدين »(٢) .

ويقول اليسوعيون فى عرض نشاطهم التبشيرى فى الشام :

« ألم نكن نحن ورثة الصليبيين . . أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيرى والتمدين المسيحى ، ولنعيد فى ظل العلم الفرنسى وباسم الكنيسة مملكة المسيح »(٣) .

★

---

(١) المرجع ١٢ : ص ٩ — ١٠

(٢) المرجع ٩ : ص ١٢٧

(٣) المرجع ٩ : ص ١١٥

« وفى خريف عام ١٨١٨ تأسست فى الولايات المتحدة جمعية تبشيرية للعمل فى فلسطين تستند إلى الجهود الأمريكية . . لقد كان فى المركز الجغرافى العسكرى للشرق الأدنى ولمنطقة البحر المتوسط عنصر إغراء كبير حمل الأمريكيين على إقامة جمعية للتبشير هناك . إن البحر المتوسط كان الطريق المؤدى إلى أقسام واسعة من العالم لم يكن التبشير قد بدأ فيها بعد ، كما كان باباً إلى آسيا وأفريقيا . .

وكان الهدف الرئيسى للتبشير فى فلسطين هو تبديل عقائد شعوب الشرق الأدنى وتبديل أنماط حياتهم . وقد وضعت خطط مختلفة للوصول إلى نفوس النصارى ونفوس المسلمين ونفوس اليهود فى هذه البقعة من الأرض . . ثم إن القاهرة والإسكندرية مكانان مهمان ، فإن المبشرين يستطيعون أن يستقروا فى أى منهما شاءوا بأمان ؛ فيصنعوا ترجمة عربية صحيحة للكتاب المقدس . .

وبالإمكان أن تكون الكنيسة الأرمنية وسيلة مهمة لتنصير غربى آسيا . . وبالتقدم منها إلى إيران والعراق وسوريا وفلسطين وآسيا الصغرى .

وهكذا تستطيع الكنيسة المسيحية : بلا حرب صليبية ، أن تسترد تلك المناطق التى خسرتها منذ أزمان طوال »(٤) .

★

ويقول ستيفن نيل : « بدأت الإرسالية الإنجليكانية للعمل بين اليهود بالاستقرار فى القدس فى عام ١٨٢٠ ، ثم جعلت تقوم منذ عام ١٨٢٤ بشيء يسير من العناية الطبية . .

وفى عام ١٨٥١ شاركت جمعية الإرسالية التبشيرية فى هذا العمل الذى أدى إلى أغرب الأحداث فى تاريخ الكنيسة الحديث . لقد اتفقت السلطات

---

(٤) المرجع ٩ : ص ٢٦٠

البريطانية والبروسية على تأسيس أسقفية مشتركة فى مدينة القدس ، يشرف عليها أسقف مرسوم على المذهب الإنجليكانى ، ولكن تعيينه يجرى بالتناوب بين ملك إنجلترا وملك بروسيا .

لقد كان وراء هذا العمل عوامل سياسية ، كما كانت فيه عوامل دينية أيضاً »(٥) .

★

وفى عام ١٩٢٠ أصدرت لجنة التبشير الأمريكى — التى تهتم بالاستفادة من الحروب فى أعمال التبشير — كتاباً جاء فى مقدمته : « من أبرز الأمور المتعلقة بدخول الولايات المتحدة فى الحرب العالمية (الأولى) أن الآراء والمبادىء التى كانت تهدف إليها الإرساليات التبشيرية ، قد تبنتها الآن الأمة (الأمريكية) ، ثم أعلنت أنها هى أهدافها الأخلاقية وغاياتها من خوض تلك الحرب . **إن هذه المبادىء التبشيرية قد سميت الآن أسماء سياسية فقط** » (٦) .

★

من الواضح — إذن — أن التبشير المسيحى فى العالم الإسلامى هو فى حقيقته حرب صليبية ، وهو امتداد لتلك **الحروب الصليبية الصاخبة** التى بدأها الغرب المسيحى منذ تسعة قرون . والتى فشلت فى تحقيق أهدافها ثم تعرضت للإدانة الشديدة من قبل الكثير من المسيحيين ؛ من مؤرخين ومبشرين وفلاسفة ومفكرين .

إن الحرب — فى أحد تعاريفها التقليدية — تعنى صراعاً مسلحاً بين قوتين أو أكثر ، يقاتل فيها كل طرف من أجل كسر شوكة عدوه وتحطيمه ،

---

(٥) المرجع ٢٥ : ص ٣٠٤

(٦) المرجع ٩ : ص ١٢٩

وبالتالى تحقيق السيطرة والسيادة للطرف المنتصر، بغية التحكم فى مقدرات الطرف المهزوم وإمكاناته .

ونتيجة لفشل تلك الحروب الصليبية الصاخبة فى تحقيق أهدافها — التى تتلخص فى السيطرة على العالم الإسلامى واستنزاف ثرواته — فقد استدار الاستعمار الغربى لتحقيق تلك الأغراض، بعد تطويرها بما يناسب ظروف العصر، وذلك باستحداث وسائل أخرى يأتى التبشير فى مقدمتها، باعتباره **غزواً صامتاً** يستطيع التسلسل فى الظلام، خلف الأقنعة والشعارات الزائفة.

★

ولما كانت خبرات الحياة — وخاصة فى مجال الحرب — تبين أن بعض الوسائل اللازمة لتحقيق الهدف النهائى لصراع ما، قد تعتبر أهدافاً مبدئية يلزم تحقيقها فى المراحل الأولى من ذلك الصراع، **فقد عمد الاستعمار الى جعل هدفه المبدئى والعاجل هو : هدم الإسلام فى قلوب المسلمين، وإضعاف تلك الصلة القوية المعروفة التى تربط المسلم بدينه** . إن هذا هو ما أعلنه المبشرون جهاراً نهاراً، فى تحد صارخ ومواجهة مستكبرة .

فمنذ نحو سبعين عاماً، نشرت مجلة « العالم الإسلامى » الفرنسية عدداً خاصاً عن إرساليات التبشير البروتستانتية ونشاطاتها فى العالم الإسلامى، وذلك تحت عنوان : الغارة على العالم الإسلامى . وفى تقديم لبحوث ذلك العدد، كتب رئيس تحريرها المستشرق الفرنسى لوشاتليه يقول :

«كنا منذ أمد بعيد نود أن نخوض فى ذكر تفاصيل أعمال هذه **الإرساليات (البروتستانتية) التى اشتهرت بخططها ووفرة الوسائل التى أعدتها وتوسلت بها لمقاومة دين الإسلام** .. إن إرساليات التبشير الدينية التى لديها أموال جسيمة، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة، تأتى بالنفع الكثير فى البلاد الإسلامية من حيث إنها تبث الأفكار الأوروبية .إلا أن لإرساليات التبشير مطامع أخرى، كما يتبين من الفقرة الآتية التى استخرجها من

رسالة أرسلها إلى من جزيرة البحرين فى ٢ أغسطس سنة ١٩١١ حضرة القسيس المحترم صموئيل زويمر ، منشىء مجلة « العالم الإسلامى » الإنجليزية ، وهو يبنى فيها صروح آمال شامخة على أعمال المبشرين البروتستان ، قال :

« إن لنتيجة إرساليات التبشير فى البلاد الإسلامية مزيتين : مزية تشييد ، ومزية هدم . أو بالحرى مزيتى : تحليل وتركيب . والأمر الذى لامرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير - الذى أخذ يدخل على عقائد الإسلام ومبادئه الخلقية فى البلاد العثمانية والقطر المصرى وجهات أخرى - هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه . ولا ينبغى لنا أن نعتمد على إحصائيات فى معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين ، لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور ، ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامى من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفى ؛

ولاشك فى أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ، ولايتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوروبية .. فيتحكك الإسلام بصحف أوروبا ، وتتمهد السبل لتقدم إسلامى مادى ، وتقضى إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التى لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها .

أما مايقوله حضرة مكاتبنا (زويمر) عن وجود مئات من المسلمين اعتنقوا النصرانية سراً وينتظرون فرصة للجهر بها ، فذلك أمر لايمكننا البت فيه ..

فلنعتمد إذن على القول بأن سير العالم الإسلامى تدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها ، وذلك أمر طبيعى ممكن التحقيق ..

ولكننا نعود فنقول : إنه مهما اختلفت الآراء فى نتائج أعمال المبشرين من حيث الشطر الثانى من خطتهم (وهو الهدم) ، فإن نزع الاعتقادات

الإسلامية ملازم دائماً للمجهودات التى تبذل فى سبيل التربية النصرانية . وإن التقسيم السياسى الذى طرأ على الإسلام سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوروبية ، إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية . وسوف لايمضى غير زمن قصير ، حتى يكون الإسلام فى حكم مدنية محاطة بالأسلاك الأوروبية ..

إن إرساليات التبشير البروتستانية الإنجلوسكسونية تعلق أهمية كبرى على الحال الجديدة التى ظهر بها العالم الإسلامى . وقد رأينا أن نذكر معها إرساليات التبشير الألمانية لما عقد بينهما من الأواصر والروابط فى مؤتمرى سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩١١ ، ولم يبق ارتباطهما مقتصراً ، كسابق عهده ، على تناوب كرسى الأسقفية البروتستانية فى القدس . **وليس من المستغرب ـــ ونحن (الكاثوليك) نبدى إعجابنا بأعمالها ـــ أن نلح بمزاحمتها ومسابقتها ، خصوصاً وأن السيطرة على أهم الأسواق البشرية صارت متوقفة على هذه المزاحمة والمسابقة »**(٧) .

★

ولقد تزعم المبشر الأمريكى صموئيل زويمر الدعوة لعقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير البروتستانتية ، للتفكير فى أفضل الوسائل اللازمة لتنصير المسلمين . وقد استجابت الهيئات التبشيرية لدعوته ، فعقد **مؤتمر القاهرة التبشيرى سنة ١٩٠٦** ، الذى افتتح يوم ٤ أبريل فى منزل عرابى باشا فى باب اللوق ، وبلغ عدد مندوبى إرساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء . وكان عدد مندوبى إرساليات التبشير الأمريكية وحدها ٢١ مندوباً .

وكانت موضوعات المؤتمر هى : ملخص إحصائى عن عدد المسلمين فى العالم ـ الإسلام فى أفريقيا ـ الإسلام فى السلطنة العثمانية ـ الإسلام فى الهند ـ الإسلام فى فارس ـ الإسلام فى الملايو ـ الإسلام فى الصين ـ النشرات التى ينبغى إذاعتها بين المسلمين المتنورين ، والمسلمين العوام ـ

---

(٧) المرجع ١٠ : ص ٨ ـــ ١٠

التنصر ـ الارتداد ـ وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين ـ شئون نسائية إسلامية ـ تربية المبشرين والعلاقات بينهم ـ كيفية التعليم فى الإسلام .

ولقد جمعت هذه الموضوعات فى كتاب كبير ، أصدره القس الأمريكى فلمنج ، تحت عنوان : « **وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين** » ، بعد أن كتب عليه عبارة : « نشرة خاصة ، ليتداول بين فئة خاصة من رجال التبشير . ثم صنف زويمر كتاباً آخر ، جمع فيه بعض التقارير عن التبشير ، وسماه : « **العالم الإسلامى اليوم** » .

وقد استمرت إرساليات التبشير ـ ولاتزال ـ تنخر فى جسم العالم الإسلامى سنوات طوال ، إلى أن دعا زويمر إلى مؤتمر تبشيرى آخر شهير عقد بالقدس عام ١٩٢٨ . وفى هذا المؤتمر جمع زويمر خلاصة أعمال المبشرين فى العالم الإسلامى ؛ فقال مخاطباً الحاضرين : « أيها الأبطال والزملاء الذين كتب لهم **الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام** ... فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ...

لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن أداء ، ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وإن كان يخيل إلى أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه ، **لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية فيه .**

أننى أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين . لقد كانوا أحد ثلاثة :

١ ــ إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الإسلام .

٢ ـ أو رجل مستخف بالأديان لايبغى غير الحصول على قوت يومه ، وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش .

٣ ــ وآخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ، ليست إدخال المسلمين فى المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريماً ،

وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ، ليصبح مخلوقاً لاصلة له بالله وبالتالى فلا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها . وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية .
وهذا ماقمتم به خلال هذا الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنئكم عليه ، وتهنئكم عليه المسيحية والمسيحيون جميعاً .

لقد سيطرنا منذ ثلث القرن التاسع عشر على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية ، ونشرنا فيها مكامن التبشير ، والكنائس ، والجمعيات ، والمدارس المسيحية الكثيرة ، التى تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية .

ولقد أعددتم فى ديار الإسلام شباباً لايعرف الصلة بالله ولايريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية ، وبالتالى جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار ... لايهتم للعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولايصرف همه فى دنياه إلا للشهوات ...

إن مهمتكم قد تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ، ورضى عنكم الاستعمار ... **فاستمروا ، فقد أصبحتم بفضل جهادكم موضع بركات الرب »(٨) !!**

أى رب هذا الذى يتكلم عنه ذلك المخرب — زويمر — وأشياعه من المبشرين ، الذين جعلوا كل همهم قطع صلة المسلمين بالله ، وإفساد أخلاقهم ، وقتل شخصياتهم ، وهو أشد وأنكى من قتل شخوصهم ؟ !!

هل هو الرب الذى تبرأ ممن تحدثوا باسمه وظنوا أنهم فى خدمته ، وصنعوا أعاجيب ، ومع ذلك رفضهم لأن مخربون فاعلو آثام ؟!

---

(٨) المرجع ١٢ : ص ٣٣

إن المسيح برىء من كل هذا التخريب الذى يحدث باسمه ، والذى يذكر له الإنجيل قوله : « **ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات** ... كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . **فحينئذ أصرح لهم إنى لم أعرفكم قط ، اذهبوا عنى يافاعلى الإثم** - متى ٧ : ٢١-٢٣ » .

★★

أما الآن ... فقد استبانت الأهداف التى يعمل من أجلها التبشير فى العالم الإسلامى ، والتى يمكن تجميعها فى عنصرين رئيسيين :

١ - هدم الإسلام فى قلوب المسلمين ، وقطع صلتهم بالله ، وجعلهم مسخاً لاتعرف عوامل الحياة القوية التى لاتقوم إلا على العقيدة القويمة والأخلاق الفاضلة .

٢ - إخضاع العالم الإسلامى لسيطرة الاستعمار والتحكم فى مقدراته وإمكاناته .

ومن أجل تحقيق هذين الهدفين المتكاملين ، يستخدم التبشير وسائل كثيرة ، يطورها بين الحين والحين لتتناسب وروح العصر . وهو ماسوف نعرض له فى الفصل التالى .

★★★

الفصل العاشر

وسائل التبشير فى العالم الاسلامى

يمكن تقسيم الوسائل الكثيرة التى يستخدمها التبشير المسيحى فى غزوه الصامت للعالم الإسلامى إلى مجموعات تخدم ثلاث مجالات رئيسية هى : المؤثرات الفكرية - والعلاج الطبى - والشئون الاجتماعية . وفيما يلى عرض مسلسل لتلك الوسائل المستخدمة فى هذه المجالات الثلاث ، مع تذكرة لابد منها وهو أن مصادر معلوماتنا عن هذه الوسائل - ومن قبلها الأهدف التى ذكرت فى الفصل السابق - إنما هى وثائق التبشير وكتب المبشرين ونشراتهم.

★★

أولا ـــ المؤثرات الفكرية

١ - تشويه صورة الإسلام .

فى يناير ١٩٤٠ نشرت مجلة « العالم الإسلامى » الإنجليزية خلاصة مقال كتبه إدوارد ميدايرل أستاذ التاريخ بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة، لمجلة « الشئون الخارجية » عنوانه : « الإرساليات الأمريكية فى الشرق الأدنى » ، جاء فيه :

« **ماذا يمكن أن يقال الآن عن أعمال التبشير الأمريكى فى الشرق الأدنى بعد قرن كامل من الزمان** ؟ يمكننا أن نحشد إحصاءات هائلة تتعلق بملايين الدولارات وبألوف الأنفس التى ضحيت فى هذا السبيل . ولكن هذه أيضاً ليست هبة كافية توازى النتائج التى تحققت على أيدى الإرساليات الأمريكية والمبشرين الأمريكيين فى هذا المركز المهم من الشرق ..

إن الوقت لم يحن بعد للحكم على قيمة ماحققه المبشرون عموماً . هناك وجه واحد من هذا الموضوع — يجب ألا يهمل بأى حال من الأحوال هو أن الرأى العام الأمريكى — فيما يتعلق بالشرق — قد خلقه المبشرون منذ قرن كامل .

فإذا كان الرأى العام الأمريكى قد طويت عنه بعض المعلومات ، أو غذى بمعلومات خاطئة ، أو دفع إلى موقف عدائى ، فإن المبشرين هم الملومون فى أكثر ذلك . لأن النظر إلى التاريخ على أساس انتشار النصرانية ، قد حمل هؤلاء المبشرين على أن يقدموا لنا فى الولايات المتحدة صورة ناقصة مشوهة ، أو ساخرة فى بعض الأحيان ، للمسلمين والإسلام. وبينما كان المبشرون يرمون فى تبشيرهم إلى التسامح ، كانوا أحياناً ومن غير أن يشعروا يزرعون بذور سوء التفاهم .

وكذلك حينما جاء المبشرون إلى تصوير أحوال الإمبراطورية العثمانية- يوم كانت الإمبراطورية العثمانية — فإنهم عجزوا أن يشيروا إلى أن الآلام التى تحملتها الأقليات المسيحية قد تحملها أيضاً المواطنون الأتراك (المسلمون). فإذا كان الفلاح الأرمنى قد تعرض لغارة كردية ، فكذلك كان شأن الفلاح التركى . وإذا أرهق الفلاح البلغارى بالضرائب ، فكذلك كانت حال الفلاح التركى . وعدا ذلك فإن التركى وحده ظل إلى عام ١٩٠٩ مجبراً على الخدمة العسكرية ، بينما كان المسيحى معفى منها لقاء ضريبة ضئيلة يدفعها .

ولكن بما أن المبشر قد حذف كثيراً من الخصائص والحقائق من الصورة التى رسمها للإمبراطورية العثمانية يومذاك ، فإن الشعب الأمريكى لا يستطيع أن يميز — من النظر إلى هذه الصورة التى وصلت إليه — بين الظالم والمظلوم .

إن الشعب الأمريكى لم يكن عالماً أن المسلمين والنصارى قد تألموا — على السواء — فى الحياة تحت حكم إمبراطورى فاسد .

ولقد لجأ المبشرون – كيما يستطيعوا أن يجمعوا الأموال - إلى استغلال حقائق ناقصة ، وكذلك أخذت تفعل (نفس الشىء) بعض جمعيات الإغاثة منذ زمن قريب . فنتج عن ذلك أن العقل الأمريكى قد حيل بينه وبين الحقيقة الواضحة وهى أن سكان الشرق الأدنى قد كانوا ضحايا كوارث واحدة ، بقطع النظر عن جنسياتهم وأديانهم » (١) .

★

٢ – تحريف فهم القرآن :

يقول جون تاكلى : « يجب أن نستخدم كتابهم (القرآن) وهو أمضى سلاح فى الإسلام ، ضد الإسلام نفسه لنقضى عليه تماماً . **يجب أن نُرى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد ليس صحيحاً** » (٢) .

ويستخدم المبشرون تكريم القرآن الكريم للمسيح وأمه فى إدخال المفاهيم المسيحية فى عقول المسلمين . **فإذا ما اصطدم المسلم بتعبير مسيحى مثل قولهم « ابن الله » فإن تطور وسائل التبشير يطلب من المبشر أن يتناول ذلك التعبير تأويلا روحياً « حتى لا ينفر منه أولئك الذين لا يؤمنون هذا الإيمان ، فيستطيع أن يقاربهم حينئذ بما يرون أن يدعوهم إليه »** . فالمبشرون – كما يقول تشارلز واطسون – « يجب أن يكونوا برءاء كالحمام ، ولكن هذا لا يمنعهم أيضاً من أن يكونوا حكماء كالحيات »(٣) .

★

---

(١) المرجع ٩ : ص ٢٣ – ٢٤

(٢) المرجع ٩ : ص ٤٠

(٣) المرجع ٩ : ص ٥٢

٣ — التعليم الإرسالى أقوى الوسائل :

قال المبشر هنرى جسب : « إن **التعليم فى مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط ، هذه الغاية هى قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية .** ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية فى نفسه ، وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء . فإننا لانتردد حينئذ فى أن نقول إن رسالة مثل هذه قدخرجت عن المدى التبشيرى المسيحى إلى مدى علمانى محض ، إلى مدى علمانى دنيوى . مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هايدلبرج وكمبردج وهارفارد وشفيلد ،لاالجمعيات التبشيرية التى تسعى إلى أهداف روحية»(٤).

وقال بنروز رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت (٤٨ — ١٩٥٤) : **« لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التى استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها فى سعيهم لتنصير سورية ولبنان »(٥) .**

ويهتم المبشرون بالمدارس ذات القسم الداخلى وخاصة للبنات ، كما يهتمون بإنشاء دور لإيواء الطالبات المغتربات ، حيث يؤدى ذلك إلى انتزاعهن من بيئتهن المسلمة ووقوعهن تحت سيطرة التبشير مباشرة .

وقد سبق أن قالت المبشرة آنا ميلجان : « يوجد فى صفوف كلية البنات بالقاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات ، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى ، وليس ثمة طريق إلى دحض الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة »(٦) .

---

(٤) المرجع ٩ : ص ٦٦
(٥) المرجع ٩ : ص ٤٦
(٦) المرجع ٩ : ص ٨٧

ويركز المبشرون على الطلبة المبعوثين فى البلاد المسيحية الغربية ، فهم يرون أن أولئك المبعوثين « يمثلون طائفة منغلقة ومعزولة ، لكنها فى النهاية سوف تتشتت وتؤثر تقريباً فى كل المهن .. فإذا أمكن الوصول إليهم فإنهم يستطيعون حمل الإنجيل إلى أعمق أعماق حياة بلادهم .. **إن الاجتماعات الطلابية التى ينظمها الطلبة ذاتياً فى مبانى الجامعة ، والتى ينصح لها أو يساعدها ، بطرق مختلفة ، هيئة متخصصة طول الوقت ، لتبدو أكثر فاعلية من إرسال القسس إليهم ، أو تهيئة أماكن لضيافتهم بعيداً عن مبانى الجامعة .**

إن مبانى الجامعة هى موطن الاقتراب الطبيعى للتجمعات البشرية ، حيث يتبنى الاتحاد العالمى للطلبة المسيحيين (S.C.M.) ، والزمالة الدولية للطلبة الإنجيلكانيين (I.V.F.) هذه الفكرة .

إن واحداً من أهم القطاعات الاستراتيجية للطلاب هم أولئك الذين يقفون على عتباتنا ، ذلك أن أعداداً كبيرة من كل بلاد العالم تدرس الآن فى أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا . وإن الانطباع الذى يأخذه معهم هؤلاء الرجال والنساء إلى أوطانهم ـ وكثيرون منهم سوف يتولون وظائف هامة ـ ليتوقف إلى حد كبير على الترحيب والحب والصداقة التى يظهرها المسيحيون الذين يقابلونهم .. **ويجب أن نتذكر جيداً أن الطالب الذى يعود ليعمل كمبشر بين شعبه ، من المحتمل أن يكون أفضل بكثير من أى أجنبى آخر»(٧) .**

*

٤ ـ الصحافة والطبع والنشر :

يدرك المبشرون خطورة الإعلام وآثاره القوية فى محاربة الأفكار والمعتقدات ، والترويج لأخرى يراد استبدالها بغيرها ، ولذلك ركزوا على الصحافة واهتموا بأعمال الطبع والنشر . وقد اعترفوا بأنهم « **استغلوا**

---

(٧) المرجع ٣٠ : ص ١٥٩ ـ ١٦٠

الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية ، أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر .

لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، إما مأجورة في أكثر الأحيان ، أو بلا أجرة في أحوال نادرة . على أن المبشرين أنشأوا في العالم صحفاً يومية وأسبوعية خاصة بهم ، فهنالك « بشائر السلام » و « الشرق والغرب » في مصر . .

ولقد اعتمد المبشرون مدينتين كبيرتين لنشر كتبهم وصحفهم : القاهرة وبيروت .

أما القاهرة فاتخذها البروتستانت مركزاً لتوزيع المنشورات في القطر المصري وفي جميع العالم الإسلامي ، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت ، تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله . أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧١ » (٨)

★

٥ — مقاومة الأزهر وإضعاف تأثيره :

« **يرى المبشرون أن يتوجهوا بالكتب إلى طبقتين من المسلمين على الأخص : إلى طلبة الأزهر في مصر ، على اعتبار أن الأزهر معقل الإسلام ، وأن الصابئ الأزهري — إذا اتفق ذلك — يكون عوناً للمبشرين على زيادة التغلغل في العالم الإسلامي** . وعلى كل فالتبشير بين الأزهريين لا يزال تجربة فقط ، وإن كان المبشرون ينتظرون أن يتسع وأن يقوم في الدرجة الأولى على الجدال والوعظ .

أما الطبقة الثانية التي يحب المبشرون أن يصلوا إليها بكتبهم الدينية فهي طبقة النساء » (٩) .

---

(٨) المرجع ٩ : ص ٢١٣ — ٢١٤

(٩) المرجع ٩ : ص ٢١٢

وقد تحدث الفصل الرابع من كتاب « وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين » الذى نشره المبشر الأمريكى فلمنج عن الأزهر ودوره ، وما اقترحه المبشرون من ضرورة « إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها ، وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها ، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة . وتتكفل هذه المدرسة الجامعة باتقان تعليم اللغة العربية . ثم قال : إن فى الإمكان مباشرة هذا العمل فى دائرة صغيرة وهى أن تختص أولا بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم ليتمكن هؤلاء من القيام بخدم جليلة (!!) فى تنصير المسلمين الآخرين .

وختم فلمنج كلامه قائلا : ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى اختيار مصر مركز عمل لنا لنسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحى لتنصير الممالك الإسلامية »(١٠) .

وقال جاردنر ــ السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحيين ــ بخصوص الأعمال التبشيرية فى أفريقيا الجنوبية : « إن من سداد الرأى منع جامعة الأزهر أن تنشر الطلبة المتخرجين فيها فى جنوب أفريقيا ، اتباعاً لقرار مؤتمر التبشير العام ، لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع فى كل أفريقيا» (١١) .

★

٦ ــ إذاعة الدعوات المشبوهة :

هناك كلمات تأتى بحكم أصلها اللغوى بين ألفاظ الخير ، لكن الإنسان ــ بظلمه المعهود ــ أساء استخدامها وطبع عليها من سلوكه ما جعل مدلولاتها فى واقع الحياة تخالف تماماً ما كان من أصولها اللغوية ، فانتقلت بذلك من

---

(١٠) المرجع ١٠ : ص ٢٤

(١١) المرجع ١٠ : ص ١٠٥

ألفاظ الخير إلى ألفاظ الشر . ومن أمثلة ذلك كلمة « الاستعمار » التى تعنى لغوياً تحويل الخرب إلى عامر ، لكن السلوك العدوانى لكثير من الدول جعل المفهوم الواقعى لتلك الكلمة يعنى : السطو على أراضى الغير بالقوة ونهبها واستعباد شعبها ، وما إلى ذلك من مظالم ومفاسد . وهكذا فعل التبشير ...

فهو كثيراً ما يتحدث عن التسامح وعدم التعصب والمؤاخاة ؛ لكن سلوكه والخبرات المكتسبة من واقع التعامل معه ، بينت أن تلك الألفاظ المحببة إلى النفس قد حولها التبشير إلى كأس العسل الذى دس فيه قطرات السم . ولا يزال التبشير يذيع دعواته المشبوهة بين المسلمين ، ومنها :

الدعوة إلى التسامح المشبوه :

يقول المبشر رايد : « إن المشكلة فى العمل بين المسلمين إنما هى فى إيجاد الطريقة التى تساعد فعلا على الاقتراب منهم . **ثم إن ذلك الحاجز العظيم الذى يدعى عادة بالتعصب (! !) وهو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره ، قد بناه الإسلام حول أتباعه ليحميهم فى داخله ، وليترك المبشر خارجه . إنه جدار طالما أثبت ، مع الأسف ، أن تسلقه أو اختراقه مستحيل .** إن رجالا من المبشرين قد عملوا سنين متوالية وفى مدينة واحدة ثم لم يستطيعوا أن يكتسبوا صديقاً أو صديقين » (١٢) .

وفى بعض المناطق من بلاد العرب استطاع المبشرون كسر ذلك الحاجز الذى يدعونه التعصب ، فكان ذلك موضع فرح وسرور جعلهم يقولون « إننا اقتطفنا ثمرات أعمالنا .. **فالأوهام تبددت وحل محلها التسامح ..** وفى كل سنة تباع ألوف من نسخ الكتاب المقدس وكميات وافرة من الكتب والمجلات » (١٣) .

---

(١٢) المرجع ٩ : ص ٤٧

(١٣) المرجع ١٠ : ص ٣٩

وفى مؤتمر ممثلى الأديان الذى عقد بجاكرتا عام ١٩٦٧ قال الدكتور محمد رشيد وزير الشئون الدينية — السابق — بأندونيسيا :

« لما بدأت دعوة الإصلاح الدينى فى مطلع القرن الخامس عشر الميلادى صحبتها اضطرابات دينية عنيفة واندلعت بسببها فى أوروبا عشرات السنين ، حتى عقدت معاهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨ . هنالك بدأ الناس يدعون إلى مبدأ التسامح ، بسبب ما عانوه من فظائع التعصب التى عاشوها ، وحتى لا يستمر النصارى يقاتل بعضهم البعض .

ثم تطور الأمر عندما بدأت هجرة الأوروبيين تتدفق على القارة الأمريكية سعياً وراء حياة أكثر رخاء وأكثر حرية . ووجدوا أنفسهم ينتمون إلى شيع وأحزاب ومذاهب متفرقة فى العقيدة ، مما يخشى أن تكون سبباً فى قيام اضطرابات أخرى ، فنادوا بمبدأ التسامح .

أما المجتمعات الإسلامية فلديها التعاليم الصريحة التى شرعت منذ أربعة عشر قرناً والتى تدعو المسلمين صراحة إلى التسامح واحترام الأديان الأخرى وخاصة الأديان السماوية منها وهى اليهودية والنصرانية . إن ممارسة الشعائر الدينية بالنسبة للطوائف غير الإسلامية مكفولة على الوجه الأكمل فى المجتمعات الإسلامية ، ضمن حدود التعايش المشترك ، دون أن تسبب إثارة أو استفزاز المجتمع الإسلامى . فقد نصت سورة العنكبوت — بالآية ٤٦ — على قوله تعالى: **« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم »** .

أما التسامح الذى ينادى به المسيحيون الآن فهو دعوة المسلمين إلى التزام السكوت وهم يرون إخوانهم المسلمين مستهدفين لمحاولات التنصير ، وما يستخدم فى سبيله من مختلف وسائل الإغراء المشروعة وغير المشروعة . وهذا أمر لا يمكن السكوت عليه .

ولقد أفضيت بأنباء هذه المحاولات المبذولة لتنصير المسلمين إلى أستاذ جامعى أمريكى زار أندونيسيا ، فأشار على قائلا : **« اعرض هذه المخازى على العالم ، لأن هذه المحاولات مذمومة الآن »** .

وهناك شعار آخر ينادون به وهو شعار الحقوق الأساسية للإنسان ، هذا الشعار مبهم وغامض أيضاً ، وقد نودي به أول مانودي عندما كانت الكنيسة تحتكر لنفسها كافة الحقوق وتفرض على أتباعها وصاية مجحفة . كما يهدفون أيضاً من وراء شعار الحقوق الأساسية للإنسان إلى منع تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين » (١٤)

وقال لقمان هارون عضو البرلمان الأندونيسي في جلسة ٢١ يوليه ١٩٦٧ كمذكرة تفسيرية للاستجواب الذي تقدم به مع ٢٥ عضواً بمناسبة الغارة التبشيرية التي تتعرض لها أندونيسيا وما جاء من إحصائيات وبيانات مذهلة نشرتها مجلة «كرسيتيان ساينس مونيتور » في ١٥ أبريل ١٩٦٧ ، ومجلة « تايم » في ١٦ يونيه ١٩٦٧ :

« إن التسامح الديني — يا سيادة الرئيس — لابد أن يكون من الطرفين معاً ، لا أن يقتصر التسامح على المسلمين وحدهم حتى عندما يتعرض المسلمون وأبناؤهم للتنصير .

وقد برهن المسلمون الأندونيسيون أنفسهم على تسامحهم تجاه الأديان الأخرى .

ويمكن القول إن ازدهار الكاثوليكية والبروتستانتية مدين بتسامح المسلمين . ولكن الظاهر في هذه الأيام أن مواطنينا النصارى لا يعلمون أن يداً واحدة لا تصفق — كما يقول المثل — ومن الأدلة على ذلك ما كتبه الدكتور سيجابات (وهو مبشر نصراني) مما يكشف بوضوح أنه لا يوافق على التسامح النصراني تجاه المسلمين في أندونيسيا ، فهو يرى أن المسلمين لابد أن يكونوا هدفاً لإرساليات التبشير النصرانية » (١٥) .

★

---

(١٤) المرجع ١١ : ص ٤٩ — ٥٠

(١٥) المرجع ١١ : ص ٧٤ — ٧٥

الدعوة إلى الحوار المشبوه :

إن الحوار وسيلة أساسية من وسائل تبادل الأفكار بين البشر منذ ظهور الإنسان على هذه الأرض ، وهو وسيلة محببة إلى النفس وعلامة من علامات الجنوح إلى العقل والحكمة والبعد عن طباع البداوة والغلظة . لكن التبشير — كعادته — أبى إلا التسلل إلى هذه الوسيلة الهامة فى العلاقات الإنسانية ، وخطط بدهاء الحيات — كما يقول الإنجيل (١٦) — ليستخدم الحوار وسيلة للتبشير بالمسيحية ومفاهيمها بين الجماعات الإنسانية ، وخاصة بين المسلمين .

ولقد تضمنت مجموعة الوثائق التى صدرت عن المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان (٦٢ — ١٩٦٥) تفصيلا لهذا الحوار ، جاء فيها : « يجب إعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار . . رجال دين يعرفون كيف يصغون إلى الآخرين . . **رجال دين فى طبيعتهم أن يوقظوا الاهتمام فى النفوس وأن يكونوا معلمين للإيمان (المسيحى) . . رجال دين يستطيعون أن يتيحوا الفرص للعمل الإرسالى الرسولى (التبشيرى) وأن يبعثوا فيه الحياة بين** غير رجال الدين بروح كاثوليكية فعلا ومن وجهة النظر العالمية . .

وفوق ذلك يجب أن يعدوا (القائمين بالحوار مع غير النصارى) بطريقة موافقة لتفهيمهم الوسائل الفنية التى لابد منها حتى يستطيعوا أن يتسللوا بنشاط فى الجماعات التى تتألف منها الجماعة الإنسانية وأن يبدأوا الحوار مع الآخرين . .

ثم إن الكنيسة تستطيع أن تقوم بهذا الحوار من غير أن تهجر طبيعتها الخاصة بالوحى الذى لها ، وهى التى بعثت « مبشرة » إلى جميع الناس . .

وفيما يتعلق بالتبشير للتنصير . . فيجب إعداد غير رجال الدين إعداداً خاصاً للقيام بالحوار مع الآخرين ، من المؤمنين (الكاثوليك) ومن غير المؤمنين **حتى يبينوا للجميع رسالة المسيح » (١٧)**

---

(١٦) يقول الإنجيل على لسان المسيح : « كونوا حكماء كالحيات ، وبسطاء كالحمام — متى ١٠ : ١٦ »

(١٧) المرجع ٩ : ص ٢٥٨ — ٢٥٩

إن ذلك هو الغاية من الحوار الذى تدعو إليه الكنيسة : تحين الفرص للعمل التبشيرى ، والتسلل بنشاط فى الجماعات الإنسانية ...

إن كلمات مثل : « تحين الفرص » و « التسلل » ، إنما تستخدم عند الحديث عن عمليات السطو والسرقة والاحتيال ، وما إلى ذلك . . . ويا له من حوار . . .

★

٧ ــ **الدعوة إلى الشعوبية والقومية :**

من أجل تخريب العالم الإسلامى وتقطيع أوصاله ، فقد لفق المبشرون وأشياعهم لكل بلد إسلامى قومية محلية . فقد عملوا لبعث الفرعونية فى مصر ، والفينيقية فى ساحل الشام ، والآشورية فى العراق ، والبربرية فى المغرب . **لقد أراد المبشر جسب « أن تولد فينيقية جديدة تكون فيها النصرانية أوسع انتشاراً . ولقد أكد على أن المدارس التبشيرية والصحافة شبه التبشيرية والكنيسة ستتضافر كلها على تحقيق هذا الهدف » (١٨) .**

ولما أخفقت هذه الدعوات الإقليمية الضيقة ، كان البديل هو التمسح بشعار العروبة ورفع لوائها ، باعتبارها إنسلاخاً عن الإسلام ، رغم ما فى ذلك من مجافاة للحقائق المعروفة . فالإسلام هو الأعم والأشمل ، وهو القوة الكبرى التى تظل العروبة وتستطيع أن تحميها وتدرأ عنها الأخطار .

« لقد قال جى موليه ــ رئيس وزراء فرنسا السابق ــ : إن الحركة الإسلامية التى تتسع فى أفريقيا هى التى تهدد الإمبراطورية الفرنسية فى المغرب.

وقال الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانسيس جانسون : إن الحرب الحاضرة ــ آنذاك ــ فى الجزائر ليست حرباً دينية أو جنسية أو حضارية ، ولكنها حرب مجموع مظلوم يريد أن يتحرر من ربقة مجموع ظالم ،

---

(١٨) المرجع ٩ : ص ١٧٤

إلا أن الإسلام عنصر فعال فى دفع الجزائريين إلى طلب هذا التحرر . لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الإسلام ، من أجل ذلك أدركوا جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام حتى يقدروا على التحرر . والواقع أن الاحتلال الفرنسى (للجزائر) كان منذ البدء ، يحمل هذا المعنى من الحرب الصليبية » (١٩) .

لقد انتصر شعب الجزائر لأنه جاهد باسم الإسلام ، ومن قبل انتصرت شعوب باكستان وأندونيسيا لأن الإسلام كان القوة المحركة لجهادها . لكن شعوباً إسلامية أخرى انتكست فى نضالها ضد الاستعمار لأنها أغفلت الإسلام وتمسحت بأشياء أخرى ، هيهات أن تفعل من أجلها شيئاً ذا قيمة ، فمثلها **«كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » (٢٠) .**

★

٨ ــ تمزيق الوحدة الإسلامية :

إن المبشرين حرب على كل تجمع إسلامى ، صغر أو كبر ، ولقد كانت لهم اليد النشطة فى العمل على انهيار الخلافة العثمانية ، بعد أن عرفوا كيف يستفيدون من حالة الفساد التى تردى إليها الحكم العثمانى . فقد كانت تركيا ترتاب فى حركات التبشير فى إمبراطوريتها ومن ثم وقفت من المبشرين موقفاً حازماً ، فأصبح التبشير بين المسلمين شبه مستحيل . وبعد أن فتحت الجمعية التبشيرية بضع مدارس فى لبنان لأطفال الدروز حوالى عام ١٨٧٥ اضطرت للتخلى عنها أمام حزم الحكومة العثمانية .

لقد صمم المبشرون على القضاء على الخلافة العثمانية ، فخططوا لذلك مبكراً ، وتجمعت كل القوى المعادية للإسلام لتعمل معاً من أجل تحقيق ذلك

---

(١٩) المرجع ٩ : ص ١٧٨

(٢٠) سورة الرعد : ١٤

الهدف الذى تمكنت منه فعلا . ففى عام ١٩٠٠ قال رئيس إرساليات التبشير الألمانية فى تقرير له عن أعمالها : « إن نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج فى البلاد النائية ولا فى مستعمراتنا فى آسيا وأفريقيا ، بل ستكون فى المراكز التى يستمد الإسلام منها قوته وينتشر ، سواء كان فى أفريقيا أم فى آسيا . وبما أن كل الشعوب الإسلامية تولى وجهها نحو الآستانة عاصمة الخلافة ، فإن كل المجهودات التى نبذلها لا تأتى بفائدة إذا لم نتوصل إلى قضاء لبانتنا فيها . ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية إرساليات التبشير الألمانية هو بذل مجهوداتها نحو هذه العاصمة وهى قلب العالم الإسلامى »(٢١) .

ولقد كان إعلان الحرية العثمانية عام ١٩٠٨ ، وإعلان الدستور فى الإمبراطورية حدثاً كبيراً ، رأى فيه المبشرون فرصتهم السانحة لنجاح حركة التبشير . قال جسب : « إن القضية التى تواجهنا بطبيعة الحال هى : ماذا يكون من أمر هذا الانقلاب العظيم على دين الإمبراطورية ؟ .. إن هذا سيساعد على طبع الكتب البروتستانتية ، وسيصبح المرء حراً فى أن يغير دينه »(٢٢) .

★

٩ — إثارة الفتن الداخلية :

يقول الكاتب المسيحى أنيس صايغ فى كتابه « لبنان الطائفى » :

«كانت فرنسا تعتبر نفسها حامية المسيحيين فى الشرق وخاصة الموارنة فى لبنان . . ودعمت فرنسا هذه العلاقة السياسية المستترة بثوب دينى يتعهد العلاقات التجارية والإرساليات التبشيرية بين لبنان وفرنسا . فقد ضاعفت فرنسا عنايتها بأمور التجارة وأرسلت القناصل وأسست المكاتب والمراكز الثابتة لتسهيل أمورها . وكانت فرنسا منذ عام ١٥٢٠ قد حاولت ضم لبنان إليها بالقوة للحصول على ثروته وكنوزه ، حينما أرسلت أسطولا يتألف من

---

(٢١) المرجع : ١٠ص ١٠٠

(٢٢) المرجع ٩ : ص٥٢

خمس عشرة سفينة إلى سواحل لبنان ، إلا أن مسلمي ودروز السواحل هاجموا الجنود الفرنسيين وطردوهم . .

أما التبشير فكان الميدان الأوسع لإنماء العلاقات الطائفية . . وبدأت الإرساليات تفد إلى لبنان منذ القرن الثالث عشر . . ورعى ملك فرنسا بنفسه شئون التبشير في ذلك القرن واهتم ببناء الكنائس . وبدأت فرنسا تستقبل رجال الدين اللبنانيين وتعلمهم في مدارسها الدينية على حسابها . وواصلت فرنسا رعايتها للإرساليات في الشرق بالرغم من اضطهادها لها في فرنسا نفسها .

وكان اهتمام فرنسا وتدخلها يزداد كلما لمست ازدياداً في اهتمام بريطانيا في الشرق . فقد كان لبريطانيا هي الأخرى مطامعها ومصالحها في هذا الجزء من العالم . ولما لم يكن لبريطانيا طائفة تشترك معها في المذهب (آنذاك) اضطرت بادىء الأمر إلى الاعتماد على التجارة والتدخلات الرسمية والخفية في بلاط الخليفة العثماني . . ثم ازداد الاهتمام الإنجليزي بسورية في القرن الثامن عشر ، عندما أصبحت الهند وشرقي آسيا محورين رئيسيين للثروة البريطانية الاستعمارية . . وكانت بريطانيا قد سبقت هذه الدول في إرسال دعاتها إلى لبنان لتحريض الشعب ضد إبراهيم باشا والأمير بشير فقدم إلى غزير ، في كسروان ، منذ ١٨٣٩ ، كاهن أيرلندي الأصل اسمه وود ، وادعى أنه جاء ليتعلم العربية هناك . لكنه كان إذ يتعلم العربية يلقي بذور الشقاق بين الأهالي . ووعد وود البطريرك حبيش بمساعدة بريطانيا لإعلان لبنان إمارة مارونية ، مقابل مساعدة الموارنة لها . وفي الوقت نفسه أكد وود للدروز صداقة بريطانيا لهم وعطفها عليهم . ومثل وود سعى كل من تشرشل واونفرا والليدي استنهوب وغيرهم من البريطانيين الذين أقاموا في لبنان ، تحت ستار توزيع الهدايا ومصادقة الشعب ، إلى إثارة العصبية لفتح المجال أمام بريطانيا لكي تتدخل . . وكذلك انتشر عمال فرنسا في البلاد وتجولوا بين القرى المارونية ، طالبين إلى السكان

رفع الأعلام الفرنسية لنيل حظوة الجيوش الحليفة (التى جاءت لمحاربة إبراهيم باشا) »(٢٣) .

إن سياسة الاستعمار تقوم دائماً على قاعدة: «فرق..تسد ». وأيسر وسيلة للفرقة هى إثارة الفتن الدينية عن طريق عملائه من المبشرين والجواسيس. وما أن جاء عام ١٨٦٠ حتى نشبت بين الموارنة الذين تظلهم فرنسا ، والدروز الذين تساعدهم بريطانيا ، فتنة طائفية غسلت لبنان بالدماء .

وقد طرب المبشرون لهذه الفتنة ، إذ يقول المبشر الأمريكى هنرى جسب : « **لقد اضطربت لها أوروبا وأمريكا ، وأصبح لبنانها معروفاً فى العالم الغربى ، فأمكن أن تجمع الإعانات باسمه ، والتبشير فيه** »(٢٤) .

★

١٠ – بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها :

يحرص التبشير على التأثير على عقلية شعوب العالم الثالث ، والشرقيين بوجه خاص ، الذين ينظر إليهم المبشرون نظرة تكبر واستعلاء . ومن وسائلهم لتحقيق هذا الهدف حرصهم الدائم على أن تكون « **كنائس الإرساليات ومدارسها وأنديتها شاهقة غريبة المنظر ، حتى تؤثر فى عقول الزائرين وفى عواطفهم وخيالاتهم .. فإن ذلك يقرب غير النصارى إلى النصرانية** »(٢٥) .

وفى أندونيسيا قامت « كنائس ومعاهد وجامعات ودور أيتام وملاجىء ومستشفيات ومستوصفات (كلها مسيحية) فى مختلف أنحاء العاصمة ومدن الأقاليم وعواصمها ، حتى فى المناطق التى عرفت بنقائها الإسلامى من أتباع

---

(٢٣) المرجع ٩ : ص ١٥٣ – ١٥٤
(٢٤) المرجع ٩ : ص ١٤٢
(٢٥) المرجع ٩ : ص ٢٠٨

الأديان الأخرى . ومباني هذه المؤسسات تعتبر نماذج فخمة لفن المعمار الحديث ، ومواقعها في المدن والأقاليم توحي وكأن أندونيسيا بلد نصراني ..

وفي بعض الأحيان يتم بناء كنائس حتى في الأماكن التي لا يعيش فيها أي مسيحي ، ويتم استيراد المسيحيين إليها من الخارج عند إقامة القداس الديني .. وهم يشترون الأرض بأسعار مرتفعة (كي يجبروا المسلم على بيعها) ففي قطعة أرض لها موقع استراتيجي لا تزيد قيمتها عن مائتين وخمسين ألف روبية ، دفع فيها الكاثوليك ٢ مليون روبية وبنوا عليها كنيسة »(٢٦) .

★ ★

ثانياً — العلاج الطبي

إن العلاج الطبي يعتبر واحداً من أخطر وسائل التبشير ، ونظراً لأهميته وخطورته فقد أفردت له موضوعاً مستقلا ، حتى يمكن معرفة نظرة المبشرين إليه ، وأساليبهم في استخدامه .

★

الطب وخطورته في التبشير :

يقول المبشر موريسون : « **نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجيين في المستشفيات : أن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية** »(١) .

وتقول المبشرة إيرا هاريس وهي تنصح الطبيب الذاهب في مهمة تبشيرية : « **يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالإنجيل** . إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق .

---

(٢٦) المرجع ١١ : ص ٢٨

(١) المرجع ٩ : ص ٥٩

ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن واجبك التطبيب فقط ، لا التبشير . فلا تسمع منه »(٢) .

وتحرص مؤتمرات التبشير على أن تكون توصياتها وقراراتها مؤكدة لخطورة استخدام العلاج الطبي في التبشير ، فتقول : « يجب الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمسلمين الآخرين .

ويجب على طبيب إرساليات التبشير ألا ينسى ولو للحظة واحدة ، أنه مبشر قبل كل شيء ، ثم هو طبيب بعد ذلك .

إن المرضى يشدون الرحال من أصقاع بعيدة إلى مستشفيات المبشرين .. وعندما يرحل الأطباء جائبين البلاد ، ينثرون في النفوس بذوراً يمكن للمبشرين وبائعي الكتب أن يحصدوها بعد ذلك وينمو أغراسها .

ويتقرب المبشرون إلى المسلمين بالمدارس والإرساليات الطبية ، وهذه الإرساليات الطبية مثل الشوك في أجسام زعماء المسلمين الذين يسلون أنفسهم قائلين إن الله أرسل هؤلاء الأطباء ليخدمونا !

وإن النساء المبشرات اللاتي يتعاطين الطب يلاقين مزيد الحفاوة ، لأن المسلمين لا يهتمون بأعمال النساء المبشرات ، ولا يضمرون لهن سوءاً »(٣).

من أجل ذلك لا يرحب المبشرون بإنشاء مستشفيات وطنية في مناطق عملهم ، لأن ذلك يمنعهم من اقتناص الصيد الذي جاءوا من أجله .

يقول المبشر الطبيب بول هاريسون : « **إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى . . لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى »(٤) .**

وهكذا تنكشف أمام الناس الفضائح التي انطوت عليها نفوس المبشرين .

★

(٢) المرجع ٩ : ص ٦٢

(٣) المرجع ١٠ : ص٢٥ ، ٤٢ ، ٧٦.

(٤) المرجع ٩ : ص ٥٩

أساليب التبشير الطبي :

فى مستشفيات المدن : « يذكر الإنجيل للمرضى بأسلوب بسيط لا يدعو إلى التطرف فى المناقشة »(٥) .

وفى الأدغال والفيافى « يعلنون عن مجىء الطبيب قبل أن يصل بوقت طويل . فيأتى الناس من كل صوب يحملون مرضاهم ، وينتظر الجميع قدوم الطبيب . فى هذه الأثناء يقوم فيهم المبشرون » .

وفى جميع الأحوال فإنهم « لا يعالجون المريض إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذى يشفيه هو المسيح — أو قبل أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم »(٦) .

وتذهب الطبيبات المبشرات إلى البيوت والقرى للاتصال مباشرة بالنساء ، واستخدام نفوذ المرأة فى الوصول إلى أهدافهم ، حيث إن المريض فى تلك الحالة يكون وسيلة لجمع عدد كبير من المسلمين حوله .

★

وهكذا حـوّل المبشرون الطب — وهو واحدة من أكرم المهن الإنسانية — إلى وسيلة خداع ، وأداة رق ، لا تأسر البدن وإنما تسترق الروح ، فتفتن فقراء المسلمين فى دينهم ، بعد أن وقعوا فريسة فى أيدى « ذئاب فى جلود نعاج » .

★★

---

(٥) المرجع ١٠ : ص ٢٦

(٦) المرجع ٩ : ص ٦٢ ، ٦٤

ثالثاً — الشئون الاجتماعية

(ا) الأعمال الاجتماعية ستار للتبشير :

يقول المبشر صموئيل زويمر : «إن أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مائة سنة ، كانت لاهوتية دينية محضة ، **أما الآن فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية** .

وكان ينظر فى سابق الأيام إلى المبشرين نظر قوم يشنون حرباً صليبية ترمى إلى التنصير فقط ؛ **فتحولت الأفكار وصارت الأعمال التبشيرية تشف عن فكرة الإصلاح الاجتماعى وعن رفع شأن الشعوب غير المسيحية ..**

وإن الخطة الفاسدة الخطرة التى تقضى ببث مبادىء المدنية مباشرة ثم نشر المسيحية ثانياً ، عقيمة لا فائدة ترجى منها : لأن إدخال الحضارة والمدنية قبل إدخال المسيحية، لا تحمد مغبته ، بل تنجم عنه مساوىء كثيرة تفوق المساوىء التى كانت قبلا »(١) .

ويقول المبشرون فى مؤتمراتهم التى تعقد من أجل مراجعة موقف التبشير والعمل من أجل إنجاحه بين المسلمين : «إن المسلمين يدعون أن فى الإسلام ما يلبى كل حاجة إجتماعية فى البشر ، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينياً بالأسلحة الروحية . **فالنشاط الاجتماعى يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه** . فلنبدأ بالصلات اليومية ، تلك التى تتصل بالطفل وبالمرأة ، ثم نتوسع فى تلك الصلات حتى تبلغ المبادىء الواسعة التى أقرتها عصبة الأمم . فأمام الكنيسة اليوم مناسبات ممتازة تتيح (للمبشر المسيحى) أن يتصل برجال ونساء فى البيئة (الإسلامية) الراقية لم يكن بإمكانه من قبل أن يتصل بهم . .

من أجل ذلك نحن ننصح بالسير فى الأعمال الاجتماعية على الأسس التالية :

---

(١) المرجع ١٠ : ص ١٠٣ — ١٠٤

إيجاد بيوت للرجال والنساء وخصوصاً الطلبة منهم ومنهن — إيجاد أندية الاعتناء بالتعليم الرياضى وأعمال الترفية — حشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال . .

وعلى المبشرين أن يتعرفوا على أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية حولهم ، ثم يسعوا إلى الإصلاح سعياً إلى التأثير على الرأى العام .

ومما يجب أن يهتم به المبشرون : إصلاح الأحداث — الحيلولة دون الزواج المبكر — الحيلولة دون تشغيل الأطفال — محاولة إصلاح الأحوال العامة فيما يتعلق بساعات العمل والأجور والأمور الصحية — الرفق بالحيوان »(٢) .

وقد اضطرت حركة مقاومة التبشير التى انتهجها الشبان المتعلمون المسلمون فى مصر — فى أوائل هذا القرن — إلى أن يعمل المبشرون من أجل « إعادة ثقة الشباب المسلم فيهم ، فصارهؤلاء المبشرون يلقون محاضرات فى موضوعات اجتماعية وخلقية وتاريخية ، لا يستطردون فيها إلى مباحث الدين ، رغبة فى جلب قلوب المسلمين إليهم . وأنشأوا بعد ذلك فى القاهرة مجلة أسبوعية اسمها : الشرق والغرب ، افتتحوا فيها باباً غير دينى ، يبحثون فيه الشئون الاجتماعية والتاريخية ، وأسسوا مكتبة لبيع الكتب بأثمان قليلة . والغرض من ذلك استجلاب الزبائن ومحادثتهم أثناء البيع (وبعد ثلاث سنوات) تسنى للمبشرين أن يتوصلوا إلى النتائج الآتية :

الأولى : أنهم عرفوا أحوال البلاد وأفكار المسلمين وشعورهم وعواطفهم وميولهم .

الثانية : أنهم حصلوا على ثقة عدد من المسلمين بهم .

---

(٢) المرجع ٩ : ص ١٩١ — ١٩٢

الثالثة : أن المبشرين تحققوا أنهم بتظاهرهم فى التودد إلى المسلمين وميلهم إلى ما تطمح إليه نفوسهم من الاستقلال السياسى والاجتماعى والنشأة القومية يمكنهم أن يدخلوا إليهم»(٣) .

وتحت ستار العمل الاجتماعى ، يقوم المبشرون بمشاريع تحمل صفة تنمية البيئة صناعياً وإنعاش القرى اجتماعياً ، وفيها « يجرى التبشير فى المزارع ، حيث يعيش المبشرون مع الفلاحين عيشة فلاحة وزراعة من غير أن يتظاهروا بأنهم مبشرون..كذلك يخالط المبشرون العمال ويعايشوهم حتى يسيطروا على الأوساط الصناعية بروح نصرانية . و (يحرص) المبشرون على أن يؤثروا فى العمال غير النصارى بسلوكهم الشخصى فيمثلوا لهم بأقوالهم وأعمالهم أن التقدم مسيحى ، وأن الاختراعات والاكتشافات مسيحية ، وأن الطرق الحديثة فى الصناعة مسيحية أيضاً »(٤) .

ولما كانت أندونيسيا تقوم بتنفيذ مشروع « التهجير الداخلى » الذى يعتبر واحداً من برامج الإنماء القومى ، والذى يعنى نقل السكان من جاوا المكتظة بالسكان إلى مناطق أخرى خارجها تتميز بقلة الأيدى العاملة ووفرة الخصوبة — فقد استفادت إرساليات التبشير من المشاركة فى هذا المشروع فائدة كبيرة ، وقد شجع مجلس الكنائس العالمى فى مؤتمره الذى عقد بمدينة أوبسالا بالسويد عام ١٩٦٩ على توظيف أموال الكنائس الأوروبية والأمريكية فى مشروعات البلاد النامية .

وتقوم هيئات التبشير بانتداب رجالها للانخراط وسط المهجرين بوصفهم « مرشدين اجتماعيين » للأفواج المهاجرة ، فيندمج هؤلاء المرشدون « مع المهجرين فى مستوطناتهم الجديدة اندماجاً يتيح لهم بكل سهولة ممارسة نشاطهم الحقيقى بدون معقب أو رقيب أو منافس . وأنى للمسلمين أن يجاروا بل أن ينافسوا فى هذا العمل الذى يتطلب الكثير من المال ، خاصة وأن كثيراً

---

(٣) المرجع ١٠ : ص ٢٢ — ٢٣

(٤) المرجع ٩ : ص ٢١٥ — ٢١٦

من المهجرين يرحلون إلى مستوطناتهم بالطائرة التى تستأجر خصيصاً لهذا الغرض . .

وقد وصلت تقارير عن ارتداد عدة أسر كانت مسلمة أول ما استوطنت مهاجرها فى «الوكو وسيرام وكاليمنتان ، ثم تنصرت أخيراً »(٥) .

★

٢ ـــ استغلال حالات الفقر والحاجة :

إذا كان الاستعمار القديم قـــد تمثل وجوده فى احتلال عسكرى للبلاد المستعمرة ، فإن الاستعمار الجديد يتمثل حالياً فى خلق التبعية الاقتصادية والغزو الفكرى والربط عن طريق الأحلاف ، وهكذا طور الاستعمار شكله .

وكذلك التبشير ـــ بعد أن طور نفسه على شاكلة الاستعمار القديم ـــ إذا به يوجد نوعاً من العبودية والرق البشرى ، ولكن فى ثوب جديد . لقد كان الرق فى صورته التقليدية القديمة يعنى التجارة فى الآدمى واعتباره سلعة تباع وتشترى وتمتلك ، أما الرق الجديد الذى استحدثه التبشير ، فهو استعباد لروح الإنسان وفكره ، وهو أشر أنواع الرق على الإطلاق .

مثال ذلك ما تفعله البعثات التبشيرية فى أفريقيا ، إذ تستغل حالة البؤس التى تعيشها الأسر الفقيرة المسلمة ، فتوقع معها عقوداً ـــ كما حدث فى السنغال ـــ تقدم «بموجبها تلك البعثات التبشيرية الى الأسر السنغالية مساعدات عينية من أرز مثلا فى كل شهر ، على أن يكون لها الحق فى اختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها .

ويكون فى العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه ، إذا هى خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلا) .

---

(٥) المرجع ١١ : ص ٩٣ ـــ ٩٤

وتختار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صبياً دون الخامسة من العمر ثم ترسله الى مدرسة . وينقطع الصبي عن أهله وينشأ تنشئة مسيحية ثم يرسل الى فرنسا لإتمام تعليمه العالى . بعدئذ يعاد إلى السنغال ليستخدم فى الأغراض التى توافق هوى فرنسا »(٦) .

ويحرص المبشرون على أنه بجانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات المدرسية ، فيجب أن تقوم مدرسة صغيرة للفقراء مجانية ، لا لتعليمهم فى الدرجة الأولى ، بل لحفظ المظهر التبشيرى بادياً للعيان . إن الفقراء أكثر انقياداً لقبول هذا المظهر من أندادهم من أبناء الأغنياء » (٧).

ولقد حدث فى أعقاب الانقلاب الشيوعى الفاشل فى أندونيسيا عام ١٩٦٥ ، أن ألقى القبض على عشرات الألوف ممن ثبتت علاقاتهم بالانقلاب أو اشتبهوا بالمشاركة فيه ، وأودعوا المعتقلات رهن التحقيق . « ولقد سمحت الحكومة للهيئات الدينية أن تقدم خدماتها الإرشادية إلى المعتقلين رجاء إمكان إصلاحهم وإعادتهم إلى حظيرة الإيمان والعقيدة . فهرع المبشرون من مختلف الطوائف والنحل يباشرون نشاطهم مع هؤلاء ..

وكان المبشرون يبدون لهم استعدادهم لإعالة ذويهم وإعاشة أسرهم ، شرط أن يوقعوا على صك الاعتراف بانضمامهم إلى الكنيسة التى يبشرون بها .

وهؤلاء البؤساء يعرفون جيداً تردى الأوضاع الاقتصادية آنذاك ، وماذا يعنى ذلك بالنسبة لذويهم . لذلك سارعوا فى الاستعداد للتوقيع على الاعتراف ؛ واثقين من أن فى عملهم ذاك سلامة أسرهم من غوائل الجوع والمسغبة » (٨) .

★

(٦) المرجع ٩ : ص ٣

(٧) المرجع ٩ : ص ٢٠٩

(٨) المرجع ١١ : ص ١١٩

٣ ـــ استمالة المسلمين والتحكك بهم :

يقول القس هاريك: إنه اقتنع بأن لا فائدة ترجى لطريقة المناظرة والجدل مع المسلمين « ويجب على المبشر أن يظهر للمسلم أن النصرانية ليست عقيدة دينية ولا دستوراً سياسياً ، بل هى الحياة كلها ، وأنها تحب العدل والطهر وتمقت الظلم والباطل : نفتح للمسلم مدارسنا ، ونتلقاه فى مستشفياتنا ، ونعرض عليه محاسن لغتنا ، ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر وتعلق بأهداب الأمل . إذ المسلم هو الذى امتاز بين الشعوب الشرقية بالاستقامة والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل . **بهذه الطريقة يمكن للمبشر أن يدخل الى قلوب المسلمين .** » (٩)

ومن الوسائل التى يراها المبشرون ناجحة فى استمالة المسلمين العوام : « العزف بالموسيقى . . وعرض مناظر الفانوس السحرى عليهم . . وأن يتعلم المبشرون لهجاتهم العامية واصطلاحاتها نظرياً وعملياً ، وأن يدرسوا القرآن ليقفوا على ما يحتويه ، **وأن يخاطبوا العوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم ، ويجب أن تلقى الخطب عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة ، وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين ، وأن لا يتخلل خطابه كلمات أجنبية عنهم ، وأن يبذل عنايته فى اختيار الموضوعات . .** ومن الضرورى أن يكون خبيراً بالنفس الشرقية وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية » (١٠) .

★

٤ ـــ التركيز على المرأة المسلمة :

يدرك المبشرون خطورة أثر المرأة المسلمة ــ كأم حالياً أو مستقبلا ــ

---

(٩) المرجع ١٠ : ص ٢٨ ــ ٢٩

(١٠) المرجع ١٠ : ص ٢٢

فى الأسرة ، ولذلك يقولون : « بما أن الأثر الذى تحدثه الأم فى أطفالها — ذكوراً وإناثاً — حتى سن العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية ، **وبما أن النساء هم العنصر المحافظ فى الدفاع عن العقيدة ، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة فى التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية . » (١١)**

وقد بلغ الهوس الدينى بالعاملين فى مجال التبشير أن صاحت المبشرات فى مؤتمر القاهرة التبشيرى قائلات : « لا سبيل إلا بجلب النساء للمسيح : **إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً** . . فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن . نحن لا نقترح إيجـــاد منظمات جديدة ، ولكنا نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائى على العمل ، واضعة نصب عينيها **هدفاً جديداً هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن فى هذا الجيل » (١٢)** .

وقد لخص مؤتمر قسطنطينة — بالجزائر — طرق التبشير بين النساء ، فقـــال :

« إن الحاجة الملحة المستعجلة إنما هى إنشاء بيت أو بيوت للنساء المطلقات وللأرامل الصغار . ويجب ألا تكون هذه البيوت مؤسسات كبيرة ، بل أماكن يخيم عليها الجو العائلى ، ثم تفرق النساء فيها حسب أحوالهن وحاجاتهن. وكذلك مكث هؤلاء النسوة فى تلك البيوت يجب أن يطول أو يقصر حسب المقتضيات الشخصية لكل واحدة منهن . ثم إن كل فتاة يجب أن تعلم من الصناعات المحلية ما يمكنها من العيش به بعد أن تغادر تلك البيوت ..

وأخيراً نرى أن أمثال هؤلاء النسوة يكن فى أثناء مكثهن فى هذه

---

(١١) المرجع ٩ : ص ٢٠٣

(١٢) المرجع ٩ : ص ٢٠٤

البيوت تحت تأثير الإنجيل ، ثم إننا نختار منهن أولئك اللواتى يرجى أن يمرن أكثر من سواهن ليكن بدورهن مبشرات بين قومهن » (١٣) .

★

٥ ـ التقاط أطفال المسلمين بمختلف السبل :

كتب ألمر دوجلاس مقالا عنوانه : كيف نضم إلينا أطفال المسلمين فى الجزائر ، « ذكر فيه أن ملاجىء قد أنشئت فى عدد من مناطق الجزائر فى شمال أفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحياناً . ثم قال : إن هذه السبيل لا تجعل الأطفال نصارى ، لكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم » (١٤) .

وقد مارس المبشرون نظام تبنى الأطفال البائسين مثل « نظام تبنى فوستر » ، وفيه يتم التنفيذ « باختيار الأطفال البائسين ، فيعرض على ذويهم السماح بتبنيهم من قبل محسنين فى أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا . ولا يعنى هذا التبنى إلا مجرد وجود من يكفل لأولئك الأطفال مهمة الإنفاق على أمور تعليمهم ومعاشهم مع بقائهم وسط أسرهم وأهليهم . وكل ما هنالك شخص يمثل الآباء المتبنين يتعهد أبناءهم ويتصل بهم ويقدم لهم نفقاتهم ويتعهد أحوالهم . وسرعان ما تتبدل حياة هؤلاء الأطفال من الفاقة والخصاصة إلى السعة والبسطة فى العيش . وبتغير سلوكهم وثيابهم مما قد يثير لدى أندادهم من الأطفال ما يجعلهم يتلمظون لهفة على الحظوة بمثل ذلك .

ولكن هذا الأسلوب الذى يركز على أطفال المسلمين البائسين فى جاوا « بأندونيسيا » لم يتحقق له النجاح المأمول . . لكن البرنامج مستمر لما يتميز به القوم « المبشرون » من إصرار وصمود .

---

(١٣) المرجع ٩ : ص ٢٠٥

(١٤) المرجع ٩ : ص ١٩٤

ولكن هناك أسلوباً آخر أشد خطراً ، ويحمل شعار : «أنقذوا الأطفال» فهو أسلوب بريء المظهر ، بارز التجرد لعمل البر والإحسان . »(١٥) وهو يغدق على الموظفين الذين يستخدمهم من المسلمين للعمل به أجوراً عالية تجعلهم ينزلقون في خدمة التبشير وقد أعمتهم الماديات عن حقيقة أعمالهم .

★

٦ ـ استدراج المسلمين إلى جمعية الشبان المسيحيين :

يقول ولبرت سميث في مقال بعنوان « جمعية الشبان المسيحيين في الشرق الأدنى » :

« **إن جمعية الشبان المسيحيين قد جاءت إلى الشرق الأدنى لتعاون المؤسسات المسيحية . أما هدفها الرئيسي فهو تنشئة الشبان على أسس مسيحية.** ولفروع هذه الجمعية منهاج دائم ولها اجتماعات تعرض فيها الدعوة بلا استحياء ولا تحوير . وهناك أيضاً سلسلة من الاجتماعات التبشيرية »(١٦) .

ويقول كورنيليوس باتون في كتابه « عمل الإرساليات » : « إن تقسيم العمل بين العاملين المسيحيين (في حقل التبشير) قد اقتضى بناء على الترتيب الحكيم ، **أن يعهد إلى جمعية الشبان المسيحيين بالعمل في المدن ، وخصوصاً بين الطلاب والطبقات المثقفة في المدن** .. إن هذه الجمعية تستطيع بواسطة نشاطها الجانبي في الحياة الاجتماعية والرياضية ، أن تجتذب رجالا ليس بالإمكان أن يتقبلوا النصرانية بطريقة شخصية » (١٧) .

ويقول إديسون : « **إن عوامل التعليم المسيحي في مصر ، تزيد قوة على قوتها بمؤسستي جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات . .** إن لهاتين الجمعيتين مراكز نشيطة ، وخصوصاً في القاهرة والإسكندرية .

---

(١٥) المرجع ١١ : ص ٩٥ ـ ٩٦
(١٦) المرجع ٩ : ص ٢٠٢
(١٧) المرجع ٩ : ص ٢٠٢

هذه الفروع تقدم مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية . . وتهيء فى المجتمع ألواناً من النشاط تندر فى الشرق..وفى **هذا اقتراب من المسلمين . » (١٨)**

✶

٧ ــ استخدام الرشوة :

عندما تخيب أساليب المبشرين فى العمل بين المسلمين لتنصيرهم ، فإنهم يلجأون إلى الرشوة ليفسدوا بها ضمائر الذين يستميلونهم . « وحينما ظهر اليسوعيون للمرة الأولى فى شرق الأردن ، رشوا نفراً من النصارى الأرثوذكس للانضمام إلى الكنيسة الرومانية . على أن البروتستانت كانوا أشد إيغالا فى إفساد الضمائر ، فقد اتخذوا سماسرة يجلبون لهم الذين كانوا يرضون أن يبدلوا دينهم ، وكانوا يدفعون عن كل رأس عشرة قروش ذهباً » (١٩).

★★★

الخلاصـــة :

من المعلوم أن للتبشير وسائل كثيرة يستخدمها فى مختلف المجالات التى يعمل فيها من أجل تنصير المسلمين ، أو على الأقل إخراجهم من الإسلام. وقد اكتفيت هنا بعرض الوسائل الرئيسية التى يستخدمها التبشير ، وأغلبها يتكوّن من عدد من الوسائل الفرعية التى يطول الحديث فيها .

والآن ونحن نختتم هذا الفصل عن « وسائل التبشير فى العالم الإسلامى » فمن الواجب أن نذكر بهذه الوسائل الرئيسية بعد جمعها معاً ، لتكون واضحة تحت بصر المسلم وسمعه ــ وهى كالآتى :

تشويه الإسلام ــ تحريف فهم القرآن .

اعتبار التعليم الإرسالى أقوى الوسائل ــ استخدام الصحافة والطبع على أوسع نطاق .

مقاومة الأزهر وإضعاف تأثيره .

إذاعة الدعوات المشبوهة مثل الدعوة إلى التسامح المشبوه ، والدعوة إلى الحوار المشبوه ــ الدعوة إلى الشعوبية والقومية .

---

(١٨) المرجع ٩ : ص ٢٠١

(١٩) المرجع ٩ : ص ٥٠

العمل المستمر من أجل تمزيق الوحدة الإسلامية .

إثارة الفتن الداخلية .

بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها .

استخدام العلاج الطبى كوسيلة فعالة .

اتخاذ الأعمال الاجتماعية ستاراً للتبشير .

استغلال حالات الفقر والحاجة .

استمالة المسلمين والتحكك بهم .

التركيز على المرأة المسلمة .

التقاط أطفال المسلمين بمختلف السبل .

استدراج المسلمين إلى جمعية الشبان المسيحيين .

استخدام الرشوة .

*

والآن . . .

لا أظن أحداً من المسلمين الحريصين على دينهم فى حاجة لأن يسأل : وما العمل لمقاومة التبشير بين المسلمين ؟

فلقد تحددت إجابة هذا السؤال — وأمثاله — حين تحددت وسائل التبشير فى العالم الإسلامى . . .

وهى وسائل يستطيع المسلمون مقاومتها تماماً ، إذا أخلصوا يومهم لله ؛ وقد منحهم — سبحانه — الكثير والكثير . . .

أما إذا قعدوا مستعجزين ، ينتظرون آية من السماء ، فليعوا القول المأثور : **« إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » ....**

وأخيراً ، يكفيهم قول الله : **« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون »** (التوبة : ٣٤ ، ٣٥) .

★ ★

خاتمــة

- التبشير بين الماضى والحاضر .
- المسلمون فى مواجهة الخطر التبشيرى .

التبشير بين الماضي والحاضر

يستوقف النظر في دراسة التبشير في العالم الإسلامي ، عدد من الملاحظات . إلا أن اثنتين منها جديرتان بالتدبر والاعتبار ، لما لهما من دلالات وما تحملانه من معاني ؛ ترتبط بسير الأحداث في العالم الإسلامي ، حاضره وماضيه. وفيما يلي عرض موجز لكل من هاتين الملاحظتين .

★ ★

التبشير قوة محركة عالمية :

لقد لمعت أسماء في مجالات السياسة ، وفرضت أسماء في تاريخ العلوم والاكتشافات ، ولكنها في الواقع كانت إما أسماء لمبشرين ؛ أو لشخصيات تتبنى الفكر التبشيري وتعمل من أجل تنفيذ سياساته . وإذا كانت المشكلة الفلسطينية تعتبر الطعنة الثانية الخطيرة التي تلقاها العالم الإسلامي في القرن العشرين — بعد الطعنة الأولى وهي هدم الخلافة الإسلامية — فإن الفكر المحرك لتنفيذ هذه الطعنة كان — ولا يزال — فكراً تبشيرياً .

فقد ذكرت بربارة توخمان في كتابها « التوراة والسيف » عند الحديث عن فكرة نقل فلسطين إلى المذهب الإنجيليكاني (مذهب الدولة في إنجلترا) ، فصلا كاملا عن اللورد شافتسبري « **الذي كان يمثل فكرة تنصير فلسطين** ورد اليهود منصرين إليها ، أو تنصيرهم بعد ردهم إليها ، وإعلان الحماية (البريطانية) عليها . ولقد روج اللورد بالمرستون وزير الخارجية البريطانية لهذه الدعوة برسالة وجهها إلى جريدة التايمز اللندنية ، فنشرتها الجريدة في السابع عشر من أغسطس عام ١٨٤٠ .

ومن الشخصيات الإنجليزية التي عملت بما فكر به شافتسبري وسعى إليه بالمرستون ، وممن اشتهروا ودارت أسماؤهم في السياسة الشرقية

والعـــربية : رئيس الوزارة البريطانية جلادستون ، والقائد البريطانى الجنرال جوردون ، والمستكشف البريطانى لفنجستون ، والممرضة الشهيرة فلورانس نايتنجال » (١) .

أما دافيد لفنجستون (١٨١٣ — ١٨٧٣) رحالة بريطانيا الشهير ، فلم تكن رحلته المشهورة فى تاريخ الاستكشافات الجغرافية إلا عملا تبشيرياً . فقد قال رولاندر أوليفر فى كتابه « العامل التبشيرى فى شرق شرق أفريقيا » : « لقد أعد لفنجستون نفسه منذ سنواته الأولى حينما كان يعمل فى جمعية التبشير اللندنية ، للاضطلاع بمشاكل التبشير الخاصة بأفريقيا الاستوائية . .

وبما أنه كان أولا وقبل كل شىء مبشراً مسيحياً ، فلقد اختار كعضو فى هذه الحركة التبشيرية أن يبحث عن نهر تستطيع السفن أن تمخر فيه داخل البلاد »(٢) .

وحين عقد مؤتمر أدنبرج التبشيرى عام ١٩١٠ كان يضم « ١٢٠٠ مندوب بينهم ٥٠٢ من الإنجليز ، و٥٠٥ من الأمريكان .

ومن مندوبى التبشير الأمريكيين المستر روزفلت — رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق — لكنه أرسل رساله اعتذار عن عدم تمكنه من الحضور . إلا أن المستر براين استطاع أن يحضر — وهو خطيب أمريكا المشهور وقدرشح نفسه لرئاسة جمهوريةالولايات المتحدة مراراً» (٣)

وقد كان الغرض من ذلك المؤتمر هو «البحث فى مسائل العالم الخارج عن النصرانية ،والاهتمام بإيجاد وحدة وتضامن بين المبشرين فى أعمالهم». وقد كوّن المؤتمر ثمان لجان ، كان من أهمها « اللجنة السابعة التى كان

---

(١) المرجع ٩ : ص ١٨٥
(٢) المرجع ٩ : ص ٥١
(٣) المرجع ١٠ : ص ٤٤

اللورد بلفور رئيس شرف لها . وقد نظرت هذه اللجنة فى المستندات التى وردت إليها من المبشرين عن علاقاتهم بحكومات البلاد الموجودين فيها ، وعما إذا كان يوجد فى سبيل التبشير ونحوه موانع وعقبات . وعلى هذا فاللجنة السابعة بحثت حالة التبشير فى كل البلاد »(٤) .

وهكذا ارتبطت بالتبشير تلك الأسماء اللامعة فى مجالات السياسة والاستعمار مثل : **بالمرستون — جلادستون — جوردون — روزفلت — بلفور . . .**

هذا ما كان من رجال العالم البروتستانتى ، الإنجلوسكسونى . وما من شك فى أن لهم نظير فى العالم الكاثوليكى . وخاصة : الفرنسى — الأسبانى — البرتغالى ، الذى صال وجال كثيراً فى مستعمراته التى أطلق عليها ما وراء البحار .

هل يستطيع أحد — بعد ذلك — أن ينكر دور التبشير فى تحريك القوى العالمية التى تعمل — دائماً — ضد العالم الإسلامى ؟ !

★★

الاستعمار ومشاعر المسلمين ضد التبشير :

« فى عام ١٨٩٩ جمع المبشرون البريطانيون والمبشرون الأمريكيون جهودهم فى السودان ، واتخذوا مراكز لهم فى الخرطوم وأم درمان ، **غير أن التبشير بين المسلمين ظل ممنوعاً فإن اللورد كتشنر ، وكان يومذاك الحاكم العام فى مصر والسودان باسم بريطانيا ، رفض أن يقوم المبشرون بأعمال فى بلاد أهلها مسلمون** ، بينما الحكومة البريطانية لا ترغب فى عرقلة أعمالها السياسية فى المناطق التى كانت قد بسطت عليها نفوذها أو لم تستطع بعد أن تثبت هذا النفوذ . .

---

(٤) المرجع ١٠ : ص ٥١

ثم إن الحكومة الإنجليزية قسمت السودان قسمين : **قسماً شمال خط العرض ١٢ ، عدته قسماً إسلامياً لا يجوز السماح فيه للمبشرين بالقيام بأعمالهم علناً . وكذلك أوجبت الحكومة الإنجليزية على المدارس التبشيرية ألا تعلم الدين المسيحى لتلميذ اختار ولى أمره أن يدخله فيها إلا إذا حصلت من الولى على إذن خطى بذلك .**

أما جنوب خط العرض ١٢ فعدته الحكومة الإنجليزية قسماً وثنياً خالصاً ، ومنعت المسلمين من السفر إليه ، حتى تتيح للمبشرين المسيحيين أن يعملوا فيه بحرية ، ثم كانت هى تقدم لهم جميع المساعدات فى سبيل ذلك »(٥) .

وقد انتقدت اللجنة السابعة — التى انبثقت عن مؤتمر أدنبرج التبشيرى — انتقاداً شديداً « **الخطة غير المسيحية التى تنتهجها بعض الدول الأوروبية مثل إنجلترا فى النيجر والسودان** ، وقالت إنها خطة من شأنها ترويج الإسلام والتزام طرقه(٦) .

وفى مؤتمر التبشير فى لكنو بالهند — الذى عقد عام ١٩١١ — تحدث المبشر السويسرى فرنر « عن المدرسة التى أسستها إنجلترا فى سيراليون بغرب أفريقيا لتعليم أطفال القبائل الإسلامية والوثنية باللغة العربية . وعدم تعليمهم الديانة النصرانية احتفاظاً بمبدأها فى الحياد الدينى .

ثم قال : ولو اتفق أن المسلمين غضبوا للصور الموجودة فى كتب دروس الأشياء ، فلا تتأخر إدارة المستعمرات الإنجليزية عن استفتاء علماء الإسلام فى الآستانة ومصر والهند ، استرضاء لآباء التلاميذ وأقاربهم »(٧) .

---

(٥) المرجع ٩ : ص ٢٣٧ — ٢٣٨

(٦) المرجع ١٠ : ص ٤٩

(٧) المرجع ١٠ : ص ٦٨

كذلك هاجم إنجلترا — وغيرها من الدول — مبشرون آخرون فى ذلك المؤتمر بدعوى أنها تعرقل أعمال التبشير ، كما فى السودان« حتى أن كلية جوردون التى أسستها الأمة البريطانية(!) . أصبحت مدرسة إسلامية محضة. والحكومة الإنجليزية فى نظر المبشرين ملومة على انتهاجها خطة الحياد وشدها أزر المدارس الإسلامية فى سيراليون. كما أن ذوى الأمر من الإنجليز فى نيجيريا لا يحسنون معاملة إرساليات التبشير المسيحية ، ولا يسمحون لهم بفتح المدارس العصرية بكل حرية

وأما الحكومة الفرنسية فتسلك خطة الحذر التى تنطوى على الود والإخلاص نحو المبشرين . . وإن تكن تسمح للمبشرين بارتياد الجزائر وتونس بدون تعضيد ، وتخشى أن تحظر عليهم التجول فى الصحراء والنيجر وأقاليم بحيرة تشاد وداداى .

وقد لام المبشرون الحكومة الروسية لتباين أعمالها ، فقد يتفق فى بعض الأوقات أنها تروج أعمال المسلمين التى تضر بالمسيحيين التابعين للكنيسة الرسمية الروسية »(٨) .

وقبل أكثر من سبعين عاماً « حاول المبشرون الهولنديون — أيام سيطرة هولندا على أندونيسيا — أن ينصروا الأندونيسيين المسلمين ، ولكن الحكومة الاستعمارية الهولندية رفضت ذلك بشدة ، فثارت ثائرة المبشرين وهاجموا الحكومة الهولندية فى البرلمان الهولندى واتهموها بأنها تحمى الإسلام فى أندونيسيا . والحكومة لم تكن تحمى الإسلام ، ولكنها تحمى مصالحها فى أندونيسيا من أى استفزاز تقترفه حماقة التبشير مع المسلمين فى أندونيسيا »(٩) .

★★

---

(٨) المرجع ١٠ : ص ٨١ — ٨٢

(٩) المرجع ١١ ص ٤٦

هذا — وبعد أن نقرر أن صراخ المبشرين ضد الدول الاستعمارية، وادعاءاتهم بأن تلك الدول كانت تعرقل أعمال التبشير فى مستعمراتها وتكاد تساعد الإسلام على التقدم والانتشار — كل ذلك لا يعــدو أن يكون من باب المبالغات، وأسلوباً من أساليب المزايدات الرخيصة التى يبغون من ورائها إلى زيادة تدعيم الدول الاستعمارية لهم. وإذا كان بعض المبشرين المتهورين قد اقترح خططاً لتنصير العالم الإسلامى فى مدة ٢٥ عاماً، فإن سلوك دول الاستعمار إزاءهم يمكن مقارنته بسلوك الأب أمام ابن متهور، يخشى من اندفاعاته التى قد تجلب الضرر للوالد وولده على السواء.

لـكن شيئاً واحداً يجدر تسجيله، وهو **أن المسلمين منذ مطلع هذا القرن والقرون التى سبقته، كان يحسب لمشاعرهم كل حساب**. لقد كان يحكمهم مستعمرون أجانب، لـكنهم فطنوا إلى أن الإسلام حين يغضب فهو أمر عظيم، من أجل ذلك راعوا أحاسيس المسلمين ومشاعرهم الدينية، وقيدوا — قدر ما كان متاحاً — أعمال التبشير المسيحى بينهم.

ولكن إذا نظرنا إلى حال المسلمين اليوم، نجد عجباً . . .!

فقد استقلوا بعد استعمار، وصارت أمورهم بأيديهم، وأصبح لهم بين القوى البشرية والعسكرية والاقتصادية مكان، وزاد اتصالهم ببعضهم، وانتظموا فى مؤسسات إقليمية ودولية، ويكفى أنهم يمثلون حوالى ٣٠٪ من مجموع الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة، و...

ومع ذلك كله، **فإن التبشير المسيحى ينطلق بينهم اليوم بأضعاف قوته أيام كان الاستعمار يكتم أنفاس المسلمين جميعاً، إلا قلة قليلة كاليمن ونحوه. ما السبب — إذن — فى تردى المسلمين إلى هذا الوضع الخطير؟**

إنه سؤال يلاحق كل مسلم، مهما اختلفت أوضاعه ومسئولياته ...

ولعل بعض المسلمين يشاركنى الرأى — الذى لا أدعى أنه أفضل الآراء — فى أن الإجابة على هذا السؤال، يمكن أن ترد إلى عاملين رئيسيين، هما:

١ – **هوان المسلمين على أنفسهم** ، ومن ثم هانوا على غيرهم . فقد صاروا غثاء كغثاء السيل ، لا يدرون من ماضيهم العظيم شيئاً ، ويكتفون بعيش حاضرهم على أى صورة من الصور ، ولو كانت صورة التابع للسيد المتبوع .

٢ – **انعدام الوحدة بينهم** ، والتمزق إلى كيانات هزيلة ، فى زمن العمالقة الكبار .

★

ومهما يكن من أمر ، فإن حال المسلمين تحكمه فى جميع الأحوال والقرون ، هذه القاعدة القرآنية الحكيمة العادلة :

« **إن الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم** »(الرعد: ١١).

★★★

المسلمون في مواجهة الخطر التبشيري

ماذا يمكن أن يفعله المسلمون فى مواجهتهم لأخطار التبشير ؟

نقول — بداءة — إن المسلمين قادرون ، بإذن الله ، على مواجهة هذا الغزو الصامت . وتقليم أظافره ، وتعريته أمام نفسه ، وأمام العالم .

إن السبيل لتحقيق ذلك ممكن ، وإن كان هناك فرق بين الممكن والميسور .

إن العمل الإسلامى فى مواجهة التبشير يحتاج إلى العناصر الرئيسية التى يتطلبها العمل فى مثل هذه المجالات وهى : المشروع — والقوى البشرية — والتمويل . وجميعها عناصر موجودة بل ومتوافرة فى العالم الإسلامى .

إن المسلمين بأيديهم كتاب واحد ، هو القرآن ، جاءهم به نبى واحد ، هو محمد بن عبد الله .

ولقد أكمل الله لهم دينهم فى حياة نبيهم بما أنزل عليه من الكتاب ، وما أوتيه من حكمة هى السنة الصحيحة ، فلم يتركهم إلا بعد أن استقر فيهم منهج الله ، فاستوعبوه نظرياً وتطبيقياً ، علمياً وعملياً . من أجل ذلك لم ينتكسوا فى عقيدتهم — بعد رحيل نبيهم — كما انتكس الذين من قبلهم بعد رحيل أنبيائهم . وهم وإن كانوا قد تعرضوا لبعض النوازل والفتن ، فإنهم ما لبثوا أن تجاوزوها وطلعوا على العالم بحضارة حقه : تربط العلم بالدين ، والسياسة بالأخلاق ، والدنيا بالآخرة ، وتدعو الإنسان لتحقيق سعادته فى الأولى وتأمينها فى الآخرة بالسلوك وفق منهج الله فى كل حركاته ، وسكناته ، بل وخلجات نفسه .

إن الإسلام ليس حكراً على شعب مسلم دون آخر ، ولا على دولة مسلمة دون أخرى. كذلك فإنه ليس ملكاً للحكام المسلمين دون المحكومين ، وليس قصراً على المحكومين دون حكامهم..

إن الإسلام دين الجميع ، ووطن الجميع ، والحياة الحقة للجميع . ..

ومن ثم فإن العمل الإسلامى فى كافة المجالات ، وخاصة فى مواجهة أخطار التبشير ، يحتاج إلى كافة الجهود وتنسيقها وتكاملها .

وإذا كانت لدينا شواهد كثيرة تبين — ما سبق ذكره — من أن التبشير اليوم فى العالم الإسلامى الذى يحكمه أبناؤه المسلمون ، قد صار أقوى عزيمة وأشد خطراً عما كان عليه الحال أيام كان الاستعمار يسيطر على عالم الإسلام لقرون عديدة ، فمرد ذلك إلى عدة عوامل منها أن التبشير قد تمكن — فى ظل الاستعمار — من توحيد جهوده وتنسيق خططه ، حتى إذا ما رحل الاستعمار ، استمرت خطط التبشير فى التنفيذ ، دون أن تتعرض للتعثر والاضطراب .

وإن نظرة على مراحل توحيد أنشطة التبشير لتعطينا الكثير من الدروس والعبر .

★★

كيف اتحدت هيئات التبشير :

لقد كانت بعثات التبشير الكاثوليكية تمارس أعمالها خلال تخطيط مركزى وقيادة صارمة ، تتمثل فى الكنيسة الرومانية ، أما العمل التبشيرى فى العالم البروتستنتى فقد قام به أفراد متحمسون ، ثم عدد من الجماعات الصغيرة التى بدأت تنظم نفسها فى هيئات تبشيرية ، تنطلق فى إرساليات لتعمل خارج أوطانها الأوروبية والأمريكية ، داخل إطار الطائفة المسيحية التى تنتمى إليها .

ولما كان لتلك الإرساليات - بطبيعة الحال - ولاء لأوطانها وطوائفها ، ولما كانت تلك الطوائف والأوطان تختلف فيما بينها اختلافاً قد يصل بها إلى الحروب الملتهبة ، فقد انعكس ذلك كله على إرساليات التبشير ، وتعرض نتاج عملها - وهو تنصير غير المسيحيين - إلى التراجع أو عدم التقدم .

لهذا تنبهت إرساليات التبشير إلى ضرورة توحيد جهودها ، من أجل تحقيق هدفها النهائي وهو جعل العالم كله مسيحياً .

ولقد مرت عمليات تحقيق وحدة العمل التبشيري بثلاث مراحل هي : عقد مؤتمرات التبشير - ثم إنشاء مجالس التبشير - ثم دمج إتحاد الكنائس باتحاد مجالس التبشير .

ومن المفيد حقاً أن نتعرف نحن المسلمون على العناصر الرئيسية فى هذه المراحل الثلاث ، أو بالأحرى تتبع الخطوط العامة لها .

★

المرحلة الأولى — عقد مؤتمرات التبشير : يمكن القول بأن فاتحة ذلك كان فى الهند : عام ١٨٥٥ ، حيث عقد بكلكتا « **المؤتمر العام للمبشرين البروتستانت فى البنغال** » — وقد حضره ٥٥ مبشراً من ٦ إرساليات ، بينهم ٣ قسس هنود . ثم مؤتمر البنجالور عام ١٨٧٩ ، وقد حضره ١١٨ مبشراً ، نوقش فيه لأول مرة إمكانية تأسيس « **كنيسة المسيح فى الهند** » .

ثم مؤتمر مدراس عام ١٩٠٠ ، وحضره ١٦٠ مبشراً اختيروا بعناية من بين ٢٦ إرسالية .

وفى اليابان : عقد أول مؤتمر تبشيري عام ١٨٧٢ حضره ١٧ مبشراً ، ثم عقد « **المؤتمر العام للمبشرين البروتستانت** » عام ١٨٨٣ بأوزاكا ، ثم عقد نفس المؤتمر فى المرة التالية عام ١٩٠٠ بطوكيو ، وقد حضره ٤٥٠ مبشراً من ٤٢ إرسالية .

وفى الصين : عقد مؤتمر المبشرين البروتستانت فى شنغهاى عام ١٨٧٧ ، حضره ١٢٦ مبشراً من ٢٠ إرسالية مع عضو صينى

دون أن يكون له حق التصويت . ثم كان المؤتمر الثانى عام ١٨٩٠ - ثم كان المؤتمر الثالث والكبير عام ١٩٠٧ ، وقد حضره أكثر من ١٠٠٠ مبشر من ٦٣ إرسالية ، وكان هناك ٩ أعضاء صينيين ليس لهم حق التصويت .

وبعد اسيا تأتى أفريقيا ، حيث عقد فى دولة « إتحاد جنوب أفريقيا » ثلاث مؤتمرات فى أعوام ١٩٠٠ ، ١٩٠٦ ، ١٩٠٩ .

كذلك عقد بالقاهرة مؤتمر تبشيرى هام عام ١٩٠٦ ، وقد سبق الحديث عنه .

وفى أمريكا الجنوبية عقد فى المكسيك مؤتمرين فى عامى ١٨٨٨ ، ١٨٩٧ .

ولقد أدت هذه المؤتمرات جميعها إلى تعميق مفهوم الوحدة بين المبشرين.

★

المرحلة الثانية — إنشاء مجالس التبشير : لقد بدأت الفكرة فى مخيلة من وصف بأنه أعظم مخطط تبشيرى ألمانى ، وهو جوستاف فارنك الذى قدم عام ١٨٨٨ بحثاً قرىء فى ذلك العام فى مؤتمر لندن التبشيرى ، دعا فيه لتخطيط عقد **مؤتمر تبشيرى كل ١٠ سنوات** ، وإلى تشكيل **لجنه مركزية** ، تربط أعمال هذه المؤتمرات . وكان مما قاله :

« لكى يكون للجنة المركزية أساس قوى ، فيجب أن تعقد مؤتمرات تبشيرية فى كل أمة بروتستانتية تضم كل الجمعيات البروتستانتية التبشيرية فيها وتنتخب مندوبين يمثلونها فى اللجنة المركزية »(١) .

وفى عـــام ١٩١٠ ، عقد مؤتمر أدنبرج التبشيرى — وقد سبق الحديث عنه — الذى تمخض عن تشكيل « **اللجنة الدائمة للمؤتمر** » ، والتى اعتبرت بداية عهد جديد للعمل التبشيرى ، وكانت تحقيقاً مبدئياً لفكرة جوستاف فارنك .

---

(١) المرجع ٢٥ : ص ٥٤٣

ثم أوقفت الحرب العالمية الأولى أعمال المؤتمرات حتى عام ١٩٢١ ، حيث تكوّن « **المجلس التبشيرى الدولى** .I.M.C » ، وقد تولى رئاسته الدكتور جون موت الذى اعتبر مهندساً للمؤتمرات التبشيرية ، إذ أنه كان قد قام برحلة فى الشرق الأقصى استغرقت خمسة أشهر — من نوفمبر ١٩١٢ إلى أبريل ١٩١٣ — عقد فيها مالا يقل عن ٢١ مؤتمراً ، تمخضت عن تشكيل ما يسمى « **المجلس المسيحى الوطنى** — .N.C.C » فى كل من اليابان ، والصين ، وكوريا ، والهند . لقد أثبتت فكرة تشكيل المجالس المسيحية الوطنية نجاحها فى العمل التبشيرى ، واعتبر مجلس كينيا من أنجح المجالس فى شرق أفريقيا ..

ويعتبر مؤتمر مانيلا عام ١٩٤٨ نقطة البدء فى دفع الحركة التبشيرية وإحكام تنظيمها ، فقد ضم من يطلق عليهم « **القادة** » المسيحيون فى شرق آسيا — من اليابان إلى الباكستان — الذين التقوا لأول مرة معاً ، بعد أن كانت لقاءاتهم تتم قبل ذلك بالمبشرين من أوروبا وأمريكا . ولقد تمخض هذا اللقاء عن إنشاء « **سكرتارية شرق آسيا** » لتكون وحدة اتصال بين الكنائس والهيئات التبشيرية .

ونتيجة لنشاطها فقد عقد « **المؤتمر المسيحى لشرق آسيا** » عام ١٩٥٧ فى سومطرة (بإندونيسيا) ، ثم مؤتمر عام ١٩٥٩ فى كوالالمبور (بماليزيا) ، فزاد ذلك فى ربط الكنائس بالهيئات التبشرية .

وبعد آسيا ننتقل إلى أفريقيا ، حيث عقد « **المؤتمر المسيحى لكل أفريقيا** » عام ١٩٥٨ فى نيجيريا ، وقد حضره مندوبون من كل البلاد الأفريقية ، عدا المستعمرات الأسبانية ، وتمخض عن تشكيل « **لجنة دائمة** » تعد للمؤتمر الثانى الذى عقد عام ١٩٦٣ فى كينيا .

وفى أمريكا الجنوبية عقد مؤتمر عام ١٩٦١ فى ليما عاصمة بيرو .

★

المرحلة الثالثة — اتحاد الكنائس مع مجالس التبشير : شهد عام ١٩٣٧ عقد مؤتمرين فى كل أوكسفورد وأدنبرج ، قدمت فيهما اقترحات بتشكيل مجلس عالمى للكنائس ، وقبلت من حيث المبدأ ، ثم أرسلت إلى « المجلس التبشيرى الدولى » .

لقد شهدت الفترة ما بين ١٩٤٦ — ١٩٦١ تعاوناً بين الهيئتين الكبيرتين : الكنائس ، والإرساليات . فقد شهد عام ١٩٤٦ مولد « **لجنة الكنائس للشئون الدولية** » ، تبعه تشكيل « **لجنة اتصال** » .

وفى نيودلهى عام **١٩٦١** ، اتحد المجلسان : مجلس الكنائس والمجلس التبشيرى فى جهاز ضخم هو « **مجلس الكنائس العالمى** — W.C.C. » ولأول مرة فى تاريخ العالم المسيحى ، تعلن الكنائس : الأرثوذكسية والرومانية الكاثوليكية ، والإنجليكانية ، والبروتستنتينية ، أنها كنائس مسئولة عن تبشير العالم بالإنجيل .

إن رجال التبشير يعتبرون ما حدث فى نيودلهى عام ١٩٦١ بمثابة ثورة كبيرة فى الروح الدينية للكنائس الكبرى وفى تنظيم قواها البشرية ، وتوزيع مواردها المالية . وهو ما دفع ستيفن نيل لأن يقول : « إن أولئك الذين يعيشون ليروا مطلع **القرن الحادى والعشرين** قد ينظرون وراءهم ليسجلوا بكل شكر أن عام ١٩٦١ حدد البداية لقرن عظيم آخر فى تاريخ الكنيسة »(٢) .

★★

والآن — نعيد طرح السؤال مرة أخرى فنقول — ماذا يمكن للمسلمين أن يفعلوه ؟

إن الحديث عن مقاومة التبشير ، يرتبط بداهة بالحديث عن الدعوة

(٢) المرجع ٢٥ : ص ٥٥٨

الإسلامية وفاعليتها ، فحين تخبو تلك الدعوة أو تضعف ، يتسرب التبشير من مختلف المنافذ إلى العالم الإسلامى ليتمكن منه ، كما هو حادث الآن :

إن مجهودات التبشير فى سبيل توحيد هيئاته وتكامل مشروعاته — التى عرضنا شيئاً منها — لكفيلة بأن تفتح أعين المسلمين على أيسر السبيل لمقاومته.

ولما كان «الكتاب» لا يصلح مكاناً مناسباً لعرض خطة متكاملة لمواجهة الخطر التبشيرى ، فنكتفى الآن بعرض تصور مبدئى لإجراءات قد تكون أساساً صالحاً لبلوغ الهدف . ويتلخص ذلك فى الآتى :

١ — فى كل دولة إسلامية أو شعب إسلامى ، توجد جماعات وهيئات إسلامية ، مختلفة الأنشطة ، متنوعة المجالات والاهتمامات . والمقترح أن تنتظم جميعها فى إطار واحد ، ليكن اسمه «**المجلس الإسلامى الوطنى**» لتلك الدولة أو هذا الشعب . فمثلا بالنسبة لدولة نيجيريا المسلمة يسمى «المجلس الإسلامى النيجيرى» ، وبالنسبة لمسلمى الفلبين يسمى «المجلس الإسلامى الفليبينى» وهكذا .

٢ — يعقد هذا «**المجلس الإسلامى الوطنى**» مؤتمراً سنوياً ، ليكن فى شهر شعبان من كل عام ، يدرس موضوعاً واحداً هو : **الإسلام فى مواجهة التبشير** . ثم ينتخب مندوبيه فى المستوى التنظيمى الأعلى .

٣ — يعقد مؤتمر سنوى على مستوى العالم الإسلامى ، ليكن فى شهر ذى الحجة عقب فريضة الحج ، يضم ممثلين عن كل المجالس الإسلامية الوطنية ، وذلك تحت اسم «**الاتحاد الدولى للمجالس الإسلامية**» .

٤ — يدرس هذا الاتحاد الدولى فى مؤتمره السنوى موضوعين اثنين :

(ا) تدعيم وحدة المسلمين (ب) الإسلام فى مواجهة التبشير

٥ — سوف يتمخض المؤتمر الأول للاتحاد الدولى للمجالس الإسلامية عن خطة متكاملة لمواجهة التبشير ، تقوم بتنفيذها الحكومات الإسلامية ،

وذلك فى البنود التى تختص بها ، ثم الشعوب الإسلامية ممثلة فى مجالسها الإسلامية الوطنية ، وذلك فى بقية البنود .

ومن أجل إنجاح العمل الإسلامى فى هذا المجال ، يجب :

١ — **أن يقوم أساساً على الجهود الشعبية** ، التى تعضدها بعد ذلك الجهود الحكومية .

٢ — **أن يبتعد عن متاهات السياسة والاقتصاد ونظم الحكم** ، وكل ما من شأنه أن يوجد الفرقة ويبعثر الجهود ، ويمكن التبشير من الانطلاق فى تنفيذ مشاريعه وخططه وهو قرير العين .

★★

هذا — ولما كانت السنوات العشر الأخيرة قد شهدت عدداً من المؤتمرات الإسلامية الدولية ، من أجل تنشيط الدعوة الإسلامية ومواجهة التحديات والأخطار التى تهدد الإسلام ، ولما كانت القوى المعادية للإسلام ترصد هذه المؤتمرات وتدرس توصياتها بعناية فائقة أكثر مما يفعله المسلمون أنفسهم ، صار لزاماً علينا أن نعرض بعض هذه التوصيات التى تدخل فى إطار مواجهة الخطر التبشيرى ، والتى يفترض أن حكومات الدول الإسلامية تقوم بتنفيذها الآن .

★

من توصيات المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة

عقد هذا المؤتمر بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى الفترة ٢٤—٢٩ صفر ١٣٩٧ هـ ، التى توافق ١٢ — ١٧ فبراير ١٩٧٧ م وقد حضره أكثر من مائتى عضو يمثلون المسلمين فى أكثر من ٧٠ دولة ، إسلامية وغير إسلامية ، فجاء من هذه الدول غير الإسلامية مندوبون عن مسلمى : بريطانيا — فرنسا — ألمانيا الغربية — بلجيكا — هولندا — الدنمرك —

ــ إيطاليا ــ يوغوسلافيا ــ اليونان ــ أسبانيا ــ البرتغال ــ الولايات المتحدة ــ كندا ــ الأرجنتين ــ شيلى ــ اليابان ــ أستراليا ، وغيرهم .

وقد اتخذ المؤتمر عدداً كبيراً من التوصيات ، أعرض منها الآتى بشىء من الاختصار .

(ا) فى مجال مناهج الدعوة الإسلامية وتطوير أدائها :

١ ــ تنقية مناهج التربية والتعليم ، ووضعها على أسس إسلامية ، والعناية بإعادة كتابة التاريخ الإسلامى .

٢ ــ توجيه العناية الخاصة بالشباب المسلم ، وتوفير كافة الأنشطة الثقافية والرياضية والاجتماعية ، وإقامة المعسكرات التى تنميه داخل الإطار الإسلامى .

٣ ــ الاهتمام الخاص بالمرأة ، من حيث التربية الدينية والثقافة الإسلامية .

٤ ــ الاتصال بالجهات المعنية لإنشاء مساجد فى كل الجامعات والمعاهد والمصانع وسائر المؤسسات .

٥ ــ العناية بالتوعية الدينية فى القوات المسلحة .

٦ ــ تعبئة أشرطة علمية ، تختار بعناية ، لنشر العقيدة الصحيحة والتعاليم الإسلامية بين الشعوب خصوصاً فى أفريقيا ، باللغات المحلية وبعض اللغات العالمية الشائعة .

٧ ــ تشجيع الجامعيين المتخصصين فى الدعوة بالمخصصات المادية المناسبة .

٨ ــ حث الحكومات الإسلامية على تخصيص مبالغ فى ميزانياتها لنشر الدعوة الإسلامية .

(ب) فى مجال إعداد الدعاة :

١ ــ العناية بالإعداد العلمى والثقافى للداعية .

٢ ــ العناية بالجانب الخلقى للداعية .

٣ — إنشاء كليات للدعوة فى جهات متعددة من العالم . .

٤ — التنسيق بين كليات الدعوة القائمة حالياً .

٥ — إدخال مادة الثقافه الإسلامية فى جميع الكليات الجامعية فى البلاد الإسلامية .

٦ — تنظيم دورات تدريبية لمجموعات من الدعاة .

٧ — تنظيم لقاءات إسلامية للدعاة ، للتعارف وتبادل الخبرات .

٨ — دعم المراكز والهيئات الإسلامية الموجودة حالياً ، مع إنشاء مراكز جديدة .

٩ — الاهتمام بإعداد الداعيات من النساء المسلمات .

(ج) فى مجال وسائل الإعلام :

١ — أن تهتم أجهزة الإعلام المختلفة ، إلى جانب استقائها من المعين الإسلامى ، برد الشبهات والدعاوى الباطلة الموجهة ضد الإسلام .

٢ — أن تنشأ فى البلاد الإسلامية كليات للإعلام الإسلامى .

٣ — دعم الصالح من الصحافة الإسلامية القائمة ، وكذلك وكالات الأنباء الإسلامية والإذاعات الإسلامية المتخصصة ، وإنشاء إذاعات عالمية إسلامية .

٤ — إصدار صحف دورية متخصصة فى كل دولة إسلامية .

٥ — العمل على رعاية الإعلام الإسلامى المتخصص للناشئة ، نشراً وصحافة ، إذاعياً وتلفزيونياً ، رعاية إسلامية كاملة .

٦ — إنشاء نادى « القلم الإسلامى » يضم حاملى الأقلام الإسلامية .

٧ — إنشاء إتحاد عام للصحافة الإسلامية .

٨ — مواجهة خطر الكنائس والمدارس التبشيرية .

٩ — نظراً للتعتيم الإعلامى على أخبار العالم الإسلامى ، فإن المؤتمر يرى أن تقوم « رابطة العالم الإسلامى » بإنشاء مركز إعلامى ، لرصد الأخبار والمعلومات وتوزيعها على المنظمات والجمعيات الإسلامية .

(د) فى مجال الدعوات والاتجاهات المضادة للإسلام :

١ — الدعوة إلى تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعى الذى جاء به الإسلام ، عملا بشرعه ، وإغلاقاً للأبواب أمام الدعوات المادية المضادة للإسلام.

٢ — توعية المسلمين لإخراجهم من موقف الضعف والمدافعة إلى موقف القوة والمجابهة .

٣ — مناشدة الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامى بجدة للاتصال بالدول الأعضاء فى المؤتمر والأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة لكى يعملوا على تمكين المسلمين الذين يعيشون تحت ظل حكم شيوعى من ممارسة شعائر دينهم وإطلاق الحرية الدينية لهم تنفيذاً لما جاء فى « إتفاقية هلسنكى » عام ١٩٧٦. وكذلك العمل على تمكين المسلمين الذى يعيشون فى ظل حكم آخر غير إسلامى من ذلك .

٤ — تحذير المسلمين من الدعوة المشبوهة التى روجها أعداء الإسلام لتحديد النسل ، واستنكار ما تقوم به بعض الحكومات من إجبار المسلمين على تحديد نسلهم بطريق التعقيم الإجبارى .

٥ — العناية باللغة العربية والعمل على نشرها على أوسع نطاق بين المسلمين ، والتحذير من الدعوات المشبوهة لترويج العامية ، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

٦ — يوصى المؤتمر الحكومة السعودية بتبنى مشروع دائرة معارف إسلامية ، على الأساليب العلمية السليمة ، لتكون مرجعاً إسلامياً أصيلا ، مع العناية ببيان أخطاء دائرة المعارف الإسلامية التى وضعها المستشرقون

والتى هى حافلة بالأغلاط والمغالطات العلمية ، وما فيها من افتراءات على الإسلام وتاريخه وحضارته .

٧ — توصية القائمين على المدارس الإسلامية فى أفريقيا وغيرها ، بإنشاء أقسام مهنية ، يتدرب فيها الطلاب على بعض الحرف والصناعات التى تمكنهم من كسب رزقهم مع انشغالهم بالدعوة إلى الله بعد التخرج .

٨ — يذكر المؤتمر بما انتهى إليه المؤتمر الإسلامى المسيحى ، الذى دعا إليه مجلس الكنائس العالمى ، والذى عقد فى جنيف فى يونيه ١٩٧٦ ، والذى اعترف مبدياً أسفه الشديد لأن الإرساليات التبشيرية المسيحية فى ديار المسلمين قد تسببت فى إفساد الروابط بين المسلمين والمسيحيين ، كما اعترف بأن تلك الإرساليات كان طابع نشاطاتها فى خدمة الدول الأوروبية المستعمرة ، وتستخدم التعليم وسيلة لإفساد عقائد المسلمين — والذى تعهد فيه الجانب المسيحى فى المؤتمر بإيقاف جميع الخدمات التعليمية والصحية التى تستخدم لتنصير المسلمين .

ولهذا يوصى المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة إلى كافة الدول الإسلامية بالعمل على تنفيذ القرار الذى تعهد به المؤتمر الإسلامى المسيحى ، وذلك بحظر نشاط المؤسسات التبشيرية التعليمية والاجتماعية ، وإحلال الهيئات الإسلامية العاملة فيها محلها ، مع الحذر من السماح بإنشاء مؤسسات مشبوهة تحت أى ستار .

٩ — تحذير المسلمين من النشاطات المعادية للإسلام . التى تتقنع فى مؤتمرات بأسماء مختلفة ، مثل مؤتمر العلوم الإنسانية ، ونوادى الصداقة ، والمؤسسات الثقافية والنوادى الاجتماعية المشبوهة ، كالروتارى ، والسلامين .

١٠ — تشجيع الجمعيات الإسلامية التى تعنى بتربية ناشئة المسلمين ودعوتها إلى تنسيق جهودها لصد التيارات المعادية للإسلام .

١١ — مطالبة الحكومات الإسلامية بأن تسعى لدى الدول التى لم تعترف بالإسلام ديناً بأن تعترف به لتأمين حقوق المسلمين المقيمين بها .

وينوه المؤتمر بموقف بلجيكا فى هذا الشأن .

١٢ — استنكار مايجرى فى بعض الدول من تغيير أسماء المسلمين إجبارياً أو حملهم على ذلك بأساليب ملتوية .

١٣ — إنشاء إتحاد للهيئات الإسلامية فى كل دولة ، ينظم جهودها ويخطط لها ، وإعانته بالإمكانات المادية اللازمة ، تمهيداً لاقامة إتحاد إسلامى أوسع .

١٤ — التطبيق العملى لمبدأ التناصر بالإسلام ، وذلك :

(أ) بمعاونة المسلمين المخلصين على أن يتولوا مراكز التوجيه .

(ب) وتجميع القوى الإسلامية المبعثرة وتوحيد إتجاهاتها .

١٥ — حث الجامعات الإسلامية على تتبع افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليهم .

(هـ) توصيات عامة :

١ — إطلاق حرية العمل للجماعات الإسلامية لسد الفراغ الملموس فى بلاد العرب والمسلمين ، وهو فراغ تعمل على ملئه الحركات الهدامة ، المؤيدة من أعداء الإسلام .

٢ — ينوه المؤتمر بالجهود التى بذلت لتحقيق التضامن الإسلامى فى ميادين العلم والتكنولوجيا ، ويوصى بمتابعة إقامة المؤتمرات للخبراء والمهندسين والفنيين المسلمين فى كافة التخصصات ، لتبادل المعلومات والاستفادة من الخبرات .

٣ — التحرى عند تقديم المساعدات المالية والمنح ، والعمل على تنظيمها وتوفير الضمانات ليستفيد منها المسلمون المحتاجون إليها .

★★

من توصيات مؤتمر الإعلام الإسلامي العالمي الأول :

عقد هذا المؤتمر في جاكرتا عاصمة أندونيسيا في الفترة ١ -٣ سبتمبر ١٩٨٠ ، وبلغ عدد الحاضرين نحو ٥٠٠ مندوب يمثلون مختلف الدول والشعوب الإسلامية . وقد اتخذ عدة توصيات منها :

١ - إنشاء مؤسسة إعلامية إسلامية غير حكومية ، تتعهد الدول والمنظمات الإسلامية باحترام حريتها واستقلالها .

٢ - إنشاء مؤسسة لإنتاج الوسائل والأدوات الإعلانية ، المقروءة والمسموعة والمرئية .

٣ - التزام كل إذاعة إسلامية بشراء وإذاعة المسلسلات الإسلامية التي تنتجها غيرها من الإذاعات .

٤ - التعاون مع وسائل الإعلام الإسلامية الموجودة في أوروبا وأمريكا ، لدفعها وتنشيطها في الاتجاه الصحيح ، ودعم استمرارها في خدمة مسلمي هذه البلاد .

٥ - إنتاج رسالة إخبارية أسبوعية عن العالم الإسلامي ، يمكن توزيعها بواسطة الأقمار الصناعية ، لتتمكن المحطات الإسلامية من استقبالها بشكل منتظم .

٦ - العناية ببرامج وكتب ووسائل الإعلام للأطفال .

٧ - إنشاء شركة مساهمة عالمية إسلامية مستقلة للتوزيع .

٨ - العمل على إنتاج ما يخدم الدين الإسلامي وقضاياه من الأفلام السينمائية والتليفزيون والأشرطة الإذاعية والنشرات وكتب الجيب ، التي تشرح وجهة النظر الإسلامية في الموضوعات والقضايا الهامة بشتى اللغات.

* * *

أما بعد ...

فيكفينا هذا القدر الهائل من التوصيات والمقترحات ، التي لو دخلت مرحلة التنفيذ العملي ، لكانت كفيلة بمواجهة الخطر التبشيري ورده على أعقابه. إن طاقات المسلمين لتتسع لتنفيذ هذا العمل الإسلامي على خير وجه ،

وإن التاريخ خير شاهد على أن المسلم حين يستشعر الخطر فى دينه ، فإنه يتحوّل إلى شىء عظيم ...

إن المسلمين يدركون تماماً قول الحق لهم :

« يا أيها الذين آمنوا : لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » (الصف : ٢ ، ٣) .

وهم يدركون تماماً تعليم رسول الله إليهم ، فى جوامع كلمه :

« الإيمان : ما وقر فى القلب ، وصدقه العمل » .

ولقد شهدت الأعوام الأخيرة كثيراً من الأوروبيين والأمريكيين يقبلون على الإسلام ويقبلونه ، بعد أن اقتنعت به عقولهم ، وشفيت به صدورهم ، واطمأنت به قلوبهم .

والظاهرة الغالبة فى هؤلاء - الذين عاشوا غرباء عن الإسلام - أنهم بعد إسلامهم يتحوّلون إلى دعاة مخلصين من أجله ، أفضل منا نحن المسلمين بالوراثة مرات ومرات .

إن فى القرآن بشير للإسلام ، ونذير للمسلمين المستضعفين ، كحالنا اليوم ... فقد جاءت آخر آية فى سورة محمد ، تقول :

« وإن تتولوا ، يستبدل قوماً غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم » (محمد : ٢٨) .

فهل نتولى نحن المسلمون ، كما تولت أقوام من قبل حين بدلت نعمة الله كفراً ، فذهبت غير مأسوف عليها فى الدنيا والآخرة . وكفى به هواناً أن تعز عليهم كلمة المؤاساة ، إذ ما كان من رسولهم إلا أن وقف ببقاياهم بعد أن أصبحوا حصيداً خامدين ، وقال :

« ياقوم ، لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فكيف آسى على قوم كافرين » . (الأعراف : ٩٣)

أم نرتفع نحن المسلمون إلى مستوى الأحداث والمخاطر التى تحيط بنا وتفرض علينا ، فنواجهها بما تتطلبه المواقف من عظيم الإيمان وصالح الأعمال ، وعندئذ نطمع أن يتحقق فينا قول الحق :

« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** » . (النور : ٥٥)

وكلنا يعلم يقيناً أن الأمانى لن تجدى شيئاً ، مالم يسبقها العمل ...

« **وقل : اعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون** » (التوبة : ١٠٥) .

★ ★ ★

قائمة المراجع الرئيسية

١ - تاريخ الكنيسة : يوسابيوس القيصرى - ترجمة القمص مرقس داود - مكتبة المحبة - القاهرة .

٢ - تاريخ الحروب الصليبية : ستيفن رنسيمان - ترجمة الدكتور السيد العرينى - دار الثقافة - بيروت .

٣ - الرب والله وجوجو (الأديان فى أفريقيا المعاصرة) : جاك مندلسون - ترجمة إبراهيم أسعد - دار المعارف - القاهرة .

٤ - ديانة مصر القديمة : أدولف إرمان - ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، والدكتور محمد شكرى - مكتبة البابى الحلبى - القاهرة .

٥ - القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : موريس بوكاى - دار المعارف - القاهرة .

٦ - المسيح (فى مصادر العقائد المسيحية) : أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة - القاهرة .

٧ - النبوة والأنبياء (فى اليهودية والمسيحية والإسلام) : أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة - القاهرة .

٨ - طائفة الموحدين (من المسيحيين عبر القرون) : أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة - القاهرة .

٩ - التبشير والاستعمار : الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتور عمر فروخ - الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية - بيروت .

١٠ - الغارة على العالم الإسلامى : ل . شاتليه - ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى - المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة .

١١ – غارة تبشيرية جديدة (على أندونيسيا) : أبو هلال الأندونيسى – دار الشروق – جدة .

١٢ – حقائق عن التبشير : عماد شرف – المختار الإسلامى – القاهرة .

13 — F.C. Grant : THE GOSPELS, Faber and Faber, London, 1957.
14 — D.E. Nineham : SAINT MARK, Penguin Books, London, 1963.
15 — J.C. Fenton : SAINT MATTHEW, Penguin Books, London, 1963.
16 — E.M. Blaiklock : ACTS, Inter-Varsity Press, London, 1974.
17 — Adolf Harnack : HISTORY OF DOGMA, Constable and Company, London, 1961.
18 — A.M. Hunter : PAUL AND HIS PREDECESSORS, SCM Press, London, 1961.
19 — William Barclay : THE MIND OF ST. PAUL, Fontana Books, London, 1965.
20 — C.H. Dodd : THE MEANING OF PAUL FOR TODAY, Fontana Books, London, 1964.
21 — E. E. Kellet : A SHORT HISTORY OF RELIGIONS, Penguin Books, London, 1962.
22 — Michael Grant : THE WORLD OF ROME, The New American Library, New York, 1961.
23 — E. Gibbon : THE DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE, Penguin Books, London, 1960.
24 — H.A. Fisher : A HISTORY OF EUROPE, The Fontana Library, London, 1964.
25 — Stephen Neill : A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, Penguin Books, London, 1964.
26 — Leslie Lyall : MISSIONARY OPPORTUNITY TODAY, Inter-Varsity Fellowship, London, 1963.
27 — Lin Yutang : WISDOM OF CHINA, The New English Library, London, 1963.
28 — ENCYCLOPEDIA AMERICANA, 1959.
29 — ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, 1960.
30 — Leslie Lyall : MISSIONARY OPPORTUNITY TODAY, Inter-Varsity Fellowship, London, 1963.

* *

محتــويات الكتاب

الصفحة

✱

الباب الثالث : حقيقة التبشير المسيحى

(١١١ — ١٥٠)

✱

الصفحة

الباب الرابع : التبشير فى العالم الاسلامى

(١٥١ – ١٩٢)

*

الصفحة

خـــاتمـــة

(١٩٣ – ٢١٧)

رقم الايداع بدار الكتب ٢٩٧٥ / ٨١
الترقيم الدولى ٢ – ٢٠ – ٧٣٣٥ – ٩٧٧